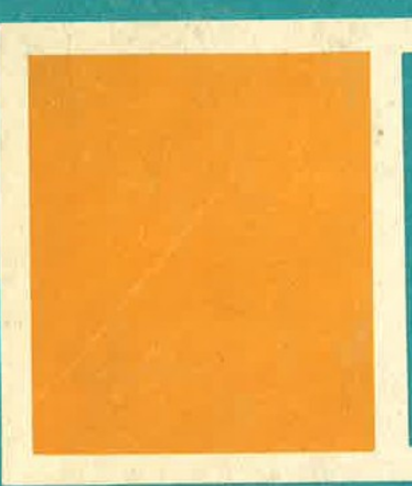
الدكتور عبد الحميد الشلقانى

الرواية فيما وراء العراق







الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

الرواية فيما وراء العراق

د . عبد الحميد الشلقانى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

تعريف موجز بالكتاب

الذين عرفوا باللغة والمعاجم والنحو وجهوا أكثر عنايتهم الى العراق ونالت البصرة والكوفة وبغداد نصيبا وافرا من التعريف ـ وبقي من وراء ذلك علم غزير .

لقد نفق سوق العلم في شرق العراق فلم يلبث أن خرجت أمهات الكتب والمعاجم من عواصمه في نيسابور ، ومرو ، وهراه ، والري ، وشيراز ، وأصبهان ، وعسكر مكرم ـ بل كانت كتب العراقيين أنفسهم تأتي من خزائن الطاهريين في خراسان ـ وفي الشام كانت دولة الحمدانيين عربية تغلبية تستدني العلماء وتكرم وفادتهم فنشأ في قصورهم رجال يعتبرون افذاذا في رواية العربية ـ وكذلك عنيت الفسطاط ، والقيروان ، وقرطبة باللغة والرواية .

ولقد تضمن هذا الكتاب تعريفا بهذه البيئات العلمية الى نهاية القرن الرابع ، فملأ بذلك فراغا في المكتبة العربية .

اللغة ، المعاجم ، النحو ــ اذا سمعت هذه الكلمات ... لأول وهلة الى البصرة والكوفة وبغداد لكثرة ما توافر لديك من اب... العراق وعلمائه ــ فالذين أوتوا نصيبا من العلم بهذا الوجه وأرادوا اعلام الناس به لايكادون ينتهون من هذه البيئات حتى يضعوا أقلامهم ــ يدلك على ذلك أسماء الكتب التى ألفت حول اللغة والنحو ما تقدم منها وما تأخر ، فالكثرة الكاثرة منها ــ ان لم تكن كلها ــ تتحدث عن هذه البيئات التى اتخذت شكلا مطبوعا على لسان المتحدث وأذن السامع .

ونحن نتفق مع القائلين بأولوية البصرة وسبقها وعمران مسجدها الجامع بأساطين العلماء ، ونشاط الكوفة على آثارها برهة من الزمن لم تدم طويلا حين أتيح لحاضرة الدولة فى العراق أن تجمع على أضوائها حلقات العلماء ــ ولكننا لا ننتهى مع المنتهين ولا نقف حيث وقفوا ، والحقيقة أن ملحظا تردد أمام مخيلتى فشدنى الى ما وراء العراق ، وهذا العلم الغزير الذى كان يأتى من وراء هذه الحدود ، بل هذه الآثار العراقية التى جاءت أول ما جاءت من وراء حدود العراق ــ فبعض كتب الأصمعى جاءت لتنال عرضتها الأخيرة عليه ، وتصحح بالرواية عنه جاءت محمولة من خزائن الطاهريين ، وكتاب العين ورد لأول مرة من

شرق العراق حتى ارتاب فى نسبته للخليل بن أحمد رجل كأبى حاتم السجستانى ، وجمهرة ابن دريد تعمل لابنى ميكال هناك ، فاذا انتهى أمر الرجلين ودالت دولتهما حملها صاحبها الى بغداد وعقد مجلسه بها يروى الناس الجمهرة ، وثالث المعاجم يعمله أبو على القالى فى الأندلس ويسميه البارع فى اللغة وتظهر أول قطعتين منه بخط مغربى — ورابع المعاجم وخامسها يظهران فى وقت واحد ، يعمل احدهما رجل من هراه هو أبو منصور الازهرى صاحب التهذيب ، والآخر لرجل تركى هو الجوهرى صاحب الصحاح — ثم يمدك أحمد بن فارس المقاييس والمجمل فاذا وقفت عند القرن الرابع الهجرى حيث اكتمل للرواية سمتها فهذا شأنها كما رأيت فى جانب واحد منها وهو المعاجم — واذا استطلعت قابل التاريخ لارضاء نفسك أمام سؤال يلح عليك قائلا ثم ماذا ؟ جاءك خبر المعجمين اللذين وضعهما أبو الحسن على بن سيده فى الاندلس وهما المخصص والمحكم — ثم اساس البلاغة للزمخشرى ، وعباب الصغانى ولسان العرب لابن منظور الافريقى ، والقاموس المحيط للفيروزأباذى ، وتاج العروس للزبيدى — أما الكتب الأخرى التى تناولت اللغة والنحو ، وما جاء من هذا الوجه فى ثنايا كتب التفسير فشىء تضيق به هذه المقدمة .

واكتشاف البيئات العلمية خارج البصرة والكوفة وبغداد ، ومفاتشة علمائها مطلب خشن جاف ربطنى اليه الصبر الطويل ، بل لا اكتمك اننى أمضيت وقتا غير قصير أتعرف على طبيعة البلاد فى شرق العراق وأتبين أقاليمها وأقسامها الجغرافية ، فلما تتبعت العنصر العربى بها قبل الفتح وحين الفتح وبعد الفتح رأينا انهم لم يكونوا غرباء عن هذا الاقليم أو بعضه فلقد تبحبحوا ريف فارس وشاطروهم هذا الوطن ، ثم جاء الاسلام وانتقل كثير من القبائل الى البلاد الشرقية وثبتوا أقدامهم بها ، وكان ولاة العرب الذين بسطوا سلطانهم على هذه البلاد يحملون اليهم تعاليم الاسلام

وليس من بينها السيطرة وحب التملك فلم يلبث أهلها أن أقبلوا على هذا الدين بقلوبهم فلما عهد قتيبة بن مسلم الباهلي بالوظائف الى بعض الحكام الايرانيين ذهب الأستاذ جب يعلل لذلك بأن قتيبة كانت تنقصه العشيرة - ولكننا لانرى رأى جب انما كانت هذه هي السياسة العربية الاسلامية السمحاء التي لم تضع فى اعتبارها سيطرة ولا غلبة .

ولقد حسن اسلام هذه المناطق الشرقية حتى كان منها جهابذة علماء الحديث ، وأئمة رجال الفقه ، وشيخ المفسرين محمد بن جرير الطبرى وعدد من كبار اللغويين تعجبك كثرتهم .

ثم كان الولاة الذين رأسوا هذه البلاد يدنون العلماء من مجالسهم ويستعينونهم صلاح هذه الدولة فلا تعجب ان ترى أوائل رواة العراق يأخذون أماكنهم فى البلاد الشرقية زائرين ، ومدعوين ، ومقيمين ، ومتاجرين فى الكتب وهاربين أيضا مما كان يجرى فى العراق من أحداث كثورة الزنج . وكان بعض ولاة هذا الاقليم علماء يجدون فى الرواية اللغوية سببا وشيج الصلة بالعلوم الدينية ، ورابطا قويا بالعروبة .

كانت الدولة الطاهرية من أوائل الولايات التى نشأت فى شرق العراق فعمل عميدها طاهر بن الحسين على استقدام الفراء الذى ألف كتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب البهاء أو البهى لابنه عبد الله ، ولما قلد المأمون ولاية خراسان عبد الله بن طاهر تشبث عبد الله بثلاثة من رجال العلم فى بغداد كان من بينهم أبو سعيد الضرير اللغوى ، واستدنى أبا عبيد القاسم بن سلام صاحب الكتابين الكبيرين : الغريب المصنف ،وغريب الحديث ، واستضافت هذه الأسرة زعيمى المذهبين - المبرد وثعلب .

وكان عضد الدولة البويهى بالاضافة الى مهام الدولة يتشاغل بالكتب ، ويناقش علماء اللغة مناقشة العالمين ، ووزر للبويهيين ابن العميد وبلغ حبه

في العلم انه كان يغرى العلماء على ترك العراق ، ومن وزرائها أيضا الصاحب بن عباد صاحب كتاب المحيط في اللغة •

وكانت الشام مهبط القبائل العربية قبل الاسلام بزمن طويل ، والآراميون الذين كانوا يقطنون الشام كانوا يتحدثون لغة سامية ليست بعيدة الجرس عن العربية مما سهل للأخيرة سبيلها •

وفى عهد الدولة الأموية جعل الأمويون عاصمتهم بها وكانوا وهم يتعصبون للعرب وللعربية يوصون برواية الشعر [illegible] الرواة على عنايتهم به ـ ثم ضعفت الرواية فى هذه البلاد فى عصر العباسيين ثم مالبثت أن نشطت مرة أخرى فى ظل الحمدانيين •

كان سيف الدولة الحمدانى عربى الاصل من تغلب ، وعشقه للعربية وتذوقه لها صادر عن هذا الأصل فلا عجب أن يكون قصره مألفا للشعراء وعلماء العربية ـ عاش فيه ابن خالويه ، وتردد عليه أبو على الفارسي وأحمد بن فارس ، والزجاجى ، وأبو الطيب اللغوى ، وابن جنى وجميعهم من شوامخ العربية •

وفى مصر كانت المعركة اللسانيةقبل الفتحبين القبطية ، واليونانية، واللاتينية مما سهل للعربية دورها ـ ولكن لم يتوافر لهذه البيئة ما توافر فى شرق العراق والشام من ولاة يحرصون حرص الطاهريين والبويهيين والحمدانيين على استقدام العلماء ـ وكان مقام الوافدين من العلماء الذين نأمل بعث اللغة فى مجالسهم قصير فالشافعى الذى كان كلامه لغة يحتج بها كما يقول ابن هشام لم يعمر بمصر أكثر من خمس سنوات اذ وفد اليها سنة تسع وتسعين ومائة ومات سنة أربع ومائتين ـ والطبرى محمد ابن جرير يزور مصر مرتين قصيرتين ، وعلى كل حال فقد اشتهر أمر الرجلين بشيء غير رواية العربية وان كان علمهما بها غزير ، وكذلك

لم يصدر عن الهرويين : أبى اسامة ، وابى الحسن كبير علم • والباحث عن الرواية فى مصر عليه ان يطيل الوقوف عند رجلين عرفا بهذا الوجه هما أبو العباس بن ولاد ، وأبو جعفر النحاس اللذين رحلا الى العراق وجلسا الى كبار علماء اللغة هناك — ومن دون هذين الرجلين رجال عرفوا بالعربية وروايتها تناولهم البحث •

ونشاط العلم فى شمال افريقية قد بلغ أحسنه فى دولة الأغالبة اذ كان ابراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الدولة فقيها أديبا شاعرا خطيبا فنجم فى هذه البيئة الهادئة المحاطة برعاية الحاكم الأديب أمثال أبى مالك الطرماح ، وأبى الوليد عبد الملك بن قطن المهرى ، وأبى عبد الله حمدون بن اسماعيل ، وأبى محمد عبد الله بن محمود المكفوف — واستمر هذا النشاط بعد دولة الاغالبة فكان من علماء القيروان ابن الحداد ، وابن الوزان ، والقزاز القيروانى •

وحين فتحت صقلية على يد العالم الفقيه أسد بن الفرات كان فى معيته بعض أهل العلم والبصائر منهم ابن غورك كما كان من علمائها محمد بن التميمى ، والحسن بن على الصقلى ، وعمر بن خلف بن مكى وغيرهم •

وكانت الرواية فى الاندلس حميلة على علم الحديث فقد أعطى الاندلسيون لدراسة الحديث جل اهتمامهم وذهبوا فى طلبه الى المشرق فالتقوا بعلماء اللغة هناك وعاد أكثرهم ومعه من العربية ما يربو على حصيلتهم من الحديث ، وقد نشأ ابن القوطية فى مجالسهم فكان أمثل اللغويين فى الأندلس الى ان جاءها مدد من الشرق • فمنذ وليها عبد الرحمن الناصر عمل على تزويد الاندلس بكتب المشرق فكان يبعث فى طلبها رجالا يأتونه بها واستقدم أبا على القالى وأحسن وفادته فتلمذ له أبو بكر الزبيدى، وأبو عبد الله محمد بن عاصم ، وأحمد بن ابان بن السيد ، وهارون

ابن موسى بن صالح واخرون • وكذلك وفد من المشرق أبو العلاء صاعد ابن الحسن الربعى فكان لهذا المدد الآتى من الشرق ثماره التى زهت بها قرطبة •

هذه رحلة طويلة تتبعنا فيها رجال اللغة الذين اشتهر أمرهم بالرواية الى نهاية القرن الرابع ـ وقد تجاوزناه أحيانا عندما دعت المناسبة الى ذلك ـ وأتممنا بهذه الرحلة فى كتابنا (رواية اللغة) الذى أفردناه للعراق •

الباب الأول

الرواية في شرق العراق

الملامح العامة فى الأقاليم الشرقية

رأيت ان أقدم لهذا البحث بتعريف قصير عن هذه البلاد التى فتحها العرب فى النصف الأول من القرن الأول الهجرى والتى كانت تضم أجزاء من العراق الحالى ، وايران ، وأفغانستان ، وأجزاء من جنوب روسيا ، والصين ، وبلاد الهند .

والذين عرفوا بجغرافية هذه البلاد ذهبوا فى تقسيمها مذاهب شتى لاتساعها واختلاف طبيعة أرضها . عرف بها أبو القاسم عبد الله بن خرداذبة ٢٥٠ هـ فى كتاب المسالك والممالك وسماها المشرق (١) فذكر خراسان وأرباعها وطرق الشاش والترك (٢) وكور الأهواز (٣) وكور فارس (٤) واتجهت عنايته الى الطرق والمسالك فحددها وبين أبعادها .

ومن بعده تحدث أحمد بن أبى يعقوب بن واضح ٢٧٨ هـ فى كتابه البلدان فسمى هذا الاقليم الربع الأول - أو - ربع المشرق يعنى ربع

(١) المسالك والممالك ١٨ ط ليدن سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م .
(٢) ص ٢٥ .
(٣) ص ٤٢ .
(٤) ص ٤٧ .

الارض بحسب تقسيمه وهو عنده من بغداد الى الجبل واذربيجان
وقزوين ، وزنجان ، وقم ، واصبهان ، والرى ؛ وطبرستان ؛ وجرجان
وسجستان ، وخراسان ، وما اتصل بخراسان من الكبت وتركستان (١) .

وأخذ أبو اسحاق ابرهيم بن محمد الأصطخرى ٣٠٤ هـ فى التعريف
بهذا الاقليم مبتدئا من العراق الى الشرق فتكلم عن خوزستان (٢) ثم فارس
فى شرقها (٣) ثم كرمان فى شرق فارس ، ومكران ، والسند ، وبعض
بلاد الهند (٤) ثم صعد شمالا متجها الى الغرب فعرف بارمينية واذربيجان
كما تكلم عن الجبال وخراسان واختتم تقسيمه بالحديث عن اقليم ما وراء
النهر .

وكان المقدسى ٣٧٥ هـ أكثر اتساعا . عرض لحياة السكان ومذاهبهم
وطبيعة الارض وغلاتها الى غير ذلك من المعلومات والتى نكتفى بالاحالة
اليها فى كتابه (أحسن التقاسيم) (٥) وجاء من بعده الجغرافيون يبسطون
الحديث عن هذه البلاد ووصف بعضهم مشاهداته فيها كياقوت الحموى
٦٢٣ هـ فى كتابه معجم البلدان ، وابن بطوطة ٧٥٦ هـ فى رحلته .

وفى العصر الحديث عرف بهذه البلاد تعريفا مطولا المستشرق جاى
لسترنج GUY LE STRANGE فى كتابه بلدان الخلافة الشرقية
فى أربع وثلاثين فصلا .

واختلاف التقسيم يرجع الى اختلاف الغرض من التأليف واختلاف
وجهات النظر عند هؤلاء الجغرافيين بعضهم يقسمها بحسب الدائرة

---

(١) كتاب البلدان ط ليدن ١٨٩٠م .
(٢) مسالك الأمم ط ليدن سنة ١٩٢٧ ص ٨٨ .
(٣) المصدر السابق ص ٦٦ .
(٤) نفس المصدر ١٥٨ و ١٧٠ .
(٥) ط فى ليدن سنة ١٩٠٦م .

الخراجية وآخر بحسب المجال الحربى والالتزام الدفاعى ، أو الحدود السياسية وتقسيم الولايات أو بحسب طبيعة الأرض ـ والأمر عندنا لايحتاج الى هذا التخصيص وحسبنا أن نقسمها قسمين نستطيع من خلالهما تتبع الحركة العلمية :

القسم الاول ـ خراسان وما وراء نهر جيحون

القسم الثانى ـ اقليم فارس والجبال .

وفى المجال العلمى والرواية بخاصة كانت هناك ظواهر عامة يشترك فيها الاقليمان اليك بيانها .

القبائل العربية فى شرق العراق

من خبر يحكيه الطبرى نفهم منه ان العرب كانت لهم هجرات الى الأقاليم الشرقية قبل سنى الغزو الاسلامى ، وكان المثنى بن حارثة الشيبانى يشير الى ذلك وهو يهيىء جنده للحرب بقوله : (يا أيها الناس : لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبحبحنا ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم) (١)

ولم يكد ينتهى العقد الثالث من القرن الأول الهجرى حتى ضرب الاسلام سلطانه على أغلب هذه البلاد الواسعة فى شرق العراق والتى شملت شعوبا تتكلم الفارسية ، والتركية ، والهندية .

دخلت القبائل العربية الغازية واستقر قرارها ومدت سكناها الى أقصى الشرق فى أرض فرغانة والشاش (٢) فنزل بنو عجل فى الكرخ(٣) وأقوام من مذحج فى كمندان من أعمال قم (٤) وفى اليهودية قرب اصبهان

(١) تاريخ الطبرى ٢ : ٦٣ ط الاستقامة سنة ١٣٥٧ هـ ـ ١٩٣٩م .
(٢) فتوح البلدان ٤٣٧ ط الموسوعات سنة ١٩٠١ م .
(٣) البلدان لليعقوبى ٤٩ .
(٤) المصدر السابق ٥٠ .

بطون من ثقيف ، وتميم ، وبنى ضـــبة ، وخزاعة ، وبنى حنيفة وبنى عبد القيس (١) وفى مكان آخـر قرب اصبهان نزل ناس من همدان ومن بنى هـلال وبطـون مـن قيس (٢) وفى مـرو نـزل الازد وتميـم (٣) وعبد القيس (٤) وتغلغل القبائل العربية فى هذه البلاد ظاهرة تكاد تكون عامة الا ما قيل من أن أهل اشروسـنة - وهى بلدة فى أقصى الشرق من وراء النهـر كانوا يمنعون العرب أن يجاوروهم حتى صار اليهم رجل من بنى شيبان فأقام هناك وتزوج منهم (٥) .

وكان لقواد المسـلمين رأى فى الاستكثار من العرب واسكانهم فى هذه البقاع حتى يأمنوا انتفاضة أهلها وتثبيت الوجه العربى بها - نلمح هذا فى تصرف زياد بن أبى سـفيان حين ولى الربيـع بن زياد الحارثى خراسان اذ حول معه من أهل المصرين (البصرة والكوفة) خمسين ألفا بعيالاتهم وأسـكنهم دون النهر (٦) ونذهب فى فهمنا لهذا الخبر ان هـذه الآلاف كانت من العنصر العربى .

أثر السياسة الاسلامية فى دمج العرب بسكان البلاد

أما سـكان هذه البلاد فقد سهل اندماجهم بالعرب بسبب من السياسة الاسـلامية السمحة التى كانت تستهدف نشر الاسـلام ونشر مبادئه الانسانية أيضا دون أن تفكر فى التملك والسيطرة ومجرد التوسع ولقد كتب سعد بن أبى وقاص الى رستم صاحب الأعاجم (اسلامكم أحب الينا من غنائمكم) وفى العهد الأموى كانت سـيرة عمر بن عبـد العزيز

---

(١) ٥١ المصدر .

(٢) ٥٢ المصدر .

(٣) ٥٧ المصدر .

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ٧١ .

(٥) البلدان لليعقوبى ٧٥ .

(٦) فتوح البلدان ٤١٠ ط ليدن سنة ١٨٦٦م .

واصلاحاته وأخذ الناس بالاقناع سببا فى دخول كثير من الفارسيين والاتراك فى الاسلام . فلقد كان يهدف الى ما تحلم به الانسانية اليوم وان يحل الاقناع محل السيف فلما كتب اليه الجراح عبد الله بن معمر العسكرى انه لا يصلح اهل خراسان الا السيف أنكر ذلك وعزله (١)

ونحن ندرك من خبر يحكيه البلاذرى ان بعض رؤساء هذه البلاد قد تأثروا بسياسة عمر واعجبوا بمسلكه فبلغ بهم اخلاصهم ان تسموا باسماء العرب . قال (وكانت خلافة عمر بن عبد العزيز فكتب الى الملوك يدعوهم الى الاسلام والطاعة على أن يملكهم ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه فأسلم حليشة والملوك وتسموا بأسماء العرب) (٢) .

ولم يكن الا أن يسلم الرجل منهم حتى تتحقق له حقوق العربى وكانت الظروف العقائدية مهيأة لتقبل الاسلام فقد كانت الزردشتية شديدة على من شذ عنها ـ أو وسيلة الى جاه (٣) فتناقص عدد الزردشتيين بدخولهم فى الاسلام أو دخول الكثيرين منهم حتى شكا عامل خراسان الى عمر بن عبد العزيز قلة الجزية فأرسل اليه كلمته المشهورة : ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ـ ولم يبعثه جابيا .

ولقد علق الأستاذ جب على مسلك القائد العربى قتيبة الباهلى حين عهد بالوظائف الى حكام ايرانيين بقوله : (كأنما كان يرى فيهم عشيرته اذ كانت تنقصه العشيرة القوية من العرب) (٤) ونحن يهمنا هذا الشق من الخبر الذى يمثل مسلك القواد المسلمين وسماحتهم وكياستهم أما ما ذهب اليه الأستاذ جب من أن قتيبة كانت تنقصه العشيرة القوية من

---

(١) فتوح البلدان للبلاذرى ٤٣٢ ط الموسوعات .

(٢) فتوح البلدان ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

(٣) مقال للاستاذ عبد الوهاب عزام مجلة الرسالة عدد أول فبراير سنة ١٩٣٢م .

(٤) Gibb, H.A.R., The Arab Conquest in Central Asia, p. 30.

العرب ففى حديثنا عن الباهليين فى كتابنا (الأصمعى الراوية) ما يصحح هذا الرأى اذ كانت باهلة بالرغم مما قيـل فيها من الهجاء فى عداد القبائل الكبيرة والتى أنجبت من القواد والشوامخ ما ينفى هذا الذى ذهب اليه جب .

والفرس فى عهد الدولة العباسـية أكثر ميـلا الى هذه الدولة فهم أخلص دعاتها واليهم يرجع الفضل فى اقامتها ـ وكان ابو مسلم الخراسانى مسلما غيورا أسـلم من اجله كثير من دهاقين الفرس (١) وبقى الترابط واضحا فى أقوال المؤرخين بين هذه الدولة وبين رجالات الفرس سواء كان ذلك تعبيرا عن حسن اسلامهم أو ولائهم للدولة العباسية فالمقدسى يحكى عن ابن قتيبة فى وصف أهل خراسان (انهم أهل الدعوة ، وأنصار الدولة لما أتى الله بالاسـلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدهم اليه مسارعة منا من الله عليهم ـ أسلموا طوعا ، ودخلوا فيه أفواجا ، وصالحوا عن بلادهم صلحا فخف خراجهـم وقلت نوائبهـم ولم يجب عليهم سبى ولم يسفك فيما بينهم دم مع قدرتهم على القتال وكثرة العدد وشدة البأس) (٢) .

ربط الدين بين العـرب وبين من أسـلم من هذه البلاد وفيهم من حسن اسلامه وأقبل على علومه بقلب عامر بالايمان يبتغى مرضاة الله فى كل جهد يبذله حتى كان منهم أساطين العلوم الاسلامية فمن رجال الحديث أبو عبد الله البخارى ، ومسلم بن الحجاج ، وأبو داود السجسـتانى وأبو عيسى الترمذى ، وأبو عبـد الرحمن النسـائى ، وأبو عبد الله النيسابورى .

ومن أئمة الفقهاء : أبو بكر محمد بن المنذر النيسابورى وأبومنصور

---

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية ١ : ٢٠٢ كارل بروكلمان ط بيروت سنة ١٩٥٣ .
(٢) أحسن التقاسيم ٢٩٣ .

الماتريدي (شهرة الماتريدي أنه من أهل الكلام وانه برع في الفقه) وأبو حاتم محمد بن حيان التميمي السمرقندي ، ومحمد بن على القفال الشاشي ، وأبو الليث نصر بن محمد السمرقندي وليس في رجال التفسير حتى القرن الرابع كمحمد بن جرير الطبري بل كان علما من أعلام التاريخ واللغة أيضا .

ومن اللغويين الذين أنجبتهم هذه البلاد : أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي ٣٤٨ هـ صاحب تكملة العين وشارح أبيات أدب الكاتب ، وأبو منصور الأزهري ٣٧٠ هـ صاحب التهذيب في اللغة ، وأحمد ابن فارس صاحب المقاييس والمجمل وأبو هلال العسكري ٣٩٥ هـ صاحب كتاب الفروق اللغوية ، وأبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ٣٩٨ هـ صاحب الصحاح ، وأبو منصور الثعالبي ٤٢٩ هـ صاحب فقه اللغة . واذا كنت قد أشرت الى هؤلاء الاعلام وأكثرهم يعيش في أواخر الفترة التي نؤرخ لها فان هذه النتيجة تكشف عن بداية خصبة أتت ثمارها يتعين وعلينا تفصيل الكلام فيها .

لم يمض وقت كبير بعد الفتح حتى وضح في هذه البلاد وجهها العربي فبنيت المساجد وعمرت بالعلماء والمتعلمين وأخذت الرواية سمتها الذي اتخذته في بلاد العراق ، فبالاضافة الى هذه الشحنة الهائلة من اللغة التي حملها أصحابها العرب وفيهم اليمني والمضري والتميمي كان الولاة الذين رأسوا هذه البلاد يستعينون في ادارتها فقهاء العرب وعلماءها وكتابها وشعراءها — أو يزينون بهم مجالسهم ، ورأينا قدامى الرواة يأخذون أماكنهم فيها — كان يحيى بن يعمر العدواني ، ونحن نعلم أنه كان على رأس رواة البصرة وأقدمهم يكتب ليزيد بن المهلب الذي كان يتقلد خراسان من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولقد أثار يحيى دهشة الحجاج عندما ورد عليه كتاب من خراسان بعد ان ظفر يزيد بن المهلب

بعبد الرحمن بن العباس بن ربيعه بن الحارث يقول فيه على لسان يزيد :
(انا لقينا العدو فمنحنا الله اكتافهم ، فقتلنا طائفه ، واسرنا طائفة ولحقت برءوس الجبال وغرائر الأودية وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار فبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه) فقال الحجاج : من يكتب ليزيد بن المهلب ؟ فقيل له : يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد يأمره بحمله اليه على البريد فقدم اليه فرأى أفصح انسان فقال له : أين ولدت ؟ قال : بالاهواز • قال : من أين هذه الفصاحة ؟ فقال : حفظت كلام أبى وكان فصيحا (١) واذن فقد كان بالاهواز من تؤخذ عنهم العربية والفصاحة كهذا العدوانى وأبيه •

وكثير من الرواة ورد ذكرهم فى هذه البلاد فسيبويه رحل الى فارس بعد المناظرة التى عقدت بينه وبين الكسائى فى بغداد وأقام بها عشر سنوات • ذكر ذلك أحمد بن يحيى ثعلب فى أماليه فقال : (قدم سيبويه العراق (يقصد بغداد) فى أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة وتوفى وعمره نيف وأربعون سنة بفارس) (٢) ويروى الزبيدى فى طبقات النحويين واللغويين ان الأصمعى مات بمرو خراسان (٣) واذا كانت أكثر الأخبار تشير الى وفاة الأصمعى بالبصرة فلقد ذكر ياقوت خبرا نفهم منه أنه زار فارس وزار قبر سيبويه وقرأ على القبر أبياتا من الشعر ذكرها ياقوت (٤) •

وكان فى صحبة المأمون فى مرو أحد معاصرى الأصمعى وفى طبقته وهو أبومحمد يحيى بن المبارك اليزيدى وكان يؤدب المأمون وظل فى خراسان الى أن مات بها سنة اثنتين ومائتين (٥) كما كان فى صحبته أيضا

(١) الوزراء والكتاب ٤٢ ط الحلبى سنة ١٩٣٨م •
(٢) معجم الأدباء ١٦ : ١١٥ •
(٣) طبقات الزبيدى ١٩٢ •
(٤) معجم الأدباء ١٦ : ١١٦ •
(٥) معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ •

أبو فيد مؤرج السدوسي وألف في مرو كتابه في غريب القرآن ورواه عنه أهلها (١) ومؤرج أحد ثلاثة يعتبرهم الآخفش أمثل غلمان الخليل (٢) والكسائي زار هذه البلاد وتوفي بالري (٣) وقيل في طرسوس ٠

وهناك أسباب عديده كانت تربط علماء العراق بهذه البلاد الشرقية فقد هرب اليها أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي ابن أخت محمد بن سلام الجمحي وراوى كتابه طبقات فحول الشعراء في ثورة الزنج ونزل في كور الأهواز (٤) كما نزل القاسم أبو ذكوان الراوية سيراف لنفس السبب (٥) ٠

وكان بعض العلماء يذهب اليها متاجرا بعلمه أو علم غيره يعرض على رؤساء هذه البلاد كتب قدامى الرواة ويرغبهم فيها أو في نسخها ، كان أبو الحسن بن المغيرة الأثرم صاحب أبي عبيدة ووراقه يروي كتبه كلها وكتب الأصمعي أيضا في بلدة تسمى بندنيج ، ذكر ذلك ياقوت في ترجمة أبي بشر اليمان بن أبي اليمان (٦) ٠

وأقدم الخصيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الأصمعي الى اصبهان فلما تأهب الباهلي للحج أودع كتبه محمد بن العباس وكان يؤدب أولاد عبد الله بن الحسن فأنسخها محمد بن عبد الله الناس ، فلما قدم الباهلي وعرف الخبر قامت قيامته لما كان يأمل فيها من التكسب (٧) ٠

---

(١) تاريخ بغدا ١٣ : ٢٥٨ ٠

(٢) تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٩ ٠

(٣) معجم الأدباء ١٣ : ١٦٧ ٠

(٤) معجم الأدباء ١٦ : ٢١١ ٠

وانباه الرواة ٣ : ١٠ ٠

(٥) المصدر السابق ١٦ : ٢٣٦ ٠

(٦) معجم الأدباء ٢٠ : ٥٦ ٠

(٧) معجم الأدباء ٢ : ٢٨٥ ٠

نستطيع القول بان هؤلاء الرواة الوافدين كانوا نواة الرواية اللغوية في هذه البلاد أو عاملا من عوامل توجيه أهل البلاد اليها وهم يرون اللغة أساسا من أسس التعرف على أصول دينهم •

ويكاد يقف دور قدامى الرواة الوافدين عند هذا الحد فلم أجد لهم مجالس عامة يغشاها عامة الناس وكانت اقامة الرواة في كثير من الأحيان تنتهي بانتهاء مهمة الولاة فلا يلبثون ان يعودوا الى العراق وانما ازدهرت الرواية اللغوية والعلوم الاسلامية على أيدي الناشئين في هذه البلاد والذين كانوا خليطا من العرب والفرس والترك وحدهم الدين وجمعهم حول أصوله وعلى رأس هذه الأصول القرآن والسنة واللغة ، فأخذوا ما تيسر في بيئاتهم هذه ثم يمموا شطر العراق وتجاوزها بعضهم الى البادية • فالنضر بن شميل ولد في مرو ونشأ بها حتى اذا بلغ مبلغ التحصيل ذهب الى البصرة وتلقى علومه على الخليل بن أحمد ثم رأى أن يسلك مسلك كبار الرواة فأقام في البادية زمنا كما أخذ عن فصحاء الأعراب الذين جاءوا الى البصرة فأفاد من أبي خيرة وأبي الدقيش وغيرهما (١) ثم عاد الى مرو وله صحبة مع المأمون فيها •

والليث بن المظفر ـ وهو عربي الأصل ـ وحفيد نصر بن سيار حاكم خراسان من قبل هشام بن عبد الملك ـ ممن رحل الى العراق وأخذ عن الخليل بن أحمد في البصرة وطالت صحبته للخليل وشارك في وضع كتاب العين على النحو الذي بيناه في كتابنا (رواية اللغة في العراق) •

الوفود تتجه الى البصرة :

بدأت الوفود تتجه الى البصرة من عصر مبكر حينما كانت البصرة تنفرد بهذا اللون من الدراسة وتكاد أخبار هذه الوفود تدور حول

---

(١) نزهة الألبا ١١١ •

البصرة وحدها ـ يقول التوزى فيما يحكيه عنه محمد بن يزيد المبرد (كنا عند الأصمعى وعنده قوم من خراسان وأقاموا على بابه فقال له قائل منهم : يا أبا سعيد . خراسان يرجف بعلم البصرة وعلمك خاصة وما رأيت أصح من علمك . فقال لاعذر لى ان لم يصح علمى . دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين ولكن قد لقيت من الشعراء والفصحاء وأولاد الشعراء ...) وذكر رجالا (١) وأساتذه أبى العيناء ـ وهو أهوازى المولد ـ بصريون فقد تلقى علومه على الأصمعى وأبى عبيدة (٢) وأبى زيد الأنصارى (٣) كما أخذ سليمان بن معبد المروزى عن الأصمعى والنضر بن شميل (٤) وأدرك أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هانىء النيسابورى أوائل الرواة فى البصرة وروى عن أبى زيد كتاب النوادر (٥) ووفد الى أبى حاتم شاب من نيسابور فقال له : يا أبا حاتم انى قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء وأنت شيخ هذه المدينة وقد أحببت أن اقرأ عليك كتاب سيبويه فقال : الدين النصيحة ان اردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام ـ محمد بن يزيد (٦) .

انتقال النشاط الى بغداد :

فلما انشئت بغداد وعمرت بها مجالس العلم رحل اليها وفود المشرق وكان بها عامة رجال الكوفة فأتيح للوافدين الأخذ عن رجال البصرة فى البصرة ورجال الكوفة فى بغداد ـ ففى رحلة أبى عمرو الهروى للعراق أخذ عن أبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ،

---

(١) انظر المنتقى من أخبار الاصمعى لضياء الدين المقدسى نشره عز الدين التنوخى ط المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٣٦ .

(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢٨٦ .

(٣) المصدر السابق ١١ : ٢١٤ .

(٤) نفس المصدر ١١ : ٢٥٧ .

(٥) انباه الرواة ٢ : ١٢٧ .

(٦) انباه الرواة ٣ : ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

والأصمعي وأبي حاتم السجستاني والرياشي من البصريين كما أخذ عن ابن اعرابي وسلمة بن عاصم والفراء من الكوفيين .. ثم رجع الى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث بن المظفر (١) ونشأ عسل بن ذكوان في عسكر مكرم وطلب العلم في العراق فأخذ عن المازني والرياشي - وكان يربط العرب منهم بالعراق حنين الى أصلهم العربي ورغبة في تذوق العربية الصحيحة فكان محمد بن أحمد الأبيوردي الذي ينسب نفسه الى أصل عربي يرحل الى العراق ليمرن طبعه على العربية ، وقد ظل بها عشرين سنة (٢) والأمثلة على رحلاتهم الى العراق في سبيل التلقي عديدة يشق حصرها (٣) .

الرحلة الى البادية :

ورأى بعضهم أن يتجاوز العراق الى البادية فرحل اليها النضر بن شميل ، والليث بن المظفر ويقال في سبب رحلة الليث ان المظفر بن سيار مر به عتاق ، وابنه الليث قد حضره فقال له واراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال (بز) بالفارسية فقال : لأسيرنك الى حيث لاتعرف (بز) فسيره الى البادية .. ففيها تأدب (٤) ويبدو ان الرحلة الى البادية كانت تقليدا لما كان يجري في العراق ، ودلالة على تمام العالم بعد ان رأوا آثار البادية في علماء العراق فتعملوا لذلك وبالغوا في هذا التعمل كما يدلك الخبر التالي :

يشير ياقوت وهو يترجم لمحمد بن أحمد الغندجاني اللغوي الى رجل اسمه أبو الندى فقال : (... ولم يذكر لي من لقيته من شيوخ

---

(١) نزهة الألبا ٢٥٩ ؛ وبغية الوعاه ٢٢٦ ، وانباه الرواة ٢٧٧ .
(٢) معجم الأدباء ١٧ : ٣٤٤ .
(٣) انظر مثلا انباه الرواة ١ : ١١٠ و ١١١ .
ومعجم الأدباء ١٧ : ٤٥ و ١٤ : ٧٧ و المزهر ١ : ٧٨ .
(٤) معجم الأدباء ١٧ : ٥٠ .

بلاد فارس من فضل أبى الندى الا أنه غاب عن أهله مرة وأقام فى البادية سنين عدة وعاد يروى ويخبر وكان له ابن فأخذ يطليه بالزيت ويقفه فى الشمس بالغندجان وهى حارة جدا ، ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين (١) وترجم مرة أخرى للحسن بن أحمد الاعرابى الغندجانى فذكر أنه كان يتعاطى تسويد لونه وأنه كان يدهن بالقطران ويقعد فى الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابى (٢) - وهذا الخبر وان لم يفصح عن ذهاب الحسن بن أحمد الى البادية الا أنه يكشف الى أى مدى كانت تهفو أنفسهم للتعلق بالاعراب والتشبه بهم •

والأزهرى صاحب التهذيب يشيد فى مقدمة كتابه بالمناسبة التى واتته وتحقق له بسببها ان يسمع من الاعراب فى البادية حين وقع أسيرا فى أيدى القرامطة (٣) •

كتب العراق فى البلاد الشرقية :

لم تقتصر الفائدة المرجوة من هؤلاء العلماء الذين رحلوا الى العراق على ما حصلوا من علم ، بل عادوا ومعهم الجليل من الآثار اللغوية التى ظهرت بالعراق ، وكان رؤساء هذه البلاد يحتفون بالعلماء ويدنونهم من مجالسهم ويتسابقون فى ذلك - وبسبب السخاء الذى عرف عن هؤلاء الأمراء حملت اليهم الكتب طمعا فيما كانوا يدفعونه ثمنا لها أو مكافأة على تأليفها حتى ظهرت بعض الكتب القيمة فى خراسان قبل ان تظهر فى العراق • فكتاب العين لم يظهر فى العراق الا بعد موت الخليل بزمن طويل حين قدم به وراق من خراسان فى ثمانية وأربعين جزءا فى سنة

---

(١) معجم الأدباء ١٧ : ١٦٤ •
(٢) معجم الأدباء ٧ : ٢٦٤ •
(٣) مقدمة تهذيب الأزهرى •

علماء العراق بشأنه أنه موجود فى خراسان فى خزائن الطاهريين فلما وصل على هذه الصورة ارتابوا فى صحته وانكره أبو حاتم (١) وكتاب الأصمعى فى النوادر - ويبدو أنه كان كتابا قيما ، وجده صاحبه أمثل كتبه فاهداه لجعفر بن يحيى البرمكى فى بغداد - هذا الكتاب يظهر فى البصرة فى أخريات أيام الأصمعى • وقد جاء به أبو ربيعة صاحب عبد الله بن طاهر من خزانة الطاهريين ووضعه بين يدى الأصمعى ، فجعل الأصمعى ينظر فيه ثم قال : ليس هذا كلامى كله - وقد زيد على فيه فان أحببتم أن أعلم ما أحفظ منه وأضرب على الباقى فعلت (٢) والخبر لا يشير فقط الى أن الكتب - والثمين منها - كان يحمل الى البلاد الشرقية وانما يفيد الى جانب هذا ان الرواة والوراقين كانوا يضيفون الى هذه الكتب ما تشابه من مادتها - لا ميلا منهم الى ارتكاب جريمة الانتحال والوضع ولكن رغبة فى زيادة ما بدا لهم صحيحا وقد أشرنا الى أن كتب أبى عبيدة والأصمعى قد أخذت طريقها الى هذه البلاد وحملها على بن المغيرة الاثرم ، وأحمد بن حاتم الباهلى صاحب الأصمعى (٣) وكان تقبل الأمراء بخاصة لكتب العراقيين مشجعا على ذهاب العلماء بأنفسهم وتقديمها اليهم فكتاب البهاء للفراء قدم الى عبد الله بن طاهر (٤) وكان أبو عبيد القاسم بن سلام اذا الف كتابا حمله الى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالا خطيرا - قال أبو عبيد : عملت كتاب الغريب المصنف فى ثلاثين سنة وجئت به الى عبد الله بن طاهر فأمر لى بألف دينار ولما صنف غريب الحديث اهداه اليه

---

(١) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية •

(٢) مقدمة التهذيب للازهرى •

(٣) معجم الأدباء ٢ : ٢٨٥ •

(٤) المصدر السابق ٢٠ : ص ١٣ •

فقال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق الا يحتاج الى طلب معاش وأجرى عليه فى كل شهر عشرة الاف درهم (١) وكتب ابن دريد صارت بعد وفاته الى وراقه الفارسى على بن أحمد الدريدى (٢) كما ان الجمهرة نفسها قدمت لآل ميكال - ومن أشهر كتب أبى سعيد السيرافى ذلك الكتاب الذى شرح فيه كتاب سيبويه - وعاش أبو سعيد معظم حياته فى بغداد - ولهذا نعجب ان يشترى معاصره أبو على الفارسى الفسوى هذا الكتاب من الاهواز قبل توجهه الى بغداد سنة ثمان وستين وثلاثمائة (٣) وهو من غير شك سيجد أبا سعيد فى بغداد ولكنه قد لا يجد كتابه هناك •

وكتاب التهذيب للأزهرى ظل نادرا حتى عثر عليه ياقوت فى مرو وجده بخط الأزهرى فكتب منه نسخة وعاد بها من خراسان (٤) •

وحديث الرحالة ، ووصفهم للمكتبات فى البلاد الشرقية أمر يثير الدهشة فمما يقوله المقدسى فى وصف مكتبة عضد الدولة (•• وخزانة الكتب حجرة على حدة ، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صنف الى وقته من أنواع العلوم كلها الا وجعله فيها وهى (ازج) اى بيت يبنى طولا - فيه خزائن من كل وجه وقد الصق الى جميع حيطان الازج والخزائن بيوتا طولها قامة فى عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق عليها أبواب تنحدر من فوق ، والدفاتر منضده على الرفوف لكل نوع بيوت وفهرستات فيها أسامى الكتب (٥) •

وكان عند الصاحب من الكتب ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر

---

(١) المصدر السابق ١٦ : ٢٥٦ •
(٢) نفس المصدر ١٢ : ٢٢٣ •
(٣) الامتاع والمؤانسة •
(٤) انباه الرواة ١ : ٢٢٦ •
(٥) أحسن التقاسيم ٤٤٩ •

وبلغ فهرست تلك الكتب عشر مجلدات (١) وقدرت محتوياتها بمائه وسته الاف مجلد (٢) وذكر ابن خلكان وصفا لمكتبه نوح بن نصر السامانى (٣) لسنا فى حاجة الى الاستطراد اليه .

صلة الاقليم بالعراق :

ومع هذا الذى رايناه من رغبة قوية الى التحصيل والدرس ذهبوا بسببها الى العراق ـ وجاوزه بعضهم الى البادية ـ وعادوا بعلم غزير وكتب قيمة فان العراق ظل قبلة الطلاب وقبلة العلماء على السواء يجذبهم مرارا من أوطانهم ومن البيئات التى استقروا بها ، ويحقق لهم ما يصبون اليه من اتصال بزملائهم علماء البلاد الأخرى ، وكانت بغداد تباهى (بكثرة العلماء والمتعلمين ، والفقهاء ، والمتفقهين ، ورؤسـاء المتكلمين ، وسادة الحساب والنحوية ، ومجيدى الشعراء ، ورواة الأخبـار والانساب وفنون الآداب) (٤) فالسيرافى ، وأحمد بن محمد البشتى ، وأبو على الفارسى ، والأزهرى ، وعلى بن عيسى الربعى ، والجوهرى ، وأحمد بن فارس وكثير غير هؤلاء يطوفون ما يطوفون ثم يعودون الى العراق وبغداد بخاصة ويطول بنا القول لو تتبعنا كل واحد منهم لنرى كيف كان ينتقل فى البيئات العلمية المختلفة وبغداد فى وسطها كقطب الرحى وحسبنا بعض الأمثلة .

من الذين حضروا الى العراق ولم يعودوا بنـدار بن عبد الحميد الكرخى فأخـذ عن أبى عبيد القاسـم بن سـلام واستقر بالعراق (٥) أما البشتى فذهب طالبا الى العراق وأخذ اللغة والأدب عن أبى عمر الزاهد وأبى على اسماعيل الصفار وأبى جعفر الرزاز ... ثم جال فى خراسان

---

(١) معجم الأدباء ٦ : ٢٥٩ .
(٢) معجم الأدباء ١ : ٢٧٣ .
(٣) وفيات الأعيان ١ : ٢٧٣ .
(٤) تاريخ بغداد ١ : ٥١ .
(٥) معجم الأدباء ٧ : ١٢٨ .

وخرج الى ما وراء النهر (١) وعاد الى بغداد فأعجب به أهلهـا من تقدمه في المعرفة باللغة وصنف كتـاب تكملة العين وشرح أبيـات أدب الكاتب لابن قتيبة (٢) .

وأبو علي الفارسي ولد في فسـا في سنة ٢٨٨ هـ وذهب الى بغداد سنة ٣٠٧ هـ واستقر بها أكثر من ثلاثين سنة تعلم فيها وعلم (٣) ثم غادرها الى الموصـل في سنة ٣٤١ هـ (٤) وزار حلب ودمشـق ثم عاد الى العراق فمضى فيها نحو عامين ذهب بعدها الى شيراز وظل بها أكثر من عشرين سنة عاد بعدها الى بغداد مع عضـد الدولة في سـنة ٣٦٨ وظل بها الى ان مات (٥) .

وعلي بن عيسى الربعي شيرازي المولد تأدب في بغداد وقرأ مختصر الجرمي على أبي سـعيد السيرافي في سنة أربع وأربعين وثلاثمائه (٦) ثم انتقل من بغداد الى شيراز فقرأ على أبي الفارسي عشرين سنة ـ ثم رجع الى بغداد (٧) .

وحيث استقر بعضهم في بغداد كان رؤساء هذه البلاد يبردون اليهم باسئلتهم ويتلقون اجاباتهـا فمن ذلك ما يرويه ياقوت في معجم الأدباء ، وأبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة ان نوح بن نصر الساماني كتب الى أبي سعيد السيرافي وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحروف ... وكتب اليه الوزير البلعمي كتـابا ضمنه مسـائل في

---

(١) معجم الأدباء ١٠ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٢) انباه الرواة ١ : ١٠٧ وبغية الوعاة ١٦٩ .

(٣) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ .

(٤) يقول ابن جنى : انشدنا أبو علي رحمه الله لجرير .. بالموصل سنة واحد وأربعين الخصائص ١ : ٧٤ .

(٥) الأمتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ .

(٦) حقائق التأويل ٨٧ ـ ٨٨ .

(٧) معجم الأدباء ١٤ : ٧٨ .

القرآن وأمثـــالا للعرب مشـــكلة كمـــا كتب اليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من اذربيجان كتـــابا ســـأله عن مائة وعشرين مســـألة أكثرها فى القرآن (١) وكذلك كتب الصاحب بن عبـــاد الى أبى على الفارسى وهو فى بغداد يلتمس منه أن يأذن لرسوله بتصحيح كتاب التذكرة عليه (٢) ٠

هذه بعض الظواهر العـــامة فى البـــلاد الشرقية واليك حديثنا عن أقسامها ٠

---

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢٩ ومعجم الأدباء ٨ : ١٧٨ ٠

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٣٥ ٠

القسم الأول :

خراسان وماوراء النهر

خراسان :

كانت تعنى كلمة خراسان فى الفارسية القديمة (البلاد الشرقية) ولهذا كانت تطلق الكلمة على جميع البلدان الشرقية بما فى ذلك بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) (١) الذى كان بمثابة فاصل طبيعى بين من يتكلم الفارسية فى الغرب ، ومن يتكلم التركية فى الشرق .

وفى خراسان أربع عواصم هى مرو ، ونيسابور ، وهراة ، وبلخ ومن بلاد خراسان الهامة بوشنج ، وبست ، وسجستان ، وسرخس ، ونسا وطوس ، وابيورد ـ واشتهر فيما وراء النهر بخارى ، وسمرقند وخوارزم ، وفرغانة ، واشروسنه ، واسبيجان ، وفاراب ، وترمذ وزمخشر ، والجرجانية .

ومنذ فتحت هذه البلاد تعاقب عليها كثير من الولاة (٢) رأينا

---

(١) بلدان الخلافة الشرقية ٤٢٣ ط بغداد سنة ١٩٥٤ .

(٢) منهم : عبد الرحمن بن ابزى مولى خزاعة ، ثم جعدة بن هبيرة ابن أبى وهب المخزومى .. وفى عهد معاوية ولى عليها قيس بن الهيثم السلمى فمكث سنة او قريبا منها ، وتبعه خالد بن المعمر ، ،ثم ضمت الى عبد الله بن عامر والى البصرة؛ وكذلك كان =

في صحبتهم علماء من رجال الروايه وافترضنا ان لهم نشاطا لغويا الا يكن واسع المدى فهو على الأقل في مجالس هؤلاء الأمراء ، ولكن تعاقبهم ودهاب الرواة في آثارهم مزق هذه الجهود التي كان من الممكن ان تتماسك وتتضح آثارها ، ولم يتح لهذا الاقليم ان يحكم حكما مستقرا مستقلا أو شبه مستقل قبل عهد الطاهريين الذين حكموا هذه البلاد من سنة ٢٠٥ الى سنة ٢٥٩ هـ تعاقب عليها في هذه المدة خمسة من امراء آل طاهر ٠

الطاهريون وآثارهم :

كان رأس هذه الأسرة طاهر بن الحسين بن رزيق من قواد المأمون وجه به الى بغداد لمحاربة الأمين فظفر به طاهر وقتله فعينه المأمون واليا على خراسان وكان طاهر جوادا كريما (١) بالاضافة الى تعلقه بالعلم وأهله ـ استأثر طاهر بأبي المنهال عوف بن محلم الخزاعي الأديب الراوية ثلاثين سنة لا يخرج في سفر الا أخرجه معه وجعله زميله وأنيسه وعديله، وكان يستأذنه في الانصراف الى أهله فلا يأذن له ـ فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص ، ولكن عبد الله ابنه قربه وأنزله منزلته من أبيه (٢) ويروى عن طاهر انه حدث عن عبد الله بن المبارك وعن عمه على بن مصعب وأخذ عليه ابناه عبد الله وطلحة ٠ واستدنى هذا الأمير العالم كبار العلماء وبسط لهم في الرزق وحملهم على ان يجودوا بعلمهم فألف الفراء كتاب المذكر والمؤنث ، وكتاب البهى أو البهاء لابنه عبد الله (٣) ٠

= يولى زياد بن أبى سفيان من قبله على خراسان فلما مات زياد ولى اقليم خراسان عبيد الله ابن زياد ٠ وفى أيام الحجاج وليها من قبله قتيبة بن مسلم ، ويزيد بن المهلب ، ووكيع بن حسان التميمى ٠٠ ونصر بن سيار انظر فتوح البلدان ٤١٥ وما بعدها ٠

(١) نظر فى رقاع الناس فى مجلس واحد فوقع فيها صلات أحصيت الف الف وسبعمائة الف فلما ذكر له هذا السرف قال : السرف شرف ٠ تاريخ بغداد ٩ : ٣٥٤ ٠

(٢) فوات الوفيات ٢ : ١٤٨ ٠

(٣) البقية ١٧٣ ، والفهرست ١٠٠ ، وفيات الأعيان ٢ : ٣١٧ ٠

وسار عبد الله سيرة أبيه فشب على حب العلم واحترم
قلده المأمون ولايه خراسان وناوله العهد بيده قال : حاجة
قال : مقضية • قال : يسعفنى أمير المؤمنين فى استصحاب
قال من هم ؟ قال : الحسين بن الفضل البجلى ، وأبو ...
وأبو اسحق القرشى فاجابه ••• وعلق المأمون بقوله : لقد اخليت العراق من الأفراد (١) وكان عبد الله يرفع الكلفة بينه وبين العلماء ولا يزعجهم بتقاليد القصر (٢) فطابت اقامتهم ولم يجتمع منهم فى بيت من بيوت أمثاله الأمراء أجل ممن اجتمع فى بيته ـ استدنى أبا عبيد القاسم بن سلام وكافأه على مصنفاته ومنحه ألف دينار عن كتاب الغريب المصنف فتعود أبو عبيد أن يقدم اليه كتبه فلما اهداه كتاب غريب الحديث قال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق الا يخرج عنا الى طلب معاش وأجرى له عشرة آلاف درهم فى كل شهر ولزمه بعد ذلك • ومن مظاهر احترامه لهذا الرجل ما يرويه أبو العباس أحمد بن يحيى قال : قدم طاهر ابن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث فى حياة أبيه يريد الحج فنزل فى دار اسحق بن ابرهيم (الطاهرى) فوجه اسحق الى العلماء فاحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم فحضر أصحاب الحديث والفقه وأحضر ابن الاعرابى وأبا نصر صاحب الأصمعى ووجه الى أبى عبيد القاسم بن سلام فى الحضور فابى أن يحضر وقال : العلم يقصد • فغضب اسحق من قوله وقطع عنه الرزق وكتب الى عبد الله بالخبر فكتب اليه عبد الله : قد صدق أبو عبيد فى قوله ، وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله فاعطه فائته وأدر عليه بعد ذلك ما يستحقه (٣) •

---

(١) معجم الأدباء ٣ : ٢٣ ـ ٢٤ •

(٢) حضر يوما أبو سعيد الضرير مجلسه وقدم اليه قصب السكر وقد قشر وقطع فلما كره تناوله للغاظته التى ترجع من الأفواه طمأنه عبد الله بقوله : ليس صاحبك من احتشمك واحتشمته •

(٣) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦١ •

وكان أمرا عاديا أن نرى حول هذا البيت كبار رجال البصرة وصفوة رجال الكوفة ، ويبدو ان استدعاء زعيمى البلدين الى هذه الدار كان امرا متعمدا للاستفادة بما عندهما ومعرفة بعض وجوه الاختلاف بين المذهبين ويصف عبيد الله بن عبد الله بن طاهر مجلسا طريفا من مجالسهما فيقول :

(حضرت مجلس أخى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وحضره أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وابو العباس محمد بن يزيد المبرد النحويان فقال لى أخى : قد حضر هذان الشيخان وأنا أحب أن أعرف أيهما أعلم ـ أو نحو هذا من الكلام ـ فاجلس فى الدار الفلانية ويحضر هذان الشيخان بحضرتك ويتناظران ـ ففعلت ما أمر ، واحضرا ، فتناظرا فى شيء من علم النحو مما أعرفه فكنت أشاركهما فيه الى ان دققا فلم افهم ـ ثم عدت اليه بعد انقضاء المجلس فسألنى فقلت : انهما تكلما فيما أعرف فشاركتهما فى معرفتى ـ ثم دققا فلم أعرف ما قالا ـ ولا والله ياسيدى ما يعرف اعلمهما الا من هو أعلم منهما ولست ذلك الرجل) (١) .

والذى يسترعى النظر تعلق العلماء بهذه البيئة وطول مكث الوافدين منهم على آل طاهر ، فقد تتلمذ عبد الله بن طاهر على أبى المنهال عيينة ابن عبد الرحمن وظل معه حتى توفى أبو المنهال (٢) وظل ثعلب فى ضيافتهم ثلاث عشرة سنة (٣) وهو يصف تعلقهم به فيقول : اقعدنى محمد بن عبد الله بن طاهر مع ابنه طاهر ، وأفرد لى دارا فى داره وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه أربع ساعات من النهار ثم انصرف اذا اراد الغداء فنمى ذلك الى أبيه فكسا البهو والاروقة وأضعف ما كان يعد من الألوان ، فلما حضر وقت الانصراف انصرفت فنمى ذلك اليه فقال للخادم

---

(١) انباه الرواة ١ : ١٤٠ وتاريخ بغداد ٥ : ٢٠٨ .
(٢) معجم الأدباء ١٦ : ٢٦٥ .
(٣) معجم الأدباء ٥ : ١٢٦ .

المؤلل بنا : قد نمى الى انصراف احمد بن يحيى وقت الطعام فظننت انه يستقل ما يحضر ولم يستطب الموضع فأمرنا بتضعيفه ثم نمى الينا أنه انصرف ، فقل له عن نفسك : أبيتك أبرد من بيتنا ؟ أو طعامك أطيب من طعامنا ؟ وتقول له عني : انصرافك الى بيتك وقت الغداء هجنة علينا ، فلما عرفني الخادم ذلك أقمت فكنت على هذه الحال ثلاث عشرة سنة (١) .

واهتمام هذا الأمير بالأعراب الرواة يدلك على مبلغ تعلقه بالعربية وروايتها ذلك انه لما قدم نيسابور أقدم معه جماعة من أدباء الاعراب منهم : عرام ، وأبو العميثل ، وأبو العيسجور ، وأبو العجنس ، وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم (٢) ويبدو انهم كانوا من الكثرة بحيث ذكر أبو حامد الخرزنجي في مصادره كتابا باسم (نوادر الأعاريب الذين كانوا مع ابن طاهر ورواها عنهم أبو الوازع محمد بن عبد الخالق) (٣) ومن أسير هؤلاء الأعراب ذكرا وأشهرهم أمرا في بيت آل طاهر أبو العميثل ، واليك ما نعرفه عنه :

أبو العميثل

وهو عبد الله بن خليد (٤) والعميثل اسم من أسماء الخيل ، وهو المتبختر في مشيته ، ويبدو انه ليس جديد الصلة بالبلاد الشرقية فقيل ان أصله من الري كما يحكي ابن النديم (٥) وابن خلكان (٦) فهل يعني هذا انه ولد بالري أم ان هذه صفة لاجداده ؟ أميل الى الرأي الأخير لأن جده سعدا كان مولى للعباس بن عبد المطلب وعلى هذا فأبو العميثل ينحدر من جيلين على الأقل نشآ في بني هاشم ، ولم تكن

---

(١) معجم الأدباء ٥ : ١٢٦ .

(٢) معجم الأدباء ٣ : ١٧ .

(٣) انباه الرواة ١ : ١٠٩ .

(٤) هكذا في فهرست ابن النديم ص ٧٢ وفي وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٥ وفي المخطوطة المنسوبة له باسم المأثور (ابن خالد) .

(٥) الفهرست ٧٣ .

(٦) وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٥ ط السعادة سنة ١٩٤٨ .

لتحقق له صفة الأعرابى لو لم يقض شطرا طويلا من حياته فى البادية .

خدم أبو العميثل طاهر بن الحسين ، ومن بعده عبد الله بن طاهر ونشأت صداقة وطيدة بين عبد الله وبين أبى العميثل ، دخل عليه يوما وقبل يده فقال له عبد الله مازحا : خدشت يدى بخشونة ذقنك . فقال أبو العميثل على الفور : ان شوك القنفد لا يؤلم برثن الأسد فأعجبه قوله ، وحجب عنه مرة فأنشد :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه   على ما أرى حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوما على الاذن سلما   وجدت الى ترك اللقاء سبيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأمر بايصاله على أى حال كان (١) .

وكان أبو العميثل من المتحذلقين ، يفخم كلامه ويعربه ، ومن كتبه :

- كتاب المتشابه .
- كتاب الأبيات السائرة .
- كتاب معانى الشعر .
- كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه .

ولم يرد الينا الا الكتاب الأخير الذي نعرف به الآن .

طبع هذا الكتاب بعناية الدكتور ف . كرنكوى بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٢٥ م وجاء فى الصفحة الأولى : (الكتاب المأثور عن أبى العميثل الأعرابى وهو كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه) - وفى الجهة المقابلة مقدمة باللغة الألمانية عرف فيها كرنكوى بأبى العميثل ولم

---

(١) الفهرست ٧٣ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٥ .

يزد على ما ذكره ابن النديم فى الفهرست وابن خلكان فى الوفيات ـ ثم عرف بالكتاب وتحدث عن مسلكه فى تحقيقه ونحن ننقل عنه ما يلى موجزا :

(بقى لنا من كتب أبى العميثل هذا الكتاب فى المخطوطة التى اكتشفها الهر O'RESCHER فى مكتبة بايزيد والتى كتبت فى سنة ٢٨٠ هـ وهى أقدم مخطوطة عربية فى الأدب موجودة فى أوربا ... والمخطوطة كلها فى حالة جيدة رغم قدم تاريخها لولا ان بعض المواضع قد طمست بسبب عمليات الترميم التى غطت سطرا أو سطرين أحيانا ... وقد حاولت اكمال هذا النقص اما بمعونة السياق أو بالاستعانة بالمواضع المتشابهة لها فى كتب أخرى ووضع هذه التكملة بين قوسين ...

وليس للكتاب فى هذه المخطوطة عنوان ويبدو أن عنوان الكتاب كان مع اسناده على ورقة واحدة قد فقدت . وبالاضافة الى ذلك فان ترتيب الكتاب فى المجلدة ليس الترتيب الصحيح ، وبالرغم من انى قمت بترتيب الصفحات فانه يخشى ان تكون هناك أوراق مفقودة بعد صفحة ٢٩ وصفحة ٤١ لأن صاحب معجم البلدان ينسب الى أبى العميثل معنى الكلمتين غينة وغيضة (١) والكلمتان لا توجدان فى الكتاب) (٢) .

وعقب الدكتور كرنكوى على طريقة أبى العميثل بقوله :

(بدون خطة يمكن تبينها أورد المؤلف سلسلة من الكلمات وأعطى لكل كلمة الشروح التى ترد على خاطره دون ان يحاول استكمال كل

---

(١) و (٢) والرأى عندى أن وجود الكلمتين فى معجم البلدان منسوبتين الى أبى العميثل مع خلو كتابه منهما لا يعنى بالضرورة فقدان أوراق من الكتاب لأن أبا العميثل لم يتبع طريقة تمكنه من حصر الكلمات التى يعرفها ويضمها الى كتابه ولقد اتيح لى مصادفة ان أجد فى لسان العرب كلمة العلج بمعنى الرغيف عن أبى العميثل . مادة علج وقد أورد أبو العميثل الكلمة فى كتابه وذكر لها ثلاثة أوجه .

المعاني التي يمكن ان تدل عليها هذه الكلمة ـ ويقول ـ : ان بامكاننا في عدة مواضع ومن القواميس الكبيرة ، ومن استعمال الشعراء القدامى ان نزيد عدد المعاني للكلمات التي يتحدث عنها ، ولكن سلوكا كهذا سيؤدي الى البعد كثيرا عن نهج الكتاب لو اننا سرنا في هذا السلوك الى مداه ...

والمؤلف يروي حشدا من الأبيات للشعراء القدامى ولكنه حين يضطر يستعمل أبياتا لشعراء متأخرين فقد ذكر البرامكة مثلا في صفحة ٥٥ من المخطوطة وقد وجدنا بعض أخطاء نسلم أنها تعود الى الناسخ (أبي الجهم) كما يسمى نفسه في آخر المخطوطة وقد وقع منه على الأقل من حين لحين ان يترك الأجزاء الأخيرة من قصيدة أو بيت لمجرد ان السطر لم يكف أو لمجرد النسيان .

هذه الغلطات ـ قمت أنا ـ كلما كان ذلك ممكنا ـ بتصحيحها وحررت أيضا ، وبغاية ما استطيع مواضع الشعراء وفي هذا السبيل أمكنني في كثير من الأبيات التي ذكرت كمجهولة القائل ان أكملها باسم الشاعر ووضعته بين قوسين) .

وقد لاحظنا ـ بالاضافة الى هذه الملاحظات التي ذكرها الدكتور كرنكوي ان صاحب الكتاب الذي لم يستند الى خطة معينة في ترتيبه كان يعود فيستدرك على مادة استوفى الحديث عنها كان يقول في (الغراب) ثلاثة أوجه ص ١٢ ثم يعود في صفحة ٦٤ فيستشهد لمعنى من معانيها بشعر للنابغة ورجز لراجز لم يذكر اسمه .

وكذلك الأمر في كلمة الرؤبة التي تحدث عنها في صفحة ١٧ بقوله : (الرؤبة بالهمز القطعة من الخشب تشعب بها الثلمة من الاناء أو من الحجارة يشعب بها ثلمة قدر الحجارة وبها سمي رؤبة بن العجاج ، هذه

وحدها مهموزة) ثم عاد في صفحة ٥١ فقال : الرؤبة بالهمز ما شعبت به القدح قال ذو الرمة :

تدهدى فطاحت رؤبة من صميمه فبدل اخرى بالغراء وبالشعب

ـ وفي كلمة انصب قال : هي على ثلاثة اوجه ولم يذكر الا وجها واحدا (ص ٤١ ـ ٤٢) .

أما الملاحظه الهامة فتتمثل في رواية الكتاب ، فلقد استقر في نفوسنا ان الاعراب كانوا دعامة كبيرة من دعامات التلقي استنادا الى سليقتهم وذا اختلف الرواة العلماء ذهبوا يستوثقون من فطرة الإعراب الرواة ، ولكن الأمر في كتاب المأثور عن ابى العميثل يجرى على غير هذا ، فهو يروى عن أبي عمرو (١) وعن الأصمعي (٢) والكسائي (٣) وابن الأعرابي (٤) أو يقول : (وسمعت بعض أصحاب العربية) (٥) وأكثر من هذا يروى عمن روى عن الأصمعي فيقول (حكى ذلك أبو نصر) أي أحمد بن حاتم وهذا يخالف منهج الاعراب الذين لم نجد منهم من تلمذ لعلماء الرواية غير أبي مسحل الذي تحدثنا عنه في كتابنا رواية اللغة ضمن أعراب بغداد حين أخذ النحو عن الكسائي وروى شعر الشواهد عن على بن المبارك ـ ولكن المقارنة بين أبي مسحل وأبي العميثل تختلف ، فالأول أعرابي استهوته الدراسة العقليه ورأى فيها كليات اللغة التي تجرى سليقتها على لسانه ـ أما مادة الكتاب الذي نعرف به الآن فشيء تمدنا به فطرة العربي وسعة معرفته بلغته والكلام عن المشترك اللفظي كلام نقلي لا عقلي ـ ولهذا فاني أرجح وجود اضافات دأخلت من الكتاب على يدى أبي سعيد الضرير

---

(١) ص ٢٥ .

(٢) ص ١٨ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٧٧ .

(٣) ص ٢٥ .

(٤) ٣٢ ـ ٣٧ ـ ٧٣ ـ ٨١ ـ ٨٥ .

(٥) ص ٤٧ .

الذى يغلب على الظن أيضا انه راوى الكتاب استنادا الى اشارات فى الكتاب منها :

ـ قال أبو سعيد : الدخل دون العصفور ص ٣٨ ،

: والامة الامام الذى يؤتم به الشيء ، ومنه قوله ابراهيم كان امة قانتا) وقياسه من الكلام هزأة ولعبة وضحكة ص ٤٤ ـ وكلمة القياس مما يتحدث به الرواة العلماء لا الأعراب .

: والحصير البخيل ، والحصير الضيق الصدر ، والحصير العيى ص ٤٨

: وفى ص ٧٠ أنشد أبو سعيد للطرماح ...

ويبدو ان الوراقين قد شاركوا أيضا فى اضافة زيادات الى متن الكتاب يدلك على ذلك هذه العبارة (الطريدة على ثلاثة أوجه ... والطريدة لعبة يقال لها المبنية لم يعرفها أبو سعيد ولا الأعراب) ص ٥٢ .

أما صلة أبى سعيد الضرير بهذه البيئة ، وبابن الأعرابى الذى روى عنه كثيرا فى الكتاب ، وبرؤبة والعجاج وقد استشهد بكثير من ارجازهما فتوضحه هذه العبارة التى جاءت فى كتاب نكت الهميان فى ترجمة أبى سعيد :

(... وكان يلقى الاعراب الفصحاء الذين استوردهم ابن طاهر الى نيسابور فيأخذ عنهم مثل ... وأبو العميثل) (١) أما صلته بابن الاعرابى فانه تلمذ له وأخذ عنه أشعار العجاج ورؤبة ذكر ابن الأعرابى لبعض من لقيه من الخراسانية فقال : (بلغنى ان أبا سعيد الضرير يروى عنى أشياء كثيرة فلا تقبلوا منه من ذلك غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤبة فانه عرضهما على وصححهما) (١)

---

(١) نكت الهميان فى نكت العميان ٩٧ .

وليس كتاب أبى العميثل فيما حمله من زيادات شذوذا فيما ورد الينا من كتب القدامى فلقد بلغت الزيادة كما رأينا فى كتاب النوادر للأصمعى الذى وجد فى خزائن آل طاهر أكثر من الثلث • ولقد ناقشنا هذا الموضوع فى كتابنا (رواية اللغة) فى سياق حديثنا عن كتاب العين المنسوب للخليل كما أشرنا فى هذا السياق الى الزيادات التى داخلت كتاب النوادر لابى زيد والنقائض لابى عبيدة •

ويعتبر كتاب أبى العميثل (ما اتفق لفظه واختلف معناه) من أقدم الكتب التى تناولت المشترك اللفظى •

أما بقية الاعراب الرواة فى بيئة آل طاهر فبالرغم من كثرتهم فالحديث عنهم قليل ولم أجد من أخبارهم الا أن (عوسجة) ممن استقدمهم عبد الله ابن طاهر وتأدب عليه أحمد بن خالد البغدادى (أبو سعيد الضرير) (١)

ثم كان السامانيون على سيرة اسلافهم يعظمون العلم ويحترمون العلماء يذكرهم المقدسى بقوله (وهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا واجلالا للعلم وأهله •• ومن أمثال الناس : لو ان شجرة خرجت على آل سامان ليبست ••• ومن رسومهم انهم لا يكلفون أهل العلم بتقبيل الأرض ولهم مجالس عشيات جمع رمضان للمناظرة بين يدى السلطان فيبدأ هو مسألة ثم يتكلمون فيها) (٢) •

فى مثل هذه البيئات يجود العلماء ، وتنفق سوق العلم ونحن نتحدث عن أهم البيئات العلمية التى نشأت فى ظل الولاة الذين عرفوا بتشجيعهم للحركة العقلية والفكرية فى شرق العراق •

---

(١) بغية الوعاة ١٣٢ •

(٢) أحسن التقاسيم ٣٣٨ ـ ٣٣٩ •

نيسابور

تعريف موجز :

من أصح بلاد خراسان هواء ، نقل اليها الطاهريون دار الامارة ، وكانت مرو وبلخ عاصمتى خراسان عند الفتح الاسلامى فنفق علمهـــا فى جانب الأمراء ، وظلت كذلك فى عهد السامانيين وصفها المقدسى فىعهدهم بقوله : (... وبنيسابور رسوم حسنة منها مجالس المظالم فى كل يوم أحد وأربعاء بحضرة صاحب الجيش أو وزيره ... وحوله القاضى والرئيس والعلماء والأشراف ، ومجلس الحـكم كل يوم اثنين وخميس بمسجد رجاء لا ترى فى الاسلام مثله ، ولوجوه البلد بالغدوات مجالس على أيام الجمعة يجتمع فيها القراء يقرءون الى ضـحى) (١) ويقول فيهـا ياقوت (معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوفت من البلاد مدينة كانت مثلها) (٢)

وليس من منهجنا ان نعرض لجميع علماء هذا البلد وفيهم صـــاحب الفلسفة ، والقارىء ، والعاكف على الحديث والفقيه ، والاصولى مع علمنا ان هؤلاء جميعا يلتمسون اللغة على تفاوت وليس لواحد منهم ان يستغنى عن طلبها ، ولكن المضى فى التنقيب والبحث على هذا الشمول يخرج عن الاطار الذى حددناه لهذا الكتاب وحسبنا من هؤلاء علماء اللغة وشوامخها بخاصة.

فمن قدامى اللغويين فى هذا البلد أبو المنهال عيينة بن عبد الرحمن

---

(١) أحسن التقاسيم ٣٢٨ .

(٢) معجم البلدان ٨ : ٣٥٦ .

المهبى ، وهو أحد تلامذة الخليل بن أحمد ، صحب أبا العباس عبد الله ابن طاهر بن الحسين • ولأبى المنهال كتاب النوادر وكتاب الشعر (١) ولم يقع الى واحد منهما •

ووافى نيسابور مع عبد الله بن طاهر ـ أبو سعيد أحمد بن آبى خالد الضرير قادما من بغداد وكان قد تزود من أبى عمرو الشيبانى وعرض ديوانى رؤبة والعجاج على ابن الاعرابى (٢) وسمع فى مجلسه شعر الكميت (٣) وأفاد من الاعراب الرواة الذين وجدهم فى نيسابور فعقد مجالسه فى هذا البلد وأملى المعانى والنوادر ، ونظر فى كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام فخرج جملة مما غلط فيه • ومن تصانيفه : كتاب الرد على أبى عبيد فى غريب الحديث وكتاب الأبيات (٤) وروى كتاب أبى العميثل الاعرابى (ما اتفق لفظه واختلف معناه) •

الخارزنجى صاحب كتاب التكملة :

ومن علماء نيسابور أبو حامد أحمد بن محمد الخارزنجى البشتى صاحب كتاب التكملة أومأ الى انه كمل به كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد وقد أثار اعجاب البغداديين لتقدمه فى المعرفة باللغة فقيل : هذا الخراسانى لم يدخل البادية قط وهو من آدب الناس فقال : انا بين عربين بشت وطوس ، يشير بذلك الى الأعراب الذين نزلوا فيهما (٥) •

ولما فات أبو حامد ان يسمع من علماء اللغة اعتمد على الوجادة ولم يترك شامخا من شوامخ الرواية اللغوية الا نظر فيما تيسر له من كتبه ولقد أثبت فى صدر كتاب التكملة مراجعة فكان منها :

(١) معجم الأدباء ١٦ : ١٦٥ و انباه الرواة ٢ : ٣٨٤ و بغية الوعاة ٣٧١ •
(٢) معجم الأدباء ٣ : ١٨ ، انباه الرواة ١ : ٤١ •
(٣) معجم الأدباء ٣ : ٢٥ •
(٤) معجم الأدباء ٣ : ١٧ •
(٥) معجم الأدباء ٤ : ٢٠٦ •

لأبى سعيد عبد الملك الأصمعى: كتاب الأجناس ، النوادر ، الصفات
اشتقاق الأسماء ، السقى والموارد ، الأمثال ،
ما اختلف لفظه واختلف معناه •

ولابى عبيدة معمر بن المثنى : كتاب النوادر ، الخيل ، الديباج •
وللنضر بن شميل : معانى الشعر ، ومعانى غريب الحديث •
ولأبى عبيد القاسم بن سلام : كتاب الغريب المصنف ، الأمثال ،
غريب الحديث •
ولابن السكيت : كتاب الألفاظ ، الفروق ، الممدود
والمقصور اصلاح المنطق ، المعانى ،
النوادر •
ولأبى زيد سعيد بن أوس : كتاب النوادر بزيادات أبى مالك •
ولأبى خيرة الأعرابى : كتاب الصفات •
ولقطرب : كتاب الفروق ، والأزمنة ، واشتقاق
الأسماء •

ومن كتب النوادر كتاب أبى عمرو الشيبانى ، وابن الاعرابى ، والفراء ، والاخفش واللحيانى ، واليزيدى ـ كما ذكر من مراجعه كتاب لغات هذيل لعزيز بن الفضل الهذلى ، وكتب ابى حاتم السجزى ، والاعتقاب لابى تراب ، ونوادر الاعاريب الذين كانوا مع ابن طاهر بنيسابور •

ومن حق القارىء ان يطمئن بعد ان يقرأ هذا الثبت من المراجع وفيها ما يستطيع ان يستدرك به على كتاب العين ، ولكن الرواية بالسماع كانت الذروة فى مراتب الرواية ، وكان البشتى يدرك ذلك فقال وهو يحاول تبرير مسلكه وطمأنة قرائه (استخرجت ما وضعته فى كتابى من هذه الكتب ••• ولعل بعض الناس يبتغى العنت بتهجينه والقدح فيه لأنى أسندت مافيه الى هؤلاء العلماء من غير سماع ••• وانما اخبارى عنهم اخبار عن صحفهم

ولا يزرى ذلك على من عرف الغث من السمين وميز بين الصحيح والسقيم ... وقد فعل ذلك أبو تراب صاحب كتاب الاعتقاب فانه روى عن الخليل ابن أحمد ، وأبى عمرو بن العلاء ، والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة — وكذلك القتيبي روى عن سيبويه والاصمعى وأبى عمرو وهو لم ير منهم أحدا) (١)

ولكن يبدو ان هذا العمل الذى أتى به الخارزنجى كان عملا خطيرا بحيث تصدى له الازهرى صاحب التهذيب وبذل فيه جهداً فى نقده ،وقرنه الى كتاب آخر اسمه الحصائل قصد به صاحبه تحصيل ما اغفله الخليل

(فاما أبو الأزهر البخارى الذى سمى كتابه الحصائل فانى نظرت فقال :

فى كتابه الذى ألفه بخطه وتصفحته فرأيته أقل معرفة من البشتى ،واكثر تصحيفا — ولا معنى لذكر ما غير وأفسد لكثرته ، وان الضعيف المعرفة عندنا من أهل هذه الصناعة اذا تأمل كتابه لم يخف عليه ما حليته به ،ونعوذ بالله من الخذلان) (٢) ومن هذا تلمح امتهان الازهرى لكتاب الحصائل على حين بذل جهدا فى نقد كتاب التكملة ينبيء عن قيمته •

تناول الازهرى ثلاث نقاط فى نقده لكتاب التكملة نوجزها فيما يلى :

— ان البشتى اعترف بانه صحفى ، والصحفى يخبر عن كتب لم يسمعها أكثرها لم يضبط بالنقط الصحيح وهى بذلك عرضة للتصحيف •

— ان رواية أبى تراب ، والقتيبى ، وغيرهما عمن لم يسمعوا منه فليس لأ ذلك حجة له ، ثم صوب رواية أبى تراب لأنه سمع من أبى سعيد الضرير ومن شمر ومن فصحاء الاعراب ، كما صوب رواية القتيبى لأنه سمع من أبى حاتم السجزى كتبه كما سمع من الرياشى ومن أبى سعيد الضرير ومن ابن أخى الاصمعى — وعرض بالبشتى فى عنف حين وصل

---

(١) انباه الرواة ١ : ١٠٩ •

(٢) مقدمة التهذيب •

حديثه بقوله : (ولا يلحق بهما - أى بابى تراب والقتيبى - رجل من أصحاب الزوايا لا يعرف الا بقريته ولا يوثق بصدقه) .

- ثم تناول الازهرى بعض مفردات الكتاب بالنقد والتصويب وكانت من الكثرة بحيث شغلت جزءا كبيرا من كتاب القفطى ختمها بقوله : (ولو استقصيت تهذيبها اجتمعت منها دفاتر كثيرة) .

لم يصلنا كتاب التكملة - على ما أعلم - ولكنا نستطيع من خلال نقد الازهرى له واهتمامه به ، وطرحه لكتاب المحصول ان نتبين قدر البشتى حين يستدرك على كتاب العين متسلحا بهذا القدر من كتب الرواة .

● الجوهرى وكتاب الصحاح :

ومن علماء نيسابور أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى (1) وهو تركى من فاراب ، أخذ عن أبى على الفارسى ، وعن خاله أبى نصر الفارابى صاحب ديوان الأدب ، وعن أبى سعيد السيرافى - طوف فى العراق والشام كما طوف فى البادية يجمع اللغة من أفواه الاعراب ، ويصحح ما عنده منها . وكأنى فى حاجة الى الوقوف عند الفقرة الأخيرة فنحن فى القرن الرابع ، وأصحاب العربية يرتضون روايتها ويتقبلونها باطمئنان الى نهاية القرن الثانى ، ولكن علماء اللغة الذين عاشوا بعد القرن الثانى رأوا آثار البادية فى أسلافهم فلم يكف أولوا العزم منهم أن يتلقوا اللغة على شيوخها أو عن الكتب التى تركها الرواة ، بل كأنهم يباهون بها ، والجوهرى يشير الى ذلك فيقول فى واحدة منها :

(سألت اعرابيا بنجد من بنى تميم وهو يستقى وبكرته نخيس فوضعت أصبعى على النخاس (موضع اتساع ثقب المحور) فقلت ما هذا

---

(1) اختلف فى تاريخ وفاته فقيل ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ .

وأردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء فقال : نخاس بخاء معجمة فقلت أليس قال الشاعر •

وبكرة نحاسها نحاس ؟

فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) (١) •

ظل أبو نصير في طوافه حتى استدعاه الحسين بن علي وهو من الكتاب الى خراسان فاكرم وفادته ثم رحل الى نيسابور فلم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف • وشهرة الجوهري تتركز حول كتاب الصحاح الذي ابتكر فيه طريقة الترتيب بحسب أواخر الكلمات فسهل تناوله •

منهج الجوهري في الصحاح

في مقدمة قصيرة ، عرف الجوهري بدواعي وضعه للكتاب وبترتيبه الذي وعد أن يلتزم به ، وقال في خطبته : (••• قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق اليه وتهذيب لم أغلب عليه بعد تحصيلها في العراق رواية ، واتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ولم آل في ذلك نصحا ولا ادخرت وسعا) (٢) •

لاحظ الجوهري ان طلاب اللغة لا يصلون الى بغيتهم الا بمشقة . وان عليهم أن يلموا بعلم التصريف والأبنية فأراد ان يجنبهم هذا الجهد ، فرتب الابواب بحسب الحرف الاخير في الكلمة ودل على فصلها بواسطة الحرف الأول ، وجعل وسط الكلمة متتابعا على حروف الهجاء •

---

(١) معجم الأدباء ٦ : ١٦٤ •
(٢) المزهر ١ : ٩٧ •

وزيادة على هذا النهج فى الترتيب تميز الكتاب بالاختصار فلم يجمع الجوهرى فيه بين مختلف الأقوال ، وترك الوحشى الذى لا يجرى على الألسنة فأتاح للمتوسطين من الطلاب سهولة البحث ، كما سهل حمله ونقله والانتفاع به .

دراسات حول الصحاح :

ظهر هذا الكتاب بترتيبه الجديد ، فأقبل عليه المشتغلون باللغة يدرسونه ويعلقون عليه واليك أهم الدراسات التى عملت حول الصحاح :

ذكر صاحب البغية ان محمد بن تميم البرمكى المتوفى سنة ٣٩٧ هـ عمل كتابا فى اللغة سماه (المنتهى) نقل فيه من الصحاح وزاد فيه أشياء قليلة وأقرب فى ترتيبه (١) وكان البرمكى معاصرا للجوهرى مما نفهم معه ان تأليف الصحاح آثار انتباه العلماء منذ وجد .

وعلى بعد الشقة بين خراسان ومصر، فان المصريين شغلوا بالبحث عنه والاهتمام به ، وما كاد ابن القطاع الصقلى يصل الى مصر حتى لاحظ هذا الالحاح فى طلبه فركب فيه طريقا الى روايته (٢) .

وتلمذ على ابن القطاع ـ أبو محمد عبد الله بن برى المصرى وكان لابن برى دور فى كتاب الصحاح فيقال ان ابن القطاع شرح حواشيه ، وثنى ابن برى فى كتاب سماه (التنبيه والايضاح فيما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح) استدرك فيه على المؤلف بعض الألفاظ وزاد بعض الشواهد ووصل فيه الى مادة (و . ب . ش) فأكمله من بعده عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن البسطى (٣) .

---

(١) بغية الوعاة ٢٨ ترجمة محمد بن تميم البرمكى .
(٢) الخبر فى انباه الرواة ١ : ١٩٧ و ٢ : ٢٣٦ .
(٣) البغية ٢٧١ ، المزهر ١ : ٩٩ .

ثم عمل الصغانى كتـــاب (التكملة والذيل والصـــلة (وقارن بين الصحاح وهذه التكملة فى كتاب سماه (مجمع البحرين) (١) .

وشغل به محمود بن أحمد المعروف بالزنجانى ووضع كتابا سماه (ترويح الارواح فى تهذيب الصحاح) ثم عد فاختصر هذا الكتاب وقال فى سبب ذلك : (... ثم نظرت نظرا ثانيا فرأيت همم بنى الزمان ساقطه ورغباتهم نائمه وحرصهم وحفظهم كليلا فأوجزته ايجازا ثانيا حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهرى ولا يعـــوزه من لغته أكثر من العشر) (٢) .

وقام بنشر هذا المختصر تحت عنوان (تهذيب الصحاح) الاستاذان عبد السلام هارون ، وأحمد عبد الغفور عطار فضبطا مهمله وقاما بتفسير المبهم الى غير ذلك .

ولم يكن اختصـــار الصـــحاح وقفا على الزنجانى فقد نشط لذلك محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى الذى عمل (مختار الصحاح) وفرغ من وضعه سنة ستين وسبعمائة وقال فى سبب وضعه (.. هذا مختصر فى علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح للامام العالم .. الجوهرى .. لما رايته أحسن أصول اللغة ترتيبا ، واوفرها تهذيبا ، واسهلها تناولا ، وأكثرها تداولا وسميته مختار الصحاح واقتصرت فيه على ما لابد منه لكل عالم فقيه أو حافظ ، أو محدث ، أو أديب من معـرفته وحفظه .. واجتنبت فيـــه عويص اللغة وغريبها طلبا للاختصار ، وضممت اليه فوائد كثيرة من تهذيب الازهرى وغيره من اصول اللغة الموثوق بها ، وما فتح الله تعالى به على - فكل موضع مكتوب فيه (قلت) فانه من الفوائد التى زدتها على الأصل) (٣)

---

(١) النجوم الزاهرة ٧ : ٢٦ .

(٢) ص ٤ مقدمة تهذيب الصحاح .

(٣) مقدمة مختار الصحاح ط سنة ١٩٠٨ .

وفي العصور المتأخرة عمل السيوطي كتابا سماه (فلق الاصباح في تخريج أحاديث الصحاح) ـ ويقول الأستاذ الرافعي (وبلغ من اهتمامهم بكتاب الصحاح أنه كان في بلاد قرامان مدرسة مشهورة بمدرسة السلسلة ، شرط بانيها الا يدرس فيها الا من حفظ كتاب الصحاح للجوهري) (١)

ومن علماء نيسابور ـ أبو محمد النيسابوري اسماعيل بن محمد بن عبدوس ، أخذ عن الجوهري ، واستكثر منه وحصل كتاب الصحاح بخطه (٢) ومنهم محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي وأستاذ عبد القاهر الجرجاني (٣) .

● **أبو منصور الثعالبي صاحب فقه اللغة :**

وجاء بعد هؤلاء أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، صنف كثيرا من الكتب (٤) كان أغلبها تقربا الى أمراء عصره ، واقرب هذه الكتب سببا الى بحثنا كتاب فقه اللغة ، وهو صورة لمعجم جديد لا يجري على طريقة الموضوعات كتلك الرسائل التي كتبها قدامى الرواة ، ولا يهدف الى جمع اللغة كما أرادها كتاب العين ، والجمهرة ، والتهذيب ، والبارع ، والصحاح ولكنه اراد جمع المستعمل من اللغة أو ما يحضره منها في أكوام متجانسة تجمعها صفة من الصفات ، أو ظاهرة من الظواهر ، أو خاصة من الخصائص وبوب كتابه في ثلاثين بابا ضمنها ستمائة فصل ، جعل الباب الاول للكليات ومما جاء فيه قوله :

(كل ما علاك فأظلك فهو سماء ، كل أرض مستوية فهي صعيد كل

---

(١) تاريخ آداب اللغة للرافعي ١ : ٣٢١ .

(٢) معجم الأدباء ٧ : ٤٠ .

(٣) معجم الأدباء ١٨ : ١٨٦ - ١٨٧ .

(٤) منها يتيمة الدهر ، وسحر البلاغة ، وما جرى بين المتنبي وسيف الدولة والاعجاز والايجاز ، وخاص الخاص ، وسر الأدب ، والكناية والتعريض ويسمى النهاية في الكناية ، والتجنيس ، والأمثال ، وأسماء الفرائد والقلائد الى غير ذلك انظر ابن خلكان ١ : ٢٩٠ ، وشذرات الذهب ٣ : ٢٤٦ .

حاجز بين الشيئين فهو موبق ، كل بناء مرتفع فهو كعبة ، كل بناء عال فهو صرح .. الى آخره) .

ثم فصل هذه الكليات ففى الحيوان (كل دابة فى جوفها روح فهى نسمة وكل كريمة من النساء والابل والخيل وغيرها فهى عقيلة ، وكل دابة استعملت من ابل وبقر وحمير ورقيق فهى نخة ولا صدقة عليها ، .. وكل ماله ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترسها فهو سبع ..) الى غير ذلك .

ومن النبات : كل نبت كانت ساقه أنابيب وكعوبا ـ فهو قصب ـ وكل شجر له شوك فهو عضاة ـ ثم يستوفى هذا الباب فيجعل فيه فصلا فيما يقال فى الامكنة ، والثياب ، وفى الطعام وغير ذلك .

وفى باب آخر عقده فى (التنزيل والتمثيل) قال (الاقيال لحمير كالبطاريق للروم ، والمراهق من الغلمان بمنزله المعصر من الجوارى ..) وفى باب ثالث تحدث عن الأشياء تختلف اسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها فلا يقال كأس الا اذا كان فيها شراب والا فهى زجاجة ، ولا يقال مائدة الا اذا كان عليها طعام والا فهى خوان ، ولا يقال كوز الا اذا كانت له عروة والا فهى كوب وهكذا ...

وكان الثعالبى يعزو القول لقائله فيقول فى صدر الفصل مثلا (وجدته عن أبى الحسين بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فصح) (١) أو يكتب فصلا ويعزوه الى ابن قتيبة (٢) أو أبى على لغدة الأصفهانى (٢) أو يقول : وجدته فى تعليقات عن أبى بكر الخوارزمى (٣) وقد ينسب القول لقدامى الرواة مجتمعين كأن يقول : (عن الليث ، عن الخليل وعن أبى سعيد الضرير

---

(١) ص ٤١ فقه اللغة وسر العربية ط الاستقامة سنة ١٩٥٢ .

(٢،٢) ص ٤٢ .

(٣) ص ٤٢ .

وابن السكيت وابن الأعرابى وغيرهم من الأئمة) (١) .

وكان كتابه (خاص الخاص) يدور فى معظمه على الأمثال العربية وغير العربية ومأثور الكلام (٢) أما كتابه (يتيمة الدهر) فقد عرف فيه بادباء وشعراء عصره وعرض لبعض آثارهم .

(١) ص ٤٠ .

(٢) خاص الخاص ط السعادة سنة ١٨٠٩ م .

مــرو

من أشهر مدن خراسان وقصبتها فى عهد المأمون ، سكنها فصحبه أبو محمد اليزيدى اللغوى القارىء ، وظـل بهـا يؤدبه ويعلم أولاده وألف لهم كتاب المختصر فى النحو ،وظل فى خراســان الى ان مات بها سنة اثنتين ومائتين (١) ورحل اليها مع المأمون أيضا أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوسى البصرى النحوى الاخبارى الذى ذكره ابن النديم من الأعراب(٢) قدم أبو فيد من البادية فتلمذ لعلماء البصرة وقد أخبـر هو عن ذلك فقال انه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس ، قال : فأول ما تعلمت القياس فى حلقة أبى زيد الأنصارى بالبصرة (٣) وصحب الخليل بن أحمد وأخذ عن شعبة بن الحجاج ، وأبى عمرو بن العلاء (٤) وفى مرو ألف كتاب غريب القرآن ورواه عنه أهلها (٥) .

● **النضر بن شميل**

عرف به الزبيدى فى طبقات النحويين واللغويين بأنه النضر بن شميل ابن خرشة بن يزيد بن كلثوم ... المازنى التميمى من أهل مرو (٦) فهل

---

(١) معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ .

(٢) الفهرست ٧٠ .

(٣) نزهة الالبا ١٨٠ ؛ وفيات الاعيان ٤ : ٣٨٩ .

(٤) نزهة الالبا ١٨٠ .

(٥) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٥٨ .

(٦) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٥٣ .

نسبته ألى مرو تعنى انه ولد بهـا ـ أم لأنه قضى شـطرا من حياته فيها ؟ على كل حال كانت نشـأته العلمية بين البصرة والبادية فتلقى عن الخليل ابن أحمد وافاد من أبى خيرة الاعرابى وأبى الدقيش وكان من أعـراب البصرة أيضا ، وأقام بالبادية أربعين سنة وجمع بين النحو والغريب والشعر والحديث والفقه والقراءة وأيام الناس فلما ضاقت به المعيشـة فى البصرة خرج يريد خراسان فشيعه نحوا من ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوى او لغوى او عروضى او اخبارى ... (١) .

وكان العلم ـ على هذا المدى الواسع ـ سبب النضر الى المأمون حين طلب رجلا من أهل الأدب يسامره فخرج الحاجب يسأل عن رجل يصلح لمجالسـة المأمون ومسـامرته ... وكان حديثـه مع المأمـون مزاجـا من الحديث ، واللغة والشعر . يقول النضر : (.. فجرى بنا الحديث فى ذكر النسـاء فقال المأمـون حدثنا هشيم بن بشير حدثنا مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم (أيما رجـل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بفتح السين قلت يا أمير المؤمنين : صدق هشيم . حدثنا عوف بن ابى جميلة الأعرابى قال : حدثنا الحسن بن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيما رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بكسر السين . قال وكان متكئا فاستوى جالسا ثم قال : يانضر كيف قال هشيم سداد (بفتح السين) ولم يقل سداد (بكسر السين) وما الفرق بينهما ؟

قال : قلت يا أمير المؤمنين السداد (بالفتح) القصد فى الدين والسبيل والسداد (بالكسر) من الثغر والثلمة وكل ما سددت به شيئا فهو سـداد قال : وتعرف العرب ذلك ؟ قلت نعم قال الشاعر :

اضـاعونى وأى فتى اضـاعوا ليوم كريهـة وسـداد ثغـر
كأنى لم أكن فيهـم وسـيطا ولم تلك نسـبتى فى آل عمـر

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى ٥٣ .

قال : قبح الله اللحن ، قلت : يا أمير المؤمنين انه لحن هشيم ، وكان هشيم لحانة ، فاتبع أمير المؤمنين لفظه ... ثم قال : يانضر ، هل تروى من الشعر شيئا ؟ ... ثم سأله عن أخلب بيت قالت العرب ، وأنصف بيت ، وأقنع بيت فانشده (١) .

ولما اراد المأمون مكافاته تناول الدواة والقرطاس وسأله عن مشتقات جاءت بها المناسبة فقال : يانضر كيف تقول اذا أمرت ان تترب كتابا ؟

قال : قلت اتربه . قال : فهو ماذا ؟

قلت : مترب

قال : فمن الطين ؟

قلت : طنه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مطين

قال : فمن السحاءة ؟

قلت : اسحه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مسحى ومسحو

قال : يا غلام اترب ، واسح ، وطن ثم قام فصلى بنا المغرب ثم قال لغلام فوق رأسه : تبلغ معه الكتاب الى الفضل بن سهل . قال : فدخلنا عليه فتناول الكتاب فقرأه وقال يانضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم . قال فحدثته الحديث ... فأمر لى بثلاثين ألف درهم فأخذت بكلمة واحدة ثمانين ألف درهم (٢) .

وينسب أول كتب الصفات الى النضر بن شميل ، الفه فى خمسة

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٨ طبقات الزبيدى ٥٥ .

(٢) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية ، وفيات الأعيان ٥ : ٣٧ .

قال : قبح الله اللحن ، قلت : يا أمير المؤمنين انه لحن هشيم ، وكان هشيم لحانة ، فاتبع أمير المؤمنين لفظه ... ثم قال : يانضر ، هل تروى من الشعر شيئا ؟ ... ثم سأله عن أخلب بيت قالت العرب ، وأنصف بيت ، وأقنع بيت فانشده (١) .

ولما اراد المأمون مكافاته تناول الدواة والقرطاس وسأله عن مشتقات جاءت بها المناسبة فقال : يانضر كيف تقول اذا أمرت ان تترب كتابا ؟

قال : قلت اتربه . قال : فهو ماذا ؟

قلت : مترب

قال : فمن الطين ؟

قلت : طنه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مطين

قال : فمن السحاءة ؟

قلت : اسحه

قال : فهو ماذا ؟

قلت : مسحى ومسحو

قال : يا غلام اترب ، واسح ، وطن ثم قام فصلى بنا المغرب ثم قال لغلام فوق رأسه : تبلغ معه الكتاب الى الفضل بن سهل . قال : فدخلنا عليه فتناول الكتاب فقرأه وقال يانضر ان أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم . قال فحدثته الحديث ... فأمر لى بثلاثين ألف درهم فأخذت بكلمة واحدة ثمانين ألف درهم (٢) .

وينسب أول كتب الصفات الى النضر بن شميل ، الفه فى خمسة

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٢٣٨ طبقات الزبيدى ٥٥ .

(٢) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية ، وفيات الأعيان ٥ : ٢٧ .

أجزاء يحتوى الجزء الأول منها على : خلق الانسان ، والجود ، والكرم ، وصفات النساء •

والجزء الثانى : يحتوى على : الأخبيـة ، والبيوت ، وصـفات الجبال والشعاب •

والجزء الثالث : يحتوى على الابل فقط •

والجزء الرابع : يحتوى على : الغنم ، الطير ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والالباب ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والارشية ، والدلاء ، وصفات الخمر •

والجزء الخامس : يحتوى عـلى : الزرع ، والـكرم ، والعنب ، وأسماء البقول ، والأشجار ، والرياح ، والسحاب ، والأمطار (١) •

وعلى هذا الكتاب اعتمد أبو عبيد القاسم بن سـلام حين حاول جمع كتاب الغريب المصنف (٢) ولقد ظهر أثر الكتابين فى خراسان •

وللنضر غير هذه المجموعة : كتـاب السـلاح ، وخلق الفرس ، والأنواء والمعانى ، وغريب الحديث ، والمصادر ، والمدخـل الى كتاب العين (٣) •

واحسب أن هذا الجهد اللغوى الخطير كان نتيجة للنعمة التى أصابها فى كنف المأمون وحققت له راحة البال والعكوف على التأليف فى مرو التى ظل يزاول نشـاطه العلمى بهـا الى ان توفى فى سنة أربع ومائتين وقيل سنة ثلاث ومائتين (٤) •

---

(١) الفهرست ٧٧ ط الرحمانية • وفيات الأعيان ٥ : ٣٧ •
(٢) المصدر السابق •
(٣) المصدر السابق •
(٤) المصدر السابق •

هراه

تقع هراة وضواحيها فى البلاذ المعروفة الآن بافغانستان وصفها ياقوت بقوله (لم ار بخراسان عند كونى بها سنة ٦٠٧ مدينة أجل ، ولا أعظم ، ولا أفخر ، ولا أحسن ، ولا أكثر أهلا منها ـ فيها بساتين كثيرة ، ومياه غزيرة ، وخيرات كثيرة محشـــوة بالعلمـــاء ، ومملوة بأهـل الفضـــل والثراء) (١) .

ومع أن هذا الوصف متأخر عن العصر الذى نؤرخ له ، الا أنهـا كانت حقيقة من عواصم اقليم خراسان آهلة بسكانها ، ولم يكن بخراسان مسجد أعمر بالناس من مسجد هراة ـ نشـأ بها ، ونزلها بعض علماء اللغة منهم :

● **أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروى :**

من كبار اللغويين فى خراسان ، ذهب طالبا الى العراق فادرك تلامذة الأجيال الأولى من علماء البصرة والكوفة ، لقى ابن الأعرابى وجماعة من أصحاب أبى عمرو الشـيبانى ، وأبى زيد الأنصـــارى ، وأبى عبيدة ، والفـراء . منهـم : الرياشى ، وأبو حاتم ، وأبــو نصر ، وأبو عدنان وسلمة بن عاصـم ـ وكتب الحديث ، وســمع دواوين الشعر من وجوه

---

(١) معجم البلدان ٨ : ٤٥١ هراة .

شتى ـ ولما رجع الى خراسان لقى أصحاب النضر بن شميل ، والليث بن المظفر فاستكثر منهم (١) .

ولما استقر فى هراة ألف كتابا كبيرا فى اللغات أسسه على الحروف وابتدأ بحرف الجيم ، أودعه من تفسير القرآن وغريب الحديث أشياء لم يسبقه الى مثله أحد تقدمه ، ولا أدرك شأوه فيه من بعده كما يقول الازهرى (٢) الا انه يؤخذ عليه حبسه للكتاب عن الناس ومما قاله الأزهرى فى هذا انه (لما أكمل الكتاب ضن به فى حياته ، ولم ينسخه طلابه فلم يبارك له فيما فعله حتى مضى لسبيله ، فاختزل بعض أقاربه ذلك الكتاب من تركته واتصل بيعقوب بن الليث السجزى فقلده بعض أعماله واستصحبه الى فارس ونواحيها وكان لا يفارقه هذا الكتاب فى سفر ولا حضر ، ولما اناخ يعقوب بن الليث بسيب بنى ماوان من أرض السواد ، وحط بها سواده ، وركب فى جماعة المقاتلة من عسكره مقدرا لقاء الموفق وأصحاب السلطان فجر الماء من النهروان على معسكره فغرق ذلك الكتاب فى جملة ما غرق من سواد العسكر) (٣) .

وقال الأزهرى وصفا لبعض أجزاء الكتاب : (ورأيت من أول ذلك الكتاب تفاريق أجزاء بخط محمد بن قسورة فتصفحت أبوابها فوجدتها على غاية الكمال ، والله يغفر لأبى عمرو ... والضن بالعلم غير محمود ولا مبارك فيه) (٤) .

ولولا شهادة العيان هذه لساورنا شك فى هذا الكتاب الذى يتشابه اسمه مع كتاب آخر لأبى عمرو الشيبانى جاء وصفه فيما ذكره القفطى عن أبى عمرو الشيبانى فقال (وصنف أبو عمرو كتاب الجيم وأوله الهمزة

---

(١) إنباه الرواة ٢ : ٧٧ .
(٢) تهذيب اللغة للأزهرى ١ : ٢٥ دار القومية العربية للطباعة سنة ١٩٦٤ .
(٣) المصدر السابق ١ : ٢٥ .
(٤) المصدر السابق .

ولم يذكر فى مقدمة الكتاب لم سماه الجيم ، ولا علم أحد من العلماء ذلك) (١) وقال فى نفس الترجمة (ونقلت من كتاب اليمنى فى طبقات النحاة واللغويين ان كتاب الجيم هو كتاب الحروف الذى صنفه أبو عمرو وجمع فيه الحوشى ولم يقصد المستعمل (٢) .

ومما جاء فيما استدركه الزبيدى : الجيم : الديباج وقال نقل المصنف فى البصائر ما نصه قال أبو عمرو الشيبانى (الجيم فى لغة العرب الديباج) ثم قال : وله كتاب فى اللغة سماه الجيم كأنه شبهه بالديباج لحسنه (٣) فاذا كانت هذه وجهة الشيبانى الذى بدأ كتابه بالهمزة فما زلنا فى حاجة الى معرفة وجهة الهروى فى نعت كتابه بالجيم وبدء كتابه به .

ولأبى عمرو كتاب غريب الحديث ، يصفه ياقوت بأنه كبير جدا (٤) وكتاب السلاح ، وكتاب الجبال والأودية وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين .

● **المنذرى :**

هو أبو الفضل محمد بن أبى جعفر الهروى لازم أبا الهيثم الرازى سنين ، وعرض عليه الكتب ، وكتب من أماليه وفوائده أكثر من مائتى مجلد ، ثم نصحه أستاذه أن ينهض للافادة من أبى العباس ثعلب فى بغداد ، فاختلف اليه سنة يسمع منه كتاب النوادر لابن الأعرابى ، وكتب عنه من أماليه فى معانى القرآن وغيرها أجزاء كثيرة ، وجلس الى أبى العباس المبرد وانتخب عليه أجزاء من كتاب الروضة وكتاب الكامل (٥) وتوفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة .

---

(١) انباه الرواة ١ : ٢٢٤ .
(٢) المصدر السابق ١ : ٢٢٦ .
(٣) التاج للزبيدى المستدرك من فصل الجيم من باب الميم ٨ : ٢٣٦ .
(٤) معجم الأدباء ١١ : ٢٧٥ .
(٥) معجم الأدباء ١٠٠ - ١٠١ ج ١٨ .

● الأزهرى :

هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى أشهر تلامذة المنذرى وقد ذكره وأشاد به فى كتابه (تهذيب اللغة) ولد فى هراة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وسمع بها من الحسن بن ادريس ومحمد بن عبد الرحمن السامى ثم ذهب الى الحج وهو فى سن الثلاثين فلما كان فى عودته وقع فى اسر القرامطة وقد أصاب فى هذا الأسر ما حقق له طموحه من الرواية اللغوية وهو يحكى ذلك فيقول :

(وكنت امتحنت بالاسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عربا عامتهم من هوازن ، واختلط بهم اصرام من تميم ، وأسد بالهبير نشئوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون الى اعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التى اعتادوها ، ولا يكاد فى منطقهم لحن أو خطأ فاحش - فبقيت فى اسارهم دهرا طويلا ، وكنا نشتى الدهناء ونتربع الصمان ونتقيظ الستارين ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا جمة ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها فى مواقعها من الكتاب (يعنى كتاب تهذيب اللغة) وستراها فى موضعها اذا اتت قراءتك عليها ان شاء الله (١) .

فلما تخلص من الأسر توجه الى بغداد ولقى من علمائها أبا أسحق ابراهيم بن السرى الزجاج ٣١١ هـ ، وأبا بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ٣١٦ هـ وأبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ٣١٧ هـ وأبا عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه ٣٢٣ هـ كما لقى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد فاتهمه ولم يحسن رأيه فيه وعبر عن ذلك فقال :

---

(١) التهذيب للأزهرى ١ : ٧ دار القومية العربية للطباعة سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م .

(وممن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها اصول ، وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ابو بكر محمد الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الاسماء ، وكتاب الملاحن ـ وحضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيته يروى عن أبي حاتم ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ـ فسألت ابراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ولم يوثقه في روايته ـ ودخلت يوما عليه فوجدته سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة ازالها عن وجوهها وأوقع في تضاعيف من غلبة السكر عليه ـ وتصفحت كتاب الجمهرة له فلم اره دالا على معرفة الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فاثبتها من كتابي في مواقعها منه لأبحث عنها أنا أو غيري ممن ينظر فيه فان صحت لبعض الأئمة اعتمدت وان لم توجد لغيره وقفت (١) .

ويبدو ان الأزهري قد نظر بعين السخط الى ابن دريد متأثرا بأستاذه ابراهيم بن عرفة الذي كان بينه وبين ابن دريد خصومة معروفة (٢) ولما عاد الى هراه تلمذ لأبي الفضل محمد بن جعفر المنذري فاستكثر منه وأشار في كتاب التهذيب الى المسائل التي سمعها منه ـ فمن ذلك :

---

(١) تهذيب اللغة ١ : ٣١ .

(٢) يحكي ياقوت انه كان بين نفطويه وابن دريد مماظة فقال فيه لما صنف كتاب الجمهرة :

ابن دريد بقرة ... وفيه لؤم وشره
قد ادعى بجهله ... جمع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين الا ... انه قد غيره

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه :

لو انزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه ... مستاهل للصفع في اخدعيه
أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخا عليه

معجم الأدباء ١ : ٢٦٤

الأمثال :

سمعها من المنذرى عن أبى الهيثم الرازى (١) وكان لأبى عبيد كتاب فى الأمثال فزاد المنذرى فى هذا الكتاب أضعاف الأصل ـ قال الأزهرى : فسمعنا الكتاب بزيادته (٢) •

النوادر :

سمع من المنذرى نوادر أبى زيد عن كتاب لأبى عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هانىء النيسابورى (٣) وللكسائى كتاب فى النوادر سمعه الأزهرى من المنذرى رواية عن أبى طالب عن أبيه عن الفراء عن الكسائى (٤) •

غريب القرآن :

وروى غريب القرآن عن المنذرى عن أبى جعفر الغسانى عن سلمة عن أبى عبيدة (٥) •

معانى القرآن وتفسيره :

وسمع من المنذرى كتاب معانى القرآن للكسائى ومعانى القرآن لأبى عبيد انتهى فيه الى سورة طه ، وكتاب تفسير القرآن للفراء •

اللغة ودواوين الشعر :

ذكر الأزهرى كتاب الخيل لأبى عبيدة وقال : ناولنيه أبو الفضل المنذرى وذكر انه عرضه على أبى الهيثم الرازى (٦) وذكر لابن السكيت

---

(١) تهذيب اللغة ١ : ١٣ •
(٢) تهذيب اللغة ١ : ٢٠ •
(٣) تهذيب اللغة ١ ـ ١٣ •
(٤) تهذيب اللغة ١ : ١٦ •
(٥) تهذيب اللغة ١ : ١٤ •
(٦) المصدر السابق •

عدة مؤلفات منها كتاب اصلاح المنطق ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب التذكير والتأنيث ، وكتاب القلب والإبدال ، وكتاب في معاني الشعر وقال : روى لنا أبو الفضل المنذري هذه الكتب ... عن أبي شعيب الحراني عن يعقوب (١) وكذلك سمع دواوين الشعر عن ابن الأعرابي من المنذري (٢).

ومن الشيوخ الذين تأثر بهم : أبو بكر الايادي فقد سمع منه عن شمر عن أبي عبيد ما في كتاب أبي عبيد من الغريب والنوادر والابواب المتفرقة (٣) ونوادر اللحياني (٤) .

● كتاب تهذيب اللغة :

يعتبر كتاب تهذيب اللغة على رأس الكتب التي ألفها الأزهري في اللغة ، وهو معجم كبير ألفه بعد السبعين من عمره ، وقال في سبب تاليفه :

(... وقد دعاني الى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها ، واستقصيت في تتبع ما حصلت منها والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلال ثلاث :

ـ منها تقييد نكت حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيات ، اذ كان ما أثبته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة .

ـ ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في افادتهم

---

(١) تهذيب اللغة ١ : ٢٣ .

(٢) تهذيب اللغة ١ : ٢١

(٣) تهذيب اللغة ١ : ٢٢ .

(٤) المصدر السابق .

ما لعلهم يحتاجون اليه وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (الا ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) .

ـ والخلة الثالثة هي التي لهـا أكثر القصـد أنى قرأت كتبا تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب الى الخليل ثم كتب من احتذى حذوه فى عصرنا هذا وقد أخل بها ما أنا ذاكره من دخلها وعوارها (١) .

وأقبل الأزهرى على عمله هذا تدفعه غيرة قوية على الدين واعتقاد بأن أجـل ما يخدم به هو التعريف بلغة القـرآن وأحاديث الرسول بعد ذهاب القوم الذين كانوا يعرفون هذه اللغـة اذ (نزل القـرآن الكريم والمخاطبـون به قوم عرب أولو بيـان فاضل وفهم بارع أنزله جل ذكره بلسانهم وصيغة كلامهم الذى نشئوا عليه وجبلوا على النطق به ... يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون الى تعلم مشكلة وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين) (٢) .

وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم بين للمخاطبين من أصحابه رضى الله عنهم ما عسى الحاجـة اليه من معـرفة بيـان لمجمل الكتاب وغامضـه ومتشابهه .. فاستغنوا بذلك عما نحن محتـاجون من معـرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها والاجتهاد فى تعلم العربية الصحيحة التى بها نزل الكتاب وورد البيان (٣) وبرزت هذه العناية فى كتابه فكان يستشهد بالقرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، ولا يكتفى بوجـه واحـد من القراءة بل كان يذكر الآية ويفسرها على وجوهها ، ولاحظ ذلك صاحب الجاسوس فقال : (كلف الأزهرى فى التهذيب بتفسير الآيات القرآنية) (٤) .

---

(١) تهذيب اللغة ١ : ٦ .
(٢) المصدر السابق ٣ ـ ٤ .
(٣) تهذيب اللغة ١ : ٤ .
(٤) الجاسوس على القاموس ٤٨ .

منهج الأزهري

وضع الازهرى كتـاب التهذيب وهو غير راض عن كتـاب العين ، ولا عن كتاب الجمهرة ، واغلب الظن انه يعنى هذا حين يقول : (وقد سميت كتابى هذا (تهذيب اللغة) لأنى قصدت بما جمعت فيه نفى ما ادخل فى لغات العرب من الألفاظ التى ازالها الأغبياء عن صيغتها ، وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطأ بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات الى العرب (١) .

ومع ما وعد به من رغبـة فى الايجاز وعدم التطويل فقد جاء كتابه فى حجم العين تقريبا وأطول بكثير من كتاب الجمهرة وأومأ الى خطته فى الايجاز بقوله :

(ولم أودع كتابى هذا من كلام العرب الا ما صح لى سماعا منهم أو رواية عن ثقـة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبـة اقترنت اليها معرفتى ــ اللهم الا حروفا وجدتهـا لابن دريد ، وابن المظفر فى كتابيهما فبينت شكى فيها وارتيابى بها) (٢) (ولو انى أودعت كتابى هذا ما حوته دفاترى وقـرأته من كتب غيرى ، ووجـدته فى الصـحف التى كتبهـا الوراقون ، وافسـدها المصحفون لطال كتابى ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسـانها ، ولقليل لا يخزى صاحبـه خير من كثير يفضحه) (٣) وهو يشير بهذا الى سعة اطلاعه ، وانه لم يضع فى الكتاب كل ما يعلم .

ترتيب الكتاب :

ورتب الأزهرى كتـابه على مخـارج الحروف وتقليب الألفاظ متأسيا بمنهج الخليل فى كتـاب العين ، ومع ما رأينـاه من انكار نسبة الكتاب للخليل فى مجموعة وجميعه فانه يعترف للخليل بالتأسيس المجمل للكتاب

(١) تهذيب اللغة ١ : ٥٤ .

(٢) المصدر السابق ١ : ٤٠

(٣) المصدر السابق ١ : ٤١ .

ولذلك فهو ينهج نهجه في هذا التأسيس فيقول : (ولم ار خلافا بين اللغويين ان التأسيس المجمل فى أول كتاب العين لأبى عبد الرحمن الخليل ابن أحمد ... وعلمت أنه لا يتقدم الخليل فيما أسسه ورسمه ، فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمله وتردد فكرك فيه وتستفيد منه ما بك الحاجة اليه) (١) .

والرأى عندى ان كتاب الأزهرى لم يحقق تطورا يذكر ، واذا كان ابن دريد صاحب المعجم الثانى قد أشار فى مقدمة الجمهرة الى دوافع وضع كتابه حين رأى الناس يعانون من ترتيب الخليل فى كتاب العين ، وان تلك الطريقة معسرة الا على الذين أصابوا حظا من العلم بالصرف ، واختار لذلك طريقة الأبجدية العادية لأن علم الخاصة بها كعلم العامة فان الأزهرى وهو يعود الى طريقة الخليل كان يعود بفن المعاجم الى الوراء - ولهذه الصعاب عابه ابن منظور بعد ان امتدح مادة الكتاب فقال :

(... وهما . - أى التهذيب للأزهرى والمحكم لابن سيده - من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداهما بالنسبة اليهما ثنيات للطريق غير ان كلا منهما مطلب عسر المهلك ومنهل وعر المسلك وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه ، وارتاد لهم مرعى مربعا ومنعهم منه ... فأهمل الناس أمرهما وانصرفوا عنهما ... وليس لذلك سبب الا سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب (٢)) .

وجعل الأزهرى فى صدر كتابه بابين - الأول فى ألقاب الحروف ومدارجها والثانى فى احيازها - وهذا أيضا قريب الشبه بما قدم به الخليل لكتاب العين ولا يبقى للأزهرى - فيما أرى - الا زيادات عن كتاب العين وتنقية لبعض رواياته التى داخلت الكتاب بفعل الوراقين ، وهذه المقدمة

---

(١) التهذيب ١ : ٤١ .

(٢) لسان العرب ١ : ٧ ط دار صادر .

الطويله التى عرف فيها بالسابقين من رجال اللغة وهى لاتزيد كثيرا فى مادتها على ما أورده رجال الطبقات .

وللأزهرى غير كتاب التهذيب ـ كتاب معرفة الصبح ، وكتاب التقريب فى التفسير وكتاب تفسير ألفاظ كتاب المزنى ذكره ابن خلكان وقال فيه انه عمدة الفقهاء فى تفسير ما يشكل عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ـ وللأزهرى أيضا كتاب علل القراءات ، وكتاب الروح وما جاء فيه من القرآن والسنه ، وكتاب تفسير أسماء الله عز وجل ، وكتاب معانى شواهد غريب الحديث ، وكتاب الرد على الليث ، وكتاب تفسيراصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب تفسير السبع الطوال ، وكتاب تفسير شعر أبى تمام ، وكتاب الأدوات .

● أبو عبيد أحمد بن محمد
ابن عبد الرحمن الهروى :

تلميذ أبو عبيد الهروى لأبى منصور الأزهرى ، وكان كما يحكى ياقوت شيخه الذى يفتخر به (١) وقرأ على أبى سليمان الخطابى ، وهو ان اشتهر أمره بين المحدثين فانه كان كذلك من مشاهير اللغويين وكان كتابه المشهور ب (كتاب الغريبين) يتجه هذه الوجهة ، فقد جمع فيه غريب القرآن وغريب الحديث ورتبه مقفى على حروف المعجم ، ويصف ابن الأثير عمله هذا بقوله (... فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من اماكنها واثبتها فى حروفها وذكر معانيها اذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى ـ لامعرفة متون الأحاديث والآثار وطرق اسانيدها وأسماء رواتها فان ذلك علم مستقل بنفسه مشهور بين أهله ثم انه جمع فيه من غريب الحديث ما فى كتاب أبى عبيد ، وابن قتيبة وغيرهما ممن تقدمه عصره من مصنفى الغريب مع ما أضاف اليه

---

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٦٠ .

مما تتبعه من كلمات لم تكن في واحدة من الكتب المصنفة قبله فجاء كتابه جامعا في الحسن بين الاحاطة والجمع) (١) •

والكتاب بذلك معجم من المعاجم اللغوية المتخصصة يحصر جهده في اطار القرآن الكريم والحديث النبوى (فاذا اراد الانسان كلمة غريبة وجدها في حروفها بغير تعب ـ الا أنه جاء الحديث مفرقا في حروف كلماته حيث كان هو المقصود والغرض فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير في البلاد والأمصار وصار هو العمدة في غريب الحديث والآثار وما زال الناس بعده يقتفون هديه ويتتبعون أثره ويشكرون له سعيه ويستدركون ما فاته من غريب الحديث) (٢) •

وظلت مدينة هراه تتابع نشاطها العلمى حتى خربها التتار سنة ٦١٨ من الهجرة •

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ : ٦ •
(٢) المصدر السابق :

القسم الثانى :
بلاد الجبال وفارس

رؤساء الاقليم ورعايتهم للعلم :

اما اقليم الجبال فيقع الى الشمال ، وعاصمته الرى ومن أهم بلاده : كرمانشاه ، وهمدان ، ودينور ، ونهاوند ، وقومس • والى جنوبه يقع اقليم فارس وهو بلاد ايران الحالية وكانت عاصمته شيراز ، ومن بلاده اصطخر ، وسيراف ، وارجان ، وشهرستان ، وفيروزباد • وتوسطت اصبهان هذين الاقليمين ويراها المقدسى من أعمال فارس (١) •

توالى على حكم هذه البلاد رجال من العرب ، والفرس ، والأتراك وتوزعت وحداتها أحيانا ، وتماسكت أحيانا أخرى ، واستقل بها أو ببعضها الولاة مرة ، وتبعت الخلافة فى بغداد مرة ، وهذه التبعية للخلافة قد تكون حقيقية وقد تكون اسمية ـ كانت الرى فى حوزة الطاهر بن الحسين الذى ولى المشرق كله من قبل المأمون ، وحكمها بعده عبد الله بن طاهر ، وطاهر بن عبد الله حتى سنة خمس وثلاثين ومائتين • ثم دخلت فى حكم السامانيين حين استولى عليها اسماعيل بن أحمد السامانى ومن بعده

(١) أحسن التقاسيم ٣٨٧ ـ ٣٨٨ •

نصر بن أحمد الى ان دخلت فى حكم البويهيين (١) .

وظل فارس فى أيدى الطاهريين (ابراهيم بن الحسين بن مصعب ، وعلى بن الحسين بن شبل حتى سنة خمس وخمسين ومائتين) ثم حكمها بنو الصفار ٢٥٦ ـ ٢٦١ ، ثم حكمها من الأتراك موسى بن بغا من قبل الخليفة وفى سنة سبع وثمانين ومائتين حكمها أبو موسى عيسى بن محمد النوشرى ثم استعادها بنو الصفار الى ان فتحها عماد الدولة البويهى (٢) .

اقتسم بنو بويه بادىء الأمر هذه البلاد فكان عماد الدولة فى فارس والأهواز ، وركن الدولة فى الرى والجبل ، ثم جمعها عضد الدولة ابن ركن الدولة كما ضم اليها العراق وبلغ أقصى اتساع دولة البويهيين فى أيامه .

كان أبو شجاع فنا خسرو (عضد الدولة) على ما مكن له فى الأرض وأوتى من السلطة والجاه وسعة السلطان يتفرغ للعلم ويتشاغل بالكتب ويؤثر مجالس الأدباء على منادمة الوزراء (٣) ولم يصطنع ذلك استكمالا لمظاهر الحكم وانما حبا فى العلم تلمح هذا فى حديثه مع أستاذه أبى على الفارسى وكان يتلقى عليه علم النحو واللغة ـ سأله يوما بماذا ينتصب الاسم المستثنى فى نحو قام القوم الا زيدا ؟ فقال أبو على : ينتصب بتقدير استثنى زيدا فقال عضد الدولة : لم قدرت استثنى زيدا فنصبت ، هلا قدرت امتنع زيد فرفعت ـ فقال أبو على هذا الذى ذكرته جواب ميدانى فاذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح (٤) ومثل هذه المراجعة لا تصدر الا عن عالم أو متعلم محقق . ولما صنف له كتاب الايضاح استقصره عضد الدولة وقال له :

---

(١) انظر ابن الأثير ٨ : ٥٩ ، ومعجم الانساب والأسرات الحاكمة ص ٧٢ للمستشرق زامباور ط جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١م .

(٢) انظر معجم الانساب والأسر الحاكمة ٧٤ و ٧٥ .

(٣) أول الجزء الثانى من يتيمة الدهر للثعالبى .

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٨٨ .

ما زدت على ما أعرف شيئا وانما يصلح هذا للصبيان فألف له كتاب التكملة •
وكان يود لو ان حاشيته كانوا من رجال العربيــة أو العارفين بها، التمس
اماما يصلى به واشترط فيه أن يكون جامعا الى العلم بالقراءة العلم بالعربية
فدله أبو على على أبى القاسم عبيد الله بن جرو الأسدى (١) •

وكان تاج الدولة بن عضد الدولة ادب آل بويه وأشعرهم (٢) كما
كان من وزرائهم ابن العميد وشهرته فى الآدباء أكثر من شهرته فى الوزراء
وبلغ به حبه فى العلم انه كان يغرى العلماء — وعلماء اللغة بخاصة — على
الهجرة من العراق ، اغرى ابا سعيد السيرافى وعلى بن عيسى الرمانى
وهما من كبار علماء عصره وعرض عليهما المسير الى الرى ووعدهما
ومناهما وأظهر المباهاة بهما (٣) •

ومن وزراء هذه الدولة اسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب لصحبته
مؤيد الدولة بن بويه — ولم تشغله الوزارة واعباء الحكم عن الدرس والاملاء
والتأليف فى اللغة • عمل كتاب المحيط وهو معجم كثر فيه الألفاظ وقلل
الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ورتبه على الحروف (٤) وعمل
جوهرة الجمهرة اختصر فيه جمهرة ابن دريد (٥) كما عمل كتابا فى الوقف
والابتداء ورسالة فى الكشف عن مساوىء المتنبى ، ورسالة فى
العروض (٦) وكان جماعا للكتب — كتب الى نوح بن منصور السامانى
يعتذر له عن التوجه اليه بسبب كتبه التى تحتاج الى أربعمائة جمل
لنقلها (٧) •

---

(١) معجم الأدباء ١٢ : ١٦ •
(٢) يتيمة الدهر ٢ : ٥ •
(٣) معجم الأدباء ١٦ : ٢١٤ •
(٤) انباه الرواة ١ : ٢٠١ •
(٥) كشف الظنون ١ : ٣١٠ •
(٦) بغية الوعاة ١٩٦ •
(٧) انباه الرواة ١ : ٢٠٢ •

ويلوذ بالصاحب رجلان كبيران من رجال اللغة هما أحمد بن فارس الذى ألف له كتاب الصاحبى فى اللغة والذى نعرف به بعد قليل وأبو على الفارسى الذى اهداه أضخم كتبه وأكبرها قيمة وهو كتاب الحجة فى القراءات • ومن رجال الصاحب أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافى الذى ألف غلط كتاب العين ومبادىء اللغة ، ومن ندمائه محمد بن على بن الجبان صاحب كتاب أبنية الأفعال ، وشرح فصيح ثعلب ، والشامل فى اللغة (١) •

ومن كتاب هذه الدولة اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال الذى تأدب على ابن دريد ـ وكان أبو محمد الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه شغوفا بالعلم وحب العلماء يستدنيهم ويجمعهم على مائدته ويطيل الاجتماع بهم على المائدة طلبا فى المذاكرة (٢)•

من هنا يتبين ان رؤساء هذا الاقليم لم يكونوا مشجعين للعلم فحسب بل كانوا هم علماء على هذا الوجه الذى أوضحنا جانبا منه ـ فكان طبيعيا ان تزخر عواصم هذا الاقليم بالعلماء وان تكون للعلوم الاسلامية ورواية العربية شأنها الملحوظ ـ واليك أهم هذه البيئات •

---

(١) معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٠ •

(٢) معجم الأدباء ٩ : ١٤٣ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٠٠ ط الأميرية

الرى

كانت الرى قصبة بلاد الجبال (١) واسطة خراسان وجرجان والعراق (٢) يقول فيها المقدسى (بلد جليل ... وبه مجالس ومدارس وقرائح ... لايخلو المذاكر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب ، هو أحد مفاخر الاسلام وأمهات البلد مشايخ وأجلة وقراء وأئمة وزهاد ... به دار الكتب الاحدوثة) (٣) .

كانت مزارا لكبار العلماء منذ الفتح الاسلامى ، رحل اليها محمد ابن اسحق بن يسار الراوية الاخبارى المتوفى سنة احدى وخمسين ومائة وسمع منه أهلها (٤) ورحل اليها سعيد بن جبير أعلم تلامذة ابن عباس فلقيه الضحاك وكتب عنه التفسير ، وزارها الشعبى مع قتيبة بن مسلم الباهلى وشخص اليها الكسائى مع الرشيد ومات بها (٥) وكان المهدى وهو ولى عهد يقيم فى الرى ويقصده الأدباء والشعراء (٦) فلم تكن الرى حديثة العهد بالعلم حين تعهدها بنو بويه .

---

(١) معجم البلدان ٤ : ٣٥٥ .

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسى ٣٨٥ .

(٣) المصدر السابق ٣٩٠ — ٣٩١ .

(٤) معجم الأدباء ١٨ : ص ٦ .

(٥) فتوح البلدان للبلاذرى ٣٢٨ ط الموسوعات سنة ١٩٠١م .

(٦) معجم الأدباء ١٩ : ٢٠١ .

أحمد بن فارس

من رجال هذا البلد الذين تركوا ميراثا لغويا ضخما أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى ـ نشأ فى قزوين وأخذ عن أبيه (١) ثم رحل الى بغداد وأخذ نحو الكوفيين عن أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب ، وقرأ كتاب العين على أبى الحسن على بن ابراهيم بن سلمة القطان وأخذ كتابى أبى عبيد : غريب الحديث ، والغريب المصنف عن أبى الحسن على بن عبد العزيز • ثم استدعاه فخر الدولة بن بويه الى الرى لتأديب ولده فتلمذ عليه البديع الهمذانى ، والصاحب بن عباد • (٢) صانع ابن فارس فى جوانب مختلفة من العلم ، وجمع الى اللغة وروايتها العلم بالحديث والفقه ، وان كانت آثاره ـ أو أغلبها ـ تدور حول العربية • من هذه الكتب :

• كتاب المقاييس

لاحظ ابن فارس ان علماء اللغة الذين سبقوه قد عملوا على حصرها ما أمكنهم ، وأتيح له وهو يدرس كتاب العين على أحد رواته وهو أبو الحسن على بن ابراهيم القطان ان يلحظ من خصائص هذه اللغة ان المادة الواحدة تعطى معنى لايختلف كثيرا فى تقاليبها فاعتبر المادة أصلا يضفى على مشتقاتها وتقاليبها ومعانيها ـ ورأى ان قاعدته هذه تطرد فى عدد كثير من المواد فوضع اللغة كلها على القياس وقال فى كتاب الصاحبى (اجمع أهل اللغة الا من شذ عنهم ان للغة العربية قياسا وان العرب تشتق بعض الكلام من بعض ـ وقال فى تفسير هذا ان الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبدا على الستر • تقول العرب للدرع جنة ، وأجنه

---

(١) نزهة الالبا ٣٩٣ •

(٢) نزهة الالبا ٣٩٤ •

الليـل ، وهـذا جنين أى هو فى بطن أمه أو مقبـور • وان الانس من الظهور يقولون : انست الشيء ابصرته) (١) •

وقال فى مقدمة المقاييس (ان للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها فروع ، وقد ألف الناس فى جوامع اللغة ما ألفوا ولم يعربوا فى شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ولا أصل من الأصول) •

وضع ابن فارس كتابا جديدا فى فكرته ، ولم تلبث هذا الكرة ان وجـدت عند علماء الصرف قبـولا فأمدوها بالمناقشة والاستطراد ، وكان ابن فارس يحس بان نظريته جديدة غريبة ينقصها الاقناع فأوهم ان الخليل قد رأى رأيه من قبل فقال ابن فارس : (قال الخليل : يقال جذا يجذو مثل جثا يجثو الا ان جذا ادل على اللزوم ـ وهذا الذى قاله الخليـل دليـل لنـا فى بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام والخليل عندنا فى هذا المعنى أمام) (٢) و (٣) •

والحكاية التى وردت عن الخليل فيما رواه ابن فارس لاتتصل بفكرة المقاييس ولا تتشابه معها ، ويرى الاستاذ عبد السلام هارون الذى حقق كتاب المقاييس أن صاحب الفضل فى الايحاء بهذه النظرية لابن فارس هو أبو بكر بن دريد الذى حاول فى كتاب الاشتقاق ان يرد أسماء قبائل العرب وعمائرها وأفخاذها الى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء (٤) و (٥) •

وقبـل ان نناقش فكرة المقاييس ننقل بعض ما جـاء فى المادة الأولى كتعريف بهذا الوجه من التأليف •

---

(١) الصاحبى ٣٣ •

(٢) المقاييس ١ : ٤٣٩ •

(٣) عبارة اللسان عن ابى عمرو : جذا وجثا لغتان • وقال ابن جنى : ليست الثاء بدلا من الذال بل هما لغتان ، وقال ابن الأثير : الا أنه بالذال أدل على اللزوم والثبوت منه بالثاء انظر ١٣٧ج ٥٩ ط دار صادر مادة ج ذ ١ •

(٤) مقدمة الناشر لكتاب المقاييس ص ٢٣ •

(٥) بدأ ابن دريد بالنبى صلى الله عليه وسلم تبركا فبين اشتقاق (محمد) من محمد ص ٦ وفى (عبد الله) العبد من الطريق المعبد وهو المذلل الموطوء ص ٧ الاشتقاق لابن دريد ط أوربا سنة ١٨٥٤ •

الأب :

(اعلم ان للهمزة والباء فى المضاعف أصلين احدهما المرعى والآخر القصد والتهيؤ ـ فاما الأولى فقول الله عز وجل (وفاكهة وأبا) قال أبو زيد الانصارى : لم اسمع للأب ذكرا الا فى القرآن قال الخليل وأبو زيد : الأب : المرعى بوزن فعل وانشد ابن دريد •

جذمنـــا قيس ، ونجـد دارنا ولنـــا الأب به والمـكرع

وأنشد شبيل عزرة لأبى دؤاد :

يرعى بروض الحـزن مـن ابه قـــريانه فى عانـه تصـــحب

أى تحفظ • يقال : صحبك الله أى حفظك ، قال أبو اسحق الزجاج (الأب) جميع الكلأ الذى تعتلفه الماشية كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنه ـ فهذا أصل •

وأما الثانى • فقال الخليل وابن دريد : الأب : مصدر آب فلان الى سيفه اذا رد يده اليه ليستله ـ الأب فى قول ابن دريد : النزاع الى الوطن• والأب فى روايتهما : التهيوء للمسير ـ وقال الخليل وحده : أب هذا الشىء اذا تهيأ واستقامت طريقته •••) (١) •

ونكتفى بهذا القدر لنناقش فكرة المقاييس •

ان نظرية ابن فارس ـ وان اطردت فى بعض المواد فانه ليست كذلك فى بعضها الآخر ، وان وجدت الطريق سـهلا فى أبواب الثنائى لقلة الألفاظ المتكونة من حروفه فانها تتعثر فى بقية الأبواب ، ولعلك لاحظت فيما أوردناه من باب الثنائى أيضـا مالا يستقيم الا بتأويـل بعيد فتفســير

(١) المقاييس ص ٦ و ٧ من الجزء الأول •

ابن دريد للأب على انه النزاع الى الوطن لا يجرى مع الأصلين اللذين أوردهما ابن فارس وهما المرعى ، والقصد – واذا وجد ابن فارس وجها من التأويل فيه ، وفى بعض أبواب الثلاثى فان الأبواب بعدها لا يسعفها تعمل ولا تأويل مهما أغرب . هذا رأى تردد فى صدرى بعد أن أخذت فى قراءة كتاب المقاييس على أمل الاطمئنان لاطراد الفكرة ، ولكن الاستكراه فى التأويل كان مانعا من تقبلى لها على جهة الشمول والاستقصاء .

يرى ابن فارس ان الكلمات التى تزيد على ثلاثة أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد (ضبطر) من (ضبط) و (ضبر) وفى قولهم (صهصلق) أنه من صهل ، وصلق ، وفى (الصلدم) انه من (الصلد) و (الصدم) (١) وعلى هذا فان مقاييسها تتبع أصولها قبل النحت .

ولكن اذا سلمنا بأن من معانى الضبط القندة ، قال من معانيها أيضا (لزوم الشىء وحبسه . وقال الليث : الضبط لزوم شىء لا يفارقه فى كل شىء (مادة ض ب ط فى اللسان) . واذا رأينا من معانى الضبر : الشدة فان من معانيها أيضا الجمال . ذكر فى اللسان فى مادة ض ب ر (والمضبور المجتمع الخلق الأملس) (٢) وتفسير ضبطر بانه الرجل الشديد استنادا على انه منحوت من هذين الأصلين استكراه فيما أرى .

ومن كلامه فى بلهس اذا أسرع أنها من أصلين : الأول : (بهس) والثانى (بله) وهو من صفة الأبله (٣) استنادا على أن البهس صفة للأسد . كان صفة الأسد وصفة الابله يفيدان الاسراع .

وعبارة اللسان : البهس : الجرأة ، وبيهس من أسماء الأسد أو من

---

(١) الصاحبى ٢٢٧ .

(٢) لسان العرب ٤٧٩/١٩ ط دار صادر مادة ضبر .

(٣) المقاييس ١ : ٣٣١ .

صفات الأسد في رأى ابن سيده (١) • والرأى عندى انه سواء كانت الجرأة ـ أو ـ صفة الأسد فانها لا تفيد مع البله معنى الاسراع الا على تأويل بعيد غير ملزم ، وأقرب من هذا وأرشد ـ ان تكون (بلهس) بمعنى أسرع وضعا ـ لا نحتا ولا اشتقاقا •

ويكاد يتعقد الأمر ويغرب عندما يجيز النحت من ثلاثة أصول كقوله : السحبل = الوادى الواسع ، وكذلك القربة الواسعة سحبلة • يقول :: (فهذا منحوت من سحل اذا صب • ومن سبل ، ومن سحب اذا جرى وامتد • وهى منحوتة من ثلاث كلمات ـ تكون الحاء زائدة مرة وتكون الباء زائدة ، وتكون اللام زائدة) (٢) •

فاذا عرضت لهذه الكلمات مجردة لم أجد بها رابطة تستقيم مع فكرة ابن فارس • فالسحب : جرك الشيء على وجه الارض ، والسحب : شدة الأكل والشرب ، والسحل والسحيل : ثوب لايبرم غزله ، والسحل : ثوب أبيض ، وسحله : قشره ونحته • والسحل : النقد من الدراهم ، وسحل الشيء : برده • وفى سبل : أسبل ازاره ارخاه ، وأسبل الفرس ذنبه : ارخاه ، والسبل بالتحريك : المطر ••• (٣) •

وأقرب من هذا النحت المستكره ان تكون الكلمة على وضعها لا سيما وان السحبل من الأودية : الواسع ، وسحبل أيضا اسم واد بعينه (٤) •

وبالرغم مما ساورنا من حذر من اطلاق فكرة المقاييس وتعميمها فان الكتاب عالج بعض خصائص العربية علاجا عميقا لا يتيسر الا للذين عاشوا فى أعماق العربية ، ونقعوا فى ينابيعها فأتيح لهم أن يفلسفوا أصولها على هذا الوجه •

---

(١) لسان العرب مادة بهس •

(٢) المقاييس ٣ : ١٥٨ •

(٣) من اللسان مادة س ح بو سح لو سح بل •

(٤) لسان العرب مادة سحل •

ومن الكتب الهامة التى وضعها أحمد بن فارس كتاب المجمل ، وهو كالمقاييس يتصل ببيان وجوه المعانى للألفاظ ولكن على اختلاف فى النهج فكتاب المقاييس يعالج خاصية من خصائص العربية تتصل بأصل اللغة واشتقاق ألفاظها على الوجه الذى يراه ابن فارس ، ولم يكن بهذه الصفة معجما .

أما المجمل - فهو معجم يهدف الى جمع اللغة بصورة رتيبه لبيان معانيها ،

تناول ابن فارس مواد العين والجمهرة بالدراسة والتدقيق وناقش الخليل وابن دريد فى كتاب المقاييس ، ولذلك مضى فى المجمل على وجه متطور ، أكثر تنظيما من العين والجمهرة ، لاحظ فيهما الاستطراد والاتساع والجمع بين مختلف الأقوال وعد ذلك من العيوب حتى صار عبئا على طلاب اللغة فقال فى مقدمة المجمل : (انشأت كتابى هذا بمختصر من الكلام قريب ، يقل لفظه وتكثر فوائده ويبلغ بك طرفا مما أنت ملتمسه) .

وفى عصر ابن فارس ألف الجوهرى كتاب الصحاح والتزم فيه الصحيح من كلام العرب ، فكان ابن فارس على هذا النهج أيضا - وقال انه عمد الى صحيح اللغة دون الوحشى المستنكر ، واعتمد فى مصادره على السماع - أو من كتاب لا يتطرق الشك الى صحة نسبه وقال فى ختامه (... قد توخيت فيه الاختصار وآثرت فيه الايجاز واقتصرت على ما صح عندى سماعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولولا توخى ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا) (١) .

---

(١) المزهر ١ : ١٠٠ .

الجديد فى ترتيب ابن فارس :

المواد فى كتابى المقاييس والمجمل أسهل تناولا من المعاجم الأخرى اذ رتب الكلمات على ترتيب الأبجدية ، وكان يأخذ الحرف مع ما يليه حتى يستوفى الحروف الى اليـاء ثم يعود به من الهمزة وما يليها ــ وكان يبتغى بهذا ــ كما يقول ــ التيسير على الباحث ، ولم يقصر هذا التيسير على مجرد الترتيب ، وانما عمل على اختصـاره بطرح الاستطراد وحذف الكثير من الشواهد .

كتاب الأتباع والمزاوجة :

تدور فى العربية كلمات لها جرس خاص كقولهم : عطشـان نطشان وحسن بسن ، وشيطان ليطان الى غير ذلك فسمى هذا اتباعا لأن الكلمة الثانية تابعة للأولى على وجه التوكيد لها ولا يتكلم بالثانيـة منفـردة عمـل ابن فارس كتابا فى هذه الظاهرة ، وكان دوره لا يتجاوز التعريف بها ، وجمعه للكلمات مرتبـة على حروف المعجم ، ولهذا الكتاب صورة خطية فى دار الكتب برقم ٥٥ لغة ــ وقام بنشره لأول مـرة المستشرق رودلف بروتو ، ثم حققه ونشره السيد كمال مصطفى ــ ولا نرى محلا للاستطراد فى الحديث عن الاتبـاع بعد أن تحدث عنها السيوطى فى المزهـر فجمع آراء الرواة وأمثلتهم عليها وتعاريفهم لها ــ بدأ بابن فارس ونقل شيئا من مقدمته ، ثم أشار الى آخرين من علماء اللغة ومنهم من خصص لها فصولا فى كتبه كابن دريد وأبى على القالى ومنهم من اكتفى بمناقشتها كالكسائى ــ كما أورد العبارات المشهورة فى اللغة تحت هذا الأصل (١) .

● **كتاب الصاحبى :**

هو كتـاب فقه اللغة وان ظهر بهذا الاسـم لأنه اهداه للصـاحب

---

(١) المزهر ١ : ٤١٤ (النوع الثامن والعشرون) .

ابن عباد ـ تناول فيه الكثير من خصائص العربية ، وتتلخص ملاحظنا عليه فيما يلى :

ـ انه تحدث فى موضوعات شتى كالكلام عن لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح والقول على الخط العربى ، والقول فى ان لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ثم أفاض فى ظواهر العربية فلم يستوف الحديث فى واحد منهـا .

ـ انه نقل من ابن قتيبة حروف المعانى ، كما نقل جزءا كبيرا مما جاء فى كتاب أدب الكاتب لابن قتيبه (١) دون ان يشير الى مصدره ويبدو انه اعتمد على ما قاله فى المقدمة (والذى جمعناه فى مؤلفنـا هذا مفـرق فى تصانيف العلماء المتقدمين ... وانما لنـا فيه اختصـار مبسـوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق) (٢) .

ولابن فارس كثير من الكتب والرسائل عرض لها الأستاذ عبد السلام هارون فى مقدمته لكتاب المقاييس ، واكتفينا منها بما عرفنا به .

ومن أصحاب الصاحب بن عباد ـ محمد بن عبد الله الاسكافى . نشأ فى أصبهان وعاش فى الرى وله مؤلفات حسنة من أهمها :

● **كتاب مبادىء اللغـة :**

وهذا كتـاب يتجـاوز هذه التسـمية اذ يجمع حصيلة ممتازة من الدراسـات اللغوية ـ كان القدامى يفردون لكل موضـوع كتـابا كخلق الانسـان ، والوحوش ، والخيل الى غير ذلك وتتعدد كتبهـم بتعدد هذه الموضـوعات الى ان صدرت كتب الصفات ، وكتاب الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام وقد حاول حصر جملة من الموضوعات فى كتاب واحد

---

(١) انظر ص ٩٧ وما بعده من كتاب الصاحبى .

(٢) الصاحبى ص ٤ ط السلفية سنة ١٣٢٨ ـ ١٩١٠م .

وقد سلك أبو عبد الله الاسكافى هذا المسلك وأعد كتابه فى مواضيع مختلفة جعلها أبوابا منها :

أسماء الكواكب ، وأسماء البروج ، والأزمنة والأوقات ، والليل والنهار ، وصفة الحر والبرد ، والرياح ، وأسماء الرعد والبرق ، والمياه وأوصافها وذكر اماكنها ، والجبال وما يتصل بها الى غير ذلك كما خص الخيل بكتاب جعله وسط الأبواب .

ولم يقتصر الاسكافى على تعديد المفردات وانما ذهب يبين الاستعمال الصحيح للعبارات على النحو الذى سبقه به ابن السكيت فى كتاب الألفاظ فمن هذا قوله :

(يقال اتيته ظلاما ، ومساء ، وعشاء ، وممسيا أى عند غيوب الشمس وملس الظلام وملث الظلام ، وجنح الليل ، وفحمة العشاء اذا اختلط الظلام ، وأتيته فورة العشاء أى عند العتمة وذلك اذا غاب الشفق وهو بقية ضوء الشمس وحمرتها ـ وجاء غسق الليل وغطشه ودمسه اذا لم يبق شفق ـ وبعد هدء من الليل وموهن من الليل لنحو من الربع ، وبعد الفريع أى نصف من الليل ...) (١) .

وبيان هذه الفروق الدقيقة للعبارات لا يتيسر لعامة العلماء ، والاسكافى يحتج لما يأتى به بأقوال الشعراء الا أنه فى كثير من الأحيان لا ينسب الشعر لقائليه ويكتفى بكلمة قال ، أو قال الشاعر ـ ولأبى عبد الله غير هذا الكتاب ـ كتاب غلط كتاب العين ، والغرة جمع فيه شيئا من غلط أهل الأدب ، وشواهد كتاب سيبويه ، ونقد الشعر ، ودرة التنزيل وغرة التأويل فى الآيات المتشابهة (٢) .

---

(١) مبادىء اللغة ص ٩ و ١٠ ط السعادة سنة ١٣٢٥ هـ .
(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

اقليم فارس

شـــيراز

وكانت عاصمة القســـم الجنوبى (شيراز) يصفها المقدسى أيام البويهيين فيقول : (••• ومن رســـومهم اذا صليت العصر كل يوم جلس العلمـــاء للعوام الى المغرب ، وكذلك بعد الغداة الى ضـحى وأيام الجمع يجتمعون فى غير موضع وطابت شيراز بجامعها) (١) •

أبو على الفارسى :

وكان ينزل بها عضد الدولة اذا كان فى اقليم فارس وحيث حل هذا الرأس تبعته حاشية من العلماء فكان لأبى على الفارسى حلقة فى شيراز تلمذ له فيها عبيد الله بن أحمد الفزارى صـــاحب صـناعة الاعـراب وعيون الاعراب (٢) وجلس اليه أحمد بن محمد المرزوقى فقرأ عليه كتـــاب سـيبويه (٣) ولازمه على بن عيسى الربعى عشرين سنة فى شيراز ، وكان عضـد الدولة نفسـه يبـاهى بالتلمذة له ويقول (أنا غـلام أبى على فى النحو) (٤) كما كان من تلامذته قاضى القضاة فى شيراز (٥) •

والحقيقة ان أبا على لم يقض حياته العلمية فى شيراز ولم يكن علمه

---

(١) أحسن التقاسيم •
(٢) بغية الوعاة ٣٢٠ •
(٣) بغية الوعاة ١٥٩ •
(٤) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٤ •
(٥) بغية الوعاة ٣٢٠ •

وقفا عليها فقد ولد فى فسا سنة ثمان وثمانين ومائتين وانتقل قبيل العشرين الى بغداد فى سنة سبع وثلاثمائة فلقى فيها أبا أسحق الزجاج ، وأبا بكر ابن السراج وعلت منزلته فى النحو حتى فضله كثير من النحويين على أبى العباس المبرد فكان أبو طالب العبدى يقول : لم يكن بين أبى على وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبى على •

ظل أبو على فى العراق فتعلم وعلم وانتقل الى عواصمها وجول فى بيئاتها العلمية وله فيها المسائل البغدادية أو البغداديات ، والبصريات نسبة الى البصرة ، والقصريات نسبة الى قصر ابن هبيرة فى نواحى الكوفة ثم انتقل الى بلاط الحمدانيين فى الموصل سنه احدى واربعين وثلاثمائه وكان سيف الدولة مولعا بالمسائل اللغوية فاجتمع هناك ابن خالويه ، وأحمد بن نصر ، وأبو على الفارسى ، ولكن المنافسة بين هؤلاء العلماء لم تدع لأبى على فرصة البقاء فى الموصل فطوف فى بلاد الشام وزار طرابلس والمعرة وحلب وألف فيها الحلبيات كما نزل دمشق وأملى بها المسائل الدمشقية ثم عاد الى بغداد سنة ست وأربعين وثلاثمائة وعقد مجلسه فيها سنتين رحل بعدها الى شيراز وعقد مجلسه فيها عشرين سنة عاد بعدها مرة أخرى الى بغداد (١) •

ترك أبو على أكثر من ثلاثين مؤلفا فى اللغة والنحو والقراءات ومن أهمها كتاب الحجة •

● كتاب الحجة :

كان أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد قد جمع القراءات السبع في كتاب ، تناوله تلميذه أبو بكر بن السراج بالشرح والتفسير ولكنه

---

(١) انظر فى هذه الجولة ٢٣٢ وما بعدها من الجزء السابع من معجم الأدباء ١ : ٣٦١ من كتاب وفيات الأعيان ط السعادة سنة ١٩٤٨م •

لم يمل من كتابه الا آيات قليلة من سورة البقرة فنشط له أبو على الفارسى فبدا بنص أبى بكر بن مجاهد فى كتاب القراءات ثم اتبعه بكلام أبى بكر ابن السراج ثم عقب على ذلك بكلامه فلما انتهى ما كان املاه ابن السراج استقل أبو على بالكتاب •

وكتاب الحجة وان استهدف الاحتجاج لوجوده القراءات الا انه فى جملته معلمة لغوية • فهو يتناول اللفظ الذى قرئ على أكثر من وجه فيبين موقعه من اللغة مستشهدا بايات اخرى من القرآن الكريم ثم يعقب على ذلك باراء اللغويين وحججهم من مأثور كلام العرب ، وفى أحيان كثيرة جدا كان يستطرد الى الحديث عن وجوه الأعراب ويغرق فى المسائل النحوية ويعرض للقضايا اللسانية فيتكلم عن الحروف المهجورة والمهموسة وحروف الذلاقة وحرفى الطلاقة الى غير ذلك • ويستلفتنا فى منهج أبى على ما يلى :

شدة كلفه بالقياس :

ولقد بلغت هذه المسألة مبلغها عنده وأورثها من بعده ابن جنى ونكتفى هنا ببعض ما لمحناه متصلا بهذه المسألة فى كتاب الحجة أما مسألة القياس عامة ـ ولأبى على مجال واسع فيها فقد فصلنا القول فى مكان آخر •

يقول أبو على : (•••• وهذه اللغة وان كان سيبويه قد سماها الرديئة فلها من وجه القياس ما ذكرته) (١) ويقول (فان الحمل على القياس والأمر العام أولى حتى يحوج الى الخروج عنه أمر يضطر الى خلافه ويخرج عن الشائع الواسع) (٢) أو يستدل على زيادة (لا) فى قوله تعالى (ما منعك الا تسجد) بقياسها على آية أخرى (ما منعك ان تسجد) •

---

(١) الحجة ١ : ٥٧ مخطوطة مكتبة الاسكندرية •

(٢) المصدر السابق ١ : ٧٣ •

ـ استقل أبو على ببيان حجج القراءات بعد سورة الفاتحة وآيات قليلة من سورة البقرة الى قوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وهو القدر الذى انتهى اليه ابن السراج •

ـ عنايته بالنحو والاعراب : فانه بالرغم من التفصيل والاستطراد وما كان يقدمه من أقوال الرواة فى سياق الاحتجاج أو الاستشهاد فانه كان يعقد فى آخر الآية حديثا خاصا لإعرابها ويعرض لاراء سيبويه ، والأخفش ، والجرمى والكسائى ، والفراء ، وثعلب ثم يعقب على هذا برأيه أو الوجه الذى يرجحه •

ـ كان يكثر من الرواية عن أبى زيد كما كان يروى أكثر شواهده من الأشعار عنه وقد لاحظ ذلك أبو حيان التوحيدى فقال فى كتاب الامتاع والمؤانسة (••• وما تجاوز فى اللغة كتب أبى زيد وأطرافا مما لغيره) (١)•

وقد عقد أبو حيان مقارنة بين أبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى وعرض فيها لعلى بن عيسى الرمانى نحيل اليها فى كتاب الامتاع والمؤنسة لفائدتها (٢) •

● على بن عيسى الربعى :

وتلمذ لأبى على الفارسى أبو الحسن على بن عيسى بن الفرج الربعى • وهو شيرازى الأصل ذهب بادىء الأمر الى بغداد فأخذ عن أبى سعيد السرافى ، وخرج الى شيراز فجلس الى أبى على الفارسى عشرين سنة حتى قال فيه أبو على (ما بقى له شىء يحتاج ان يسأل عنه) •

كان الربعى يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به ، وكان يستدنيه عضد الدولة يسأله رأيه فى معانى بعض

(١) الامتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩م •
(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٩ •

الأبيات (١) الا أن الربعي كان يتهم بالجنون فقلت الافادة منه ، قيل لأبي القاسم بن برهان : يا سيدنا تترك الربعي والأخذ عنه مع ادراكك اياه وتأخذ عن أصحابه ؟ فقال : كان مجنونا (٢) وان كان من الصعب التوفيق بين جنونه هذا وبين اختيار عضد الدولة له .

ومن تصانيف أبي الحسن : كتاب شرح الايضاح لأبي على الفارسي ، وشرح مختصر الجرمي ، والبديع في النحو ، وشرح البلغة ، وكتاب ما جاء من المبني على فعال ، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي ، ويقال انه شرح كتاب سيبويه ثم عاد فغسله (٣) .

● **أبو محمد الحسن بن أحمد :**

ومن علماء شيراز أبو محمد الحسن بن أحمد المعروف بالأسود الغندجاني وصفه ياقوت (باللغوى النسابة) وقال فيه (كان علامة نسابة عارفا بأيام العرب وأشعارها قيما بمعرفة أحوالها) (٤) . وتدل تآليفه على أنه تصدى لكبار اللغويين يستدرك على كتبهم فله كتاب فرجة الأديب في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه ، وكتاب ضالة الاديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب ، وكتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات اصلاح المنطق وكتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة ، وكتاب نزهة الأديب في الرد على أبي على في التذكرة ـ وكان لا يقنعه أن يرد ردا جميلا على ائمة العلم حتى يتناولهم بالسخرية والتهكم فوقع فيه أبو يعلى ابن الهبارية الشاعر وطعنه في وسيلة تلقيه العلم وتحصيله اذ كان مستنده

---

(١) معجم الأدباء ١٤ : ٨٢ ـ ٨٤ .

(٢) معجم الأدباء ١٤ : ٨٥ .

(٣) انظر ترجمته في نزهة الألباب ٤١٤ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢٣ ، انباه الرواة ٢ : ٢٩٧ وبغية الوعاة ٣٤٤ .

(٤) معجم الأدباء ٧ : ٢٦١ .

فيما يرويه عن محمد بن أحمد المعروف بابن الندى وهذا رجل مجهول كما يدعى ياقوت • وقال ابن الهبارية (ليت شعرى من هذا الأسود الذى قد نصب نفسه للرد على العلماء وتصدى للأخذ على الائمة القدماء ؟ بماذا نصحح قوله ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه الا على أبى الندى ؟ ومن أبو الندى فى العالم ؟ لا شيخ مشهور ولا ذو علم مذكور) (١) •

هنا نضع ايدينا على بعض الأسباب التى عابوا بها علماء الرواية ومن أشهرها هذه التهم التى توجه الى طرق التلقى - فبالرغم من ان أبا محمد الأعرابى كان فى كنف الوزير العادل أبى منصور بهرام بن مافنه وان وسيلته اليه كانت هذه التآليف التى كان يهديها اليه ويجعلها باسمه وان أبا محمد قد أصاب بسببها مالا جما وثروة واسعة فانه لم يسلم من هذا الطعن الذى لم يوجه أساسا الى هذه الكتب وانما الى هذا الاسناد الذى لم يتجاوز (أبا الندى) •

ولقد عودنا العلماء انهم يهدون تآليفهم الى الخلفاء والأمراء عندما يرون فيها شيئا ثمينا يصبر أمام الامتحان والنقد •

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٦٢ •

أصبهان

أما أصــبهان فكانت تتوســط إقليم الجبــال ، واقليم فارس يذكرها بعضهم هنا ، ويذكرها بعضهم هنــاك ـ ويراها المقدسى من أعمال فارس لأسباب ذكرها فى كتابه (١) .

ولقد نعمت اصبهان من عصر مبكر بكتب الأصمعى ، وأشعار شعراء الجاهلية والاسلام مقروءة عليه .. حملها أحمد بن حاتم صاحب الأصمعى ـ يروى ياقوت انه لما أقدم الخصيب بن اسلم أبا محمد الباهلى صاحب الأصمعى الى أصبهان نقل معه مصنفات الأصمعى وأشــعار شعراء الجاهلية والاســلام مقروءة على الأصمعى (٢) وكان قدومه أصبهان بعد سنة عشرين ومائتين(٣) فاقام أشهرا ثم تأهب للحج فدخل الى عبد الله بن الحسن وسأله ان يدله على رجل يسلم اليه دفاتره الى ان يرجع فقال له : عليك بمحمد بن العباس وكان مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن ـ مقبول القول ـ فسلم الباهلى اليه دفاتره ، وخــرج فأنسخها محمد بن عبد الله الناس ، فقدم الباهلى وقامت قيامته ودخــل الى عبد الله بن الحسن وذكر له ما كان يأمل فى دفاتره من التكسب بها فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم ووصله الخصيب بعشرين ألفا فتناولها ورجع الى البصرة (٤) .

---

(١) أحسن التقاسيم ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

(٢) ربما كان يقصد الاصمعيات ، أو المفضليات فقد قرئت هذه أيضا على الاصمعى

(٣) أى بعد وفاة الاصمعى بأربع سنوات .

(٤) معجم الأدباء ٢ : ٣٨٥ .

وفى هذا الخبر ما يكشف عن جو أصبهان العلمى ورغبة أهلها في الحصول على العلم ـ ولاشك ان أحمد بن حاتم عرف هذه الرغبة فيهم فتوجه اليها بكتب الأصمعى فور وفاته متاجرا بها ـ وفى احتيالهم على نسخها بهذه الصورة وتعويض صاحبها مالا دليل آخر على تأكيد هذا الرأى فيهم .

ونشأ فى أصبهان ابرهيم بن غيث فخرج فى صغره الى العراق حيث التقى بأبى عبيدة وأبى زيد (١) ثم عاد الى أصبهان ، ولا نكاد نعرف من أمر هذا الرجل الا هذه الاشارة العابرة التى ذكرها ياقوت فى ترجمة الحسن بن عبد الله المعروف بلغدة ولكنها تؤكد على كل حال سبق أصبهان وانصرافها الى العناية بالدراسة اللغوية .

وكان يفد على محمد بن يحيى بن ابان أعراب يضربون خيامهم بفناء في باغ (٢) سلم بن عود ، ويقصدهم طلاب اللغة يسمعون منهم ويصححون عليهم ما وجدوه فى كتب اللغة . ولقد أفاد من كل هذا أبو على الحسن بن عبد الله الأصفهانى فأخذ اللغة عن أبى نصر أحمد ابن حاتم صاحب الأصمعى ، والكرمانى صاحب الأخفش ، وحفظ فى صغره كتب أبى زيد ، وأبى عبيدة ، والأصمعى ثم تتبع ما فيها وعرضها على هؤلاء الأعراب فكان يلقى عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة فاعانه ذلك على تأليف كتاب في النوادر يقول عنه حمزة الأصفهانى (وكتاب النوادر هذا كتاب كبير يقوم بازاء كل ما خرج الى الناس من كتب أبى زيد فى النوادر) (٣) .

ولأبى على كتاب الصفات ، وخلق الانسان ، وخلق الفرس ، وله ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر عنى بجمعها حمزة الأصفهانى

---

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤١ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) المصدر السابق .

وأرسلها الى أبى اسحق الزجاج (١) ولا ندرى وجهة حمزة الأصفهانى فى هذا التصرف ـ هل كان يباهى بعلم أصبهان أم كان ينشد تمامها بعرضها على علماء العراق •

وقدم أصبهان أبو منصور محمد بن على بن عمر بن الجبان وقد أمضى شطرا من حياته فى الرى ، وصفه ياقوت بقوله (أحد حسنات الرى وعلمائها الأعيان ، جيد المعرفة باللغة ، باقعة الوقت ، وفرد الدهر وبحر العلم ، وروضة الأدب) (٢) فلما قدم أصبهان أخذ عنه رجالها ولأبى منصور كتاب الشامل فى اللغة ذكره القفطى فقال (هو كتاب كبير على الحروف ملكت منه بعضه ، وهو تصنيف كثير الألفاظ قليل الشواهد ـ وقصده فيه جمع الألفاظ اللغوية) (٣) كما صنف أبنية الأفعال وشرح فصيح ثعلب (٤) •

وفاز بالعلم من أصبهان ـ كما يحكى الصاحب بن عباد ـ حائك وحلاج ، واسكاف ـ فالحائك هو المرزوقى (٥) أحمد بن محمد بن الحسن ـ عنى بكتاب سيبويه فقرأه على أبى على الفارسى ، كما شرح كتاب الفصيح لثعلب ـ ومن كتب المرزوقى التى وصلت الينا كتاب الأزمنة والأمكنة وهو كتاب لغة وان اسسه على بيان الأزمنة والأمكنة ، واليك طريقته •

يقول عن أمس : هو اليوم الذى يليه يومك الذى أنت فيه • ثم يذكره مضبوطاً بحسب أقوال الرواة ـ فقطرب وغيره (رأيته أمس ـ بالكسر) وتميم يرفعونه فى موضع الرفع فيقولون : (ذهب أمس بما فيه) وآخرون يبنونه دائما فيقول الراجز :

---

(١) معجم الادباء ٨ : ١٤٢ والفهرست ١٢٠ وبقية الوعاة ٢٢٢ •
(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢٦٠ ـ ٢٦١ •
(٣) انباه الرواة ٣ : ١٩٤ •
(٤) معجم الأدباء ٥ : ٣٥ •
(٥) المصدر السابق •

لقـد رأيت عجبـا مذ امسـا
عجايزا مثل السعالى خمسا (١)

واذا تحـدث عن أيام الأسـبوع تنـاول اختـلاف اللغات فيها ، ومناسـبة اشـتقاقها كقولهم فى السبت انه سـمى كذلك للراحـة ، ومنه السبات : النوم ، ويقال : انسبت الرجل اذا اعترته سكتة ، وقيل أصـل السبت القطع ، ومنه السبات لأنه يحول بين التميز وصاحبه ويقطعه عن عادته وتصرفه - ويقـال : سبتوا عنقه اذا قتلوه - والمنسبت من النخـل ما يجـرى الارطاب فى جميعه فكأنه انقطع عن حـد البسر ... الى غير ذلك (٢) ويقول فى صفر وهو يعرض للشهور (وسمى صفرا لأنهم كانوا يغزون الصفرية وهى مواضع كانوا يمتارون الطعام فيها ، وقيل لأنهم كانت أوطانهم تخلو من الألبـان - ومن كلامهـم نعوذ بالله من صفر الاناء ... ويقال صفرت عيبة الود من فلان أى خلت ...) (٣) .

عسكر مكرم

وقريب من أصـفهان بلدة تسـمى عسكر مكرم نشـأ بها أبو بكر محمد بن على بن اسـماعيل الملقب (بمبرمان) فنـزل البصرة وأخذ عن محمد بن يزيد المبرد ونبغ فى النحو حتى أخـذ عنه جمـاعة من العلماء الصدور كأبى على الفارسى ، وأبى سعيد السيرافى ومن فى طبقتهما (٤) .

وخرج الى الأهواز قادما من البصرة القاسم بن اسماعيل أبو ذكوان(٥)

---

(١) الأزمنة والأمكنة ١ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ط الهند سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤م .

(٢) الأزمنة والأمكنة ١ : ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٣) المصدر السابق ١ : ١٧٧ .

(٤) انباه الرواة ٣ : ١٨٩ .

(٥) جاء اسمه مختلفا فى كثير من المراجع فهو ابن ذكوان ، وأبو ذكوان وعسل انظر فى ترجمته أخبار النحويين البصريين للسيرافى ص ٨٠ ، ومعجم الأدباء ١٢ : ١٦٨ . وبغية الوعاة ٣٢٤ .

ربيب التوزى أيام ثورة الزنج وأقام فى عسكر مكرم بعد أن تلمذ للمازنى والرياشى (١) .

ونشأ بها أبو هلال العسكرى اللغوى صاحب كتاب الفروق اللغويه وهو أكمل كتاب فى نوعه ، هدم فيه فكرة الترادف وقال : (ان كل اسمين يجريان على معنى من المعانى وعين من الأعيان فى لغة واحدة فان كل واحد منهما يقتضى خلاف ما يقتضيه الآخر والا لكان الثانى فضلا لا يحتاج اليه وذكر تفسير المبرد لقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) حيث قال : الشرعة لأول الشيء ، والمنهاج لمعظمه ومتسعه ولم يجوز ان يعطف الشيء على الشيء الا اذا كان فى أحدهما خلاف للآخر فاما اذا أريد بالثانى ما أريد بالأول فعطف أحدهما على الآخر خطأ ، لا تقول جاءنى زيد ، وأبو عبد الله اذا كان زيد هو أبو عبد الله) (٢) .

وكذلك بنى رأيه فى انكار الترادف على انكار المشترك أيضا فقال : (وكما لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد على معنيين فكذلك لا يجوز ان يكون اللفظان يدلان على معنى واحد لأن فى ذلك تكثيرا للغة بما لا فائدة فيه) (٣) .

وهو لا يجوز كذلك ان تكون (فعل) و (أفعل) بمعنى واحد ... الا ان يجيء ذلك فى لغتين ، فاما فى لغة واحدة فمحال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما ظن كثير من اللغويين والنحويين وانما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما فى نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون تلك العلل والفروق

---

(١) أخبار النحويين البصريين ٨٠ ومعجم الأدباء ١٢ : ١٦٨ .

(٢) الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص ١٢ ط القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

فظنوا ما ظنوه من ذلك وتأولوا على العـرب ما لا يجـوز فى الحـكم
ثم بنى سائر كتابه على بيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ التى تبدو مترادفة
وقريب من أصبهان بلدة تسمى (قم) مصرت أيام الحجاج سنة ٨٣ هـ ،
ومن رجالهـا أحمد بن ابرٰهيم بن سمكة القمى وهو نحوى لغوى انقطع
الى آل العميد ، له كتاب العسل استوفى فيه ما جاء فى ذكر العسل وصفته ،
وما قيـل فى النحل وما ورد فى ذلك عن العرب • توفى فى حـدود سـنة
خمسين وثلاثمائة (١) •

---

(١) انباه الرواة ١ : ٢٩ •

الفصل الرابع

مظاهر الرواية في شرق العراق

بين العراق وشرق العراق :

بعد هذه الجولة ، يستلفتنا هذا الوجه المغاير للرواية فيالعراق من حيث السعة والضخامة ، فلقد نشأت هناك بادىء الأمر فى البصرة ثم نشطت فى الكوفة ، ولم تلبث ان ازدهرت فى بغداد وكان من أثر هذا الازدهار ان انتقل علماء الكوفة الى العاصمة الجديدة كما انتهى أمر البصرة تقريبا بعد ثورة الزنج فى سنة سبع وسبعين ومائتين (١) .

واجتمع المذهبان فى بغداد ـ البصرى والكوفى ـ وبقيا جنبا الى جنب يمدان شغل المجتمع البغدادى خاصة ، والاسلامى عامة بحجج الفريقين وتعمل الخصومات العلمية والمناظرات على تضييق الفوارق بما استقر من هذه الحجج ثم تتأثر الرواية بالحالة الاجتماعية ويرى فريق من العلماء ان العربية قد شابها اللحن وبدأت اللغة المتحللة من قيود الاعراب تأخذ مكانها فى المجتمع البغدادى فنشطوا الى وضع الكتب التعليمية ـ نرى رجلا كابن قتيبة يؤلف أدب الكاتب ، ويضع أبو العباس ثعلب كتاب الفصيح،

(١) انظر باب الرواية اللغوية فى البصرة فى كتابنا (رواية اللغة فى العراق) .

وتوالى الشروح على كتب ابن السكيت ، ويؤلف المفضل بن سلمه كتاب الفاخر فى اللغة يتناول فيه تفسير العبارات والأمثال التى تجرى على السنة الجمهور ـ وهكذا كان المظهر الغالب فى بغداد يعبر عن العلاقة بين اللغة والمجتمع فى هذه العاصمة •

أما الدراسة اللغوية فى شرق العراق فكانت مجزأة فى هذه العواصم المتعددة التى آثرنا ان نفرد لهـا ، واستطعنا بهذا التقسيم ان نضع أيدينا على كثير من الظواهر العامة فى هذا الاقليم ، كانت الدراســة العلمية عامة تجود فى ظل الولاة وكتابهم ، وعلى قدر حظ الأمير من العلم وحبــه له تجود الدراســة ، ولقد بدءوا ذلك فى الشرق حين علا ذكر البصرة وقبل ان يصبح ملاك الأمر الى بغداد فكان يحيى بن يعمر يكتب ليزيد بن المهلب فى زمن الحجاج بن يوسف ، وكان المأمون الذى يصفه المؤرخ ابن دحية (بالامام العــالم المحدث النحوى اللغــوى) (١) تلميذ لأبى محمد يحيى ابن المبــارك اليزيدى فى خراســان ، ويعيش فى كنفه أبو فيــد مؤرج السدوسى ، وتضيق الحال بالنضر بن شميل فيقف بالمربد قائلا (يعز على مفارقتــكم ، والله لو وجــدت كل يوم كيلجة باقلا ما فارقتــكم) (٢) ولم ير بدا من الذهاب الى خراســان ولاذ بالمأمــون على حالته هذه ، ثم لا يلبث ان ينعــم فى ظله ، وتجــود قريحتــه ـ وكل هؤلاء بصرى من قدامى رواة البصرة ومن أماثلهم •

ومن بعده استــأثر طاهر بن الحســين ومن بعده عبد الله بن طاهر بأبى المنهال عوف بن محلم الخزاعى ، وكان طاهر لايخــرج فى ســـفر الا أخرجه معه وجعله زميله وأنيسه وبقى مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه فلما مات طاهر قربه ابنه عبد الله وأنزله منزلته من أبيه (٣) •

---

(١) النبراس لابن دحيه ٤٦ وانظر تاريخ بغداد ١٢ : ١٨٣ •
(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٤٩ •
(٣) معجم الأدباء ١٦ : ١٤٠ •

ولما قلد المأمون عبد الله بن طاهر ولايه خراسان سنة سبع عشرة ومائتين سأله عبد الله أن يمده بثلاثة من علماء العراق فأجابه الى طلبه (١) كما حرص عبد الله ان يصحب معه عددا من الأعراب الرواة ، وذهب به حب العلم والعلماء ان يغرى زعيمى البصرة والكوفة أبا العباس المبرد ، وأبا العباس ثعلب على العيش فى قصره وبقى الأخير فى ضيافته ثلاثة عشر عاما .

وهكذا كانت سيرة آل سامان ، يجمعون العلماء عشيات جمع رمضان للمناظره يبدءونهم بأسئلتهم ثم يتركونهم يتكلمون فيها (٢) .

وكان بنو بويه من أحرص الولاة على العلم والعلماء ، وتدلك المناقشات التى كانت تدور بين عضد الدولة وبين أبى على الفارسى على أن هذا الرجل كان يتبوأ من العلم بقدر ما كان يتبوأ من الرياسة والامارة ، وكان ابنه تاج الدولة البويهى يحرض علماء العراق على السفر اليه ويمنيهم ونجح فى اجتذاب السيرافى والربعى وهما آنذاك من كبار العلماء فى بغداد فسافرا الى سيراف وأقاما فيها عشرين سنة (٣) .

وطابت الحياة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى بالرى حين حمل اليها من همدان ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة البويهى(٤) وظل أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى فى تطوافه على العراق وغير العراق حتى استدناه الحسين بن على الى خراسان وأكرم وفادته .

الكتب والمكتبات

ولم تقتصر همة هؤلاء الأمراء عند هذا الحد من تشجيع العلماء

---

(١) معجم الأدباء ٣ : ٢٣ .

(٢) أحسن التقاسيم ٣٣٨ .

(٣) يتيمة الدهر للثعالبى ٢ : ص ٥ .

(٤) نزهة الالبا ٣٩٢ .

واستضافتهم بل سعوا الى الحصـــول على الكتب اللغوية التى صـــدرت فى العراق فلم يترك عضـــد الدولة كتابا صنف الى وقته الا اقتنـــاه (١) وكان الصاحب بن عبـــاد يحتـــاج فى نقل كتبه الى أربعمائة جمل (٢) ولم تكن هذه المكتبات مجرد خزائن تباهى بها الولاية غيرها من الولايات بل كانت تمد أصحابها ومن يلوذ بهـــم بفيض من العلم ، ويحكى ان الصاحب حين صنف كتـــاب الوقف والابتداء وكان ذلك فى باكورة شـــبابه أرسل اليه أبو بكر بن الانبارى وقال له : انما صنفتُ كتابى الوقف والابتداء بعد ان نظرت فى سبعين كتابا تتعلق بهذا العلم فكيف صنفت هذا الكتاب من حداثة سنك ؟ فقال الصاحب للرسول : قل للشيخ نظرت فى النيف وسبعين كتابا التى نظرت فيها ونظرت فى كتابك أيضا (٣) .

وحين لاحظ العلماء ميل الأمراء الى اقتناء الكتب صاروا يهدون اليهم كتبهم أو يؤلفون لهم خاصـــة فألف اليزيدى كتـــاب المختصر فى النحـــو لأولاد المأمـــون (٤) وألف الفراء كتـــاب المذكر والمؤنث وكتـــاب البهى لعبد الله بن طاهر (٥) وصنف ابن دريد أكبر كتبه وهو الجمهرة لآل ميكال، وأهدى أبو على الفارسى كتـــابى الايضاح والتكملة لعضد الدولة بن بويه وألف أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب الغريب المصنف فى ثلاثين سنة وجاء به الى عبد الله بن طاهر فأمر له بألف دينار وأشار الجاحظ الى ذلك فقال (بلغنا انه اذا ألف كتابا حمله الى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالا خطيرا فلما صنف غريب الحديث اهداه اليه فقال : ان عقلا بعث صاحبه على عمل هذا الكتـــاب لحقيق الا يحـــوج الى طلب معاش واجـــرى له فى كل شـــهر

---

(١) أحسن التقاسيم ٤٤٩ .

(٢) انباه الرواة ١ : ٢٠٢ .

(٣) نزهة الالبا ٤٠٠ .

(٤) معجم الأدباء ٢٠ : ٣١ .

(٥) الفهرست لابن النديم ١٠٠ ط الرحمانية .

عشرة آلاف درهم) (١) وألف أحمد بن فارس كتاب فقه اللغة واهداه الى الصاحب بن عباد وما زال هذا الكتاب يعرف باسم (الصاحبى) الى اليوم ومن أعمال محمود بن سبكتكين ان جمع العلماء فى سجستان وكلفهم وضع كتاب فى التفسير يجمعون فيه أقوال المفسرين ، ويبينون فيه وجوه القراءات ، وعلل النحو والتصريف ، ويضمون اليه ما رواه ثقات الحديث وتم هذا العمل الضخم فى مائة مجلد .

آثار الرواة ودلالتها

واذا عرضت لآثار الرواة فى شرق العراق وجدت فيها نوعين يسترعيان النظر :

الأول : مؤلفات تدلك على عنايتهم بكتب العراقين ومحاولة الاستدراك عليها .

الثانى : المعاجم .

ففى الناحية الأولى تستلفتك هذه المؤلفات التى تناولت أمهات الكتب التى صدرت فى العراق بالنقد أو التكملة أو الرد والاستدراك عليها ومهمة النقد هذه لا تتأتى الا لقوم أوتوا من العلم مرتبة عالية تتجاوز حد الاستيعاب ، ولهذا لم تكن عملية سهلة ، ولم تنته بانتهاء التأليف فيها وانما تبع ذلك نقد للنقد ، واستدراك على الاستدراك فلقد رأينا قيمة كتاب غريب الحديث الذى ألفه أبو عبيد القاسم بن سلام والذى كان رجال الحديث يستقرئونه هذا الكتاب سعيا الى ما فيه من الغريب بخاصة وقد اهتدى به ابن قتيبة فعمل كتابا فى غريب الحديث قدم له بقوله : (.. وأرجو الا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال) (٢)

(١) معجم الأدباء ١٦ : ٢٥٥ .

(٢) النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ص ٥ .

ولكن أبا سعيد الضرير وضع في شرق العراق كتابا رد فيه على أبي عبيد ، ونبه الى اخطاء فيه (١) واستدرك على كتاب العين رجلان في شرق العراق فعمل أبو حامد البشتي كتاب (التكملة) يقصد تكملة العين ، وصنف محمد بن عبد الله المعروف بالاسكافي كتاب (غلط كتاب العين) (٢) •

واذا عرضت لمؤلفات الحسنُ بن أحمد الأعرابي الغندجاني وجدت أغلبها يدور حول الرد على العلماء وتخطئتهم والاستدراك على كتبهم فمن ذلك :

- كتاب فرجة الاديب في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه •
- كتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضا في شرح أبيات اصلاح المنطق •
- كتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب •
- كتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة •
- كتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة (٣) •

وتناول الحسن بن عبد الله الأصبهاني بالنقد الكتابين الكبيرين اللذين ظهرا الى عهده في غريب الحديث وهما كتاب أبي عبيد وكتاب ابن قتيبة (٤) كما كان له ردود على علماء اللغة ، وعلى رواة الشعر ، والشعراء جمعها حمزة الأصفهاني وأرسلها الى أبي اسحق الزجاج وكأنه يباهي بها علماء

---

(١) معجم الأدباء ٣ : ١٦ •
(٢) معجم الأدباء ١٨ : ٢١٥ •
(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٦٥ •
(٤) معجم الأدباء ٨ : ١٤٢ •

العراق يدلك على هذا ما كتبه تعريفا بالحسن بن عبد الله اذ قال فى آخر هذا التعريف (.. لم يكن له فى آخر أيامه نظير بالعراق) (١) .

ونحن عندما نذكر عن رواة شرق العراق هذا المسلك فاننا لا ننفى معه قدرتهم على الاستدراك أو التخطئة ، ولا نقلل من جهدهم هذا — لاسيما وانهم لم يقصدوا علماء العراق بالذات ، ولا قدامى الرواة بالذات بل كانت بعض هذه الاستدراكات توجه الى رجال شرق العراق أنفسهم — ولكنها ظاهرة تدل على المنافسة النافعة المفيدة — لا الخصومة المتعصبة .

المعاجم فى شرق العراق

والظاهرة الهامة الثانية هى صدور معظم المعاجم اللغوية فى شرق العراق — حتى كتاب العين نفسه ، وهو أول معجم لغوى كما نعلم والذى ينسب الى الخليل بن أحمد البصرى لا يخلو من حكاية تربطه بخراسان ، فتارة ينسب الى الليث بن نصر بن سيار أنه شارك فى هذا الكتاب كما يحكى ابن النديم (٢) ويحكى ياقوت قصة ينتهى فيها الى ان الليث أملى نصف الكتاب من حفظه وجمع على الباقى أدباء زمانه وقال لهم : مثلوا عليه واجتهدوا (٣) والذين وجدوا خللا فى كتاب العين نزهوا الخليل عن هذا الخلل وأرجعوه الى الليث لأنه سأل عن لغته أعراب خراسان وقد خالطوا الأعاجم (٤) كما ان هذا الكتاب لم يظهر فى البصرة أول ما ظهر ، ولكن قدم به وراق من خراسان وكان فى خزائن آل طاهر (٥) .

والمعجم الثانى الذى ظهر فى أثره هو كتاب الجمهرة لابن دريد ومع أن ابن دريد بصرى النشأة والتلقى فان هذا الأثر الكبير يؤلف ويظهر

(١) معجم الأدباء ٨ : ١٤١ .
(٢) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية و ١ : ٤٣ ط أوربا .
(٣) معجم الأدباء ١٧ : ٤٦ .
(٤) انباه الرواة ٣ : ٤٢ .
(٥) الفهرست ٦٤ ط الرحمانية .

لأول مرة فى هذه البلاد الشرقية حين الفه وأهداه صاحبه لأبى العباس اسماعيل بن عبد الله الميكالى ـ ويتناوله الصاحب بن عباد بالدراسة والتعليق ويؤلف مختصرا له يسميه جوهرة الجمهرة •

ووضع أبو منصور محمد بن أحمد الازهرى معجم التهذيب فى اللغة وفى عصره وضع أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى كتاب الصحاح كما وضع أحمد بن فارس معجمه المسمى المجمل ، ونستطيع أن نلحق بهذا الاتجاه كتاب الجيم لشمر بن حمدويه وانّ كنا لم نعرف عنه أكثر مما كتبه الأزهرى عنه فى مقدمة التهذيب ، وكذلك ألف الثعالبى كتاب فقه اللغة وهو فى رأينا معجم وضع على نمط خاص •

وبعد • فما تفسير هذا الوجه من النشاط اللغوى سواء فى الكتب التى تناولت خصائص العربية ، أو فى المعاجم ؟

هل هو أثر من آثار تشجيع الولاة لهؤلاء العلماء الذين كانت صلتهم تزداد وثوقا بزيادة انتاجهم ، ونتيجة للطمأنينة والتفرغ والراحة التى نعم بها العلماء فى كنفهم ؟ •

أم هو تأكيد لذاتهم فى مقابلة الجهود التى صدرت فى البصرة والكوفة وبغداد ؟

أم شعورهم بحاجة مجتمعهم الى التعرف على العربية على هذا المستوى الرفيع ؟

ليس من شك فى ان تعدد الولاة ، وتعدد العواصم كان له أثر فى خلق المنافسة بين هؤلاء الولاة وقد رأوا آثار العلماء فى بغداد ، واستقر فى نفوسهم ان قصر الامارة لايفصح عن تمامه الا بوجود العلماء ، ومجالس العلم فيه ـ واذا كان الوالى أو الأمير أو الكاتب عالما كان اختياره للعلماء قائما على فهم دقيق ، وكان ما يقدم اليه من الكتب هو من ذلك

النوع الثمين الذى يرى فيه صاحبه مقدرة على البقاء أمام الامتحان والنقد ولعل ما يمثل هذا الذى نتصـــوره ونذهب اليه موقف عضـد الدولة من أبى على الفارسى ســواء فى مراجعته له فى مسألة المستثنى بالا وقد ذكرناها أم فى رده لكتاب الايضـاح وقوله له (ما زدت على ما أعرف شـيئا ، وانما يصلح هذا للصبيان) ويضطر أبو على لتأليف كتاب التكملة ، ويغرب فيه حتى يشذ عن ادراك عضد الدولة ٠

واكاد اتعلق بهـذا السبب المتمثل فى تشجيع الوُلاة ، والظـروف المريحـة الهادئة التى مكنت العلماء ان يجودوا بأفكارهم ـ وقد تعـددت العواصـــم فى شرق العـراق ، وتعددت البيئات العلمية ٠ اما أنه تأكيد للذات فى مقابلة الجهود والآثار التى صدرت فى العراق ، أو أنه شعور بحاجة مجتمعهم الخاص فى شرق العراق الى المعرفة بالعربية فشيئان ينفيهما عمومية المؤلفات التى صدرت عن هؤلاء العلماء ، والتى لم تستهدف المجتمع الشرقى بذاته وانما كانت تتجه الى المحيط العربى بأسره ـ فكتاب البهى الذى وضعه الفراء لعبد الله بن طاهر كان على درجة من التشابه مع كتاب الفصيح الذى وضعه ثعلب فى العراق حتى اختلط الأمر بينهما (١) فقيل انه هو ـ فكلاهما كتـاب تعليمى يستهدف النهوض بالثقافة اللغوية وان وضع أولهما للأمير الشرقى ٠

والجمهرة التى وضعها وأهداها ابن دريد لابن ميكال لم تعالج حالة خاصة لحظها ابن دريد فى قصر آل ميكال ، أو فى عامة البلاد الشرقية ، ولكن ابن دريد عالج بكتـابه قضية عامة حين لحظ فى طلاب عصره قصورا يمنعهم من الافادة بكتاب العين فاراد أن يسهل عليهم طلبتهم ـ ذكر ذلك فى مقدمة كتابه فقال :

---

(١) انظر ما كتبناه عن فصيح ثعلب فى الباب الثالث من كتابنا (رواية اللغة فى العراق) ٠

(ولم أجر فى انشاء هذا الكتاب الى الازدراء بعلمائنا ولا الطعن فى أسلافنا وانى يكون ذلك ـ وانما على مثالهم نحتذى وبسبيلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبنى وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته ••• وكل من بعده له تبع أقر بذلك أم جحد ، ولكنه رحمه الله ألف كتابه مشاكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره) (١) •

والطريقة التى اتبعها ليسهل الانتفاع بالجمهرة انه اختار طريقة الأبجدية العادية خلافا لما اتبعه الخليل ـ لأن علم العامة بها كعلم الخاصة ، كما اختار الجمهور من كلام العرب وأرجأ الوحشى ـ وبقيت الجمهرة الى وقتنا كتابا عاما لا يشير فى أية جزئية منه الى تخصيص يراد به شخص معين أو بيئة معينة • ولقد أملاها بعد ذلك عدة مرات من حفظه فى بغداد لم يتغير منها فى هذه النسخ المتعددة الا ما اقتضته طبيعة الاملاء من الذاكرة•

ومعجم التهذيب فى اللغة ، وضعه الأزهرى بعد أن لاحظ بعض العوار والدخل فى كتابى العين والجمهرة (٢) لم يبد فى زاوية منه أية اشارة الى شىء تتعلق خصوصيته بشرق العراق •

و كان صحاح الجوهرى بداية لتنظيم جديد حين وجد الجوهرى طلاب اللغة لا يصلون الى بغيتهم الا بمشقة ، وان عليهم أن يلموا بالتصريف والأبنية ، والاشتقاق ••• فاراد ان يجنبهم هذا الجهد فوضع كتابه فى صورة جديدة رتب الأبواب فيها بحسب الحرف الأخير فى الكلمة ودل على فصلها بواسطة حرفها الأول ، وسلسل وسط الكلمات على الأبجدية ـ وسرعان ما قامت الدراسات المختلفة حول كتاب الصحاح فى العراق ، وفى شرق العراق ، وفى مصر ولم تتحدد فائدته ببيئة معينة •

---

(١) مقدمة الجمهرة ١ : ص ٣ •

(٢) التهذيب ١ : ص ٦ •

والأمر على هذه الصـورة ، ووفرة التأليف فى المعاجم فى البـلاد الشرقية لا يفسره ايغال فى التخريج وجنوح الى الباس هذه البيئة لباسا متميزا عن بيئة العراق الا فى هذه السعة التى كانت نتيجة لتعدد البيئات العلمية التى تأثرت بتشجيع الامراء ، ولم يكن هناك فاصل يفصلهم عن علماء العراق وتبادل المعرفة معهم ، بل كان العلمُ هو الوسيلة التى ينتقل بها هؤلاء العلماء من ولاية الى أخـرى ، ومن قطر الى آخر فى منأى من العقبات التى كانت تفرضها الظروف السياسية وكانوا جميعهم ـ أو أكثرهم جوابين فى مختلف الاقطار العربية فلا يدهشك ان ترى لأبى على الفارسى : الحلبيـات ، والدمشقيات ، والبغداديات ، والقصريات والشـيرازيات وكل واحدة من هذه المؤلفات تنبئك عن الجهة التى الفت بها .

الباب الثاني

الرواية فى الشام

الفصل الأول

علاقة الشام ببلاد العرب

تقع الشام على مشارف شبه الجزيرة العربية ، الى الغرب من شمالها وتتصل باديتها بها ، وأرضها مهبط القبائل العربية النازحة من الجنوب منذ ألفين وخمسمائة سنة قبل الاسلام على أصح الأقوال ، أو منذ أربعة آلاف سنة في قول آخر . ففي تاريخ فلسطين ان العرب دخلوا قبل الاسلام بقرون ، والدليل ان نرام سين بن سرجون ملك الكلدان غزا فلسطين سنة ٣٨٠٠ ق . م وصادف في سيناء حكومة عربية ، وحارب قبيلة معان العربية وأسر أميرها ... وفيه ان سرجون الثاني غزا عرب البادية الذين اعتدوا على بلاد السامرة ، وأخضع قبائلهم ومنها ثمود ، ومدين ومساكنهم شرقي الاردن ، وحارب عباديد وأخذ منهم طائفة واسكنها في بلاد السامرة - ولما جاء الاسكندر الى غزة وحاصرها كانت حاميتها عربا فقاومته أشد المقاومة (١) .

وقامت في جنوب الشام ممالك عربية كمملكة النبط التي كانت تمتد من فلسطين وخليج العقبة ووادي الحجر والبحر الرومي وعاصمتها مدينة

(١) خطط الشام ١: ٥٩ - ٦٠ محمد كرد علي ط دمشق سنة ١٣٤٣ = ١٩٢٥ .

سلع أو البتراء فى وادى موسى ، واستمرت هذه المملكة من القرن الرابع قبل الميلاد الى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م كما كانت مملكة تدمر عربية أيضا •

وهجرة القبائل العربية الى هذه البلاد كانت أمرا طبيعيا فرارا من قسوة العيش بالصحراء ، أو فى أعقاب الكوارث المدمرة ـ يقول أبو الفرج لما أرسل الله سيل العرم على أهل مأرب قام رائدهم فقال : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير فليلحق ببصرى والحفير ـ وهى من أرض الشام فكان الذين سكنوه غسان (١) •

ومن أوائل من هاجر الى الشام سليح ، وعاملة ، وقضاعة وجاء ذلك فيما يحكيه البكرى (سارت سليح بن عمرو بن الحاف بن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بنى اذينة بن السميذع من عاملة ، وانتشر سائر قبائل قضاعة فى البلاد يطلبون المتسع فى المعاش ويؤمون الأرياف والعمران فوجدوا بلادا واسعة خالية فى أطراف الشام ••• فافترقت قضاعة فرقا أربعا ينضم الى الفرقة طوائف من غيرها يتبع الرجل اصهاره وأخواله) (١) وقال بعض آل سعد بن ملكيكرب يذكر منازل من خرج من اليمن :

وغسان حى عزهم فى سيوفهم ... كرام المساعى قد حووا أرض قيصر
وقد نزلت منا قضاعة منزلا ... بعيدا فامست فى بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج ... الى الحرة الرجلاء من أرض تدمر

---

(١) انظر معجم ما استعجم ١ : ص ٢٣ و ٢٥ و٢٦ لابى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م وانظر ١ : ٦٣ خطط الشام •

ولما استولى الرومان على هذه البلاد فى أوائل القرن الثانى الميلادى حكمها باسمهم رجال من العرب هم الغساسنة • ، وكان يأتى الى الشام بعض شعراء العرب يمدحون ملوكها وينعمون بجوها وخيراتها وقد حفظت لنا الرواية الأدبية بعض آثارهم فيها ــ يقول النابغة الذبيانى فى رثاء النعمان ابن الحارس الغسانى :

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم
عليه من الوسمى جود ووائل
وأنبت حوذانا ، وعوفا منورا
سأتبعه من خير ما قال قائل
بكى حارث الجولان من هلك ربه
فحوران منه خاشع متضائل
وما كان بينى لو لقيتك سالما
وبين الغنى الا ليال قلائل (١)

وزارها الأعشى فمدح آل جفنة فى قصيدة طويلة ، ومدح من سادات تيماء شريح اليهودى • وللأعشى فى هذه البلاد قصة مع حسان بن ثابت يرويها أبو الفرج وموجزها انهما دخلا بيت خمار بالشام فاشتريا خمرا وشربا حتى نام حسان ، وظن الأعشى أنه فعل ذلك حتى لا يتحمل ثمن الشراب ، وتنبه فسمع الأعشى يقول : كره الشيخ الغرم ــ فتركه حسان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمار كلها ثم سكبها تحت الأعشى فعلم أنه سمع كلامه فاعتذر اليه فانشد حسان :

ولسنا بشرب فوقهم ظل بردة
يعدون للخمار تيسا ومفصدا
ولكننا شرب كرام اذا انتشوا
أهانوا الصريح والسديف المسرهدا (٢)

---

(١) الاغانى ٨ : ٢١٤ ط دار الكتب •
(٢) الأغانى ٤ : ١٦٧ ــ ١٦٨ ط دار الكتب •

وكان بنو غسان يصطفون حكماء العرب ويرسلون فى طلبهم يتزودون من ثقافتهم ويلتمسون عندهم الرأى ويحرصون على استبقائهم فى الشام — أعجب أحدهم بعامر الطرب ، واغراه بوظيفة كبيرة وقال له : قد رأيت ان اجعلك الناظر فى امر قومى فانى قد رضيت عقلك ، وأتفرغ للذتى ومركبى فما رأيك ؟ فقال عامر ، وكان قد توجس خيفه من الغسانى وأراد ان يحتال لنفسه : ايها الملك ، ما احسب ان رغبتك فى بلغتك أن تجعل لى ملكك فقد قبلت اذ وليتنى أمور رعيتك وقومك ، وان لى كنز علم وان الذى أعجبك من علمى انما هو من ذلك الكنز احتذى عليه وقد خلفته خلفى ... فأذن لى حتى أرجع الى بلادى فآتيك به ... فأذن له وتعجل رجعته طمعا فى هذا الكنز الذى كان يبدو انه كان كتابا أو كتبا (١) .

وكذلك كتب الحارس بن أبى شمر الغسانى الى اكثم يسترشد بحكمته فكتب اليه أكثم ... (٢) فاذا تركنا قصور الغساسنة بما فيها من أماثل الشعراء وحكماء العرب الفينا بطونا من العرب تمد سكناها الى هذه البلاد ، ونسوق اليك بعض أخبارها .

تعريف بعض القبائل التى نزلت الموصل والشام وباديتها

ذكر الهمذانى بعض هذه القبائل فقال : اما مساكن لخم فهى متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر فى الجفار ، ومنها فى الجولان ، ومنها فى حوران والبثنية ، ومدينة نوى ... واما جذام فهى بين مدين الى تبوك فالى اذرح ، ومنها فخذ مما يلى طبرية من أرض الأردن ... واما عاملة فهى فى جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر واما ذبيان فهى من حد البياض بياض قرقرة .. بين تيماء وحوران لا يخالطهم الا طيىء ...

(١) المعمرون ٤٩ لابى حاتم السجستانى ط السعادة سنة ١٩٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨ .

واما كلب فمساكنهم السماوة وهى البادية بين الكوفه والشام ولا يخالط بطونها فى السماوة أحد ـ ومن كلب بأرض الغوطة عامر بن الحصين ابن عليم وابن رباب المعقلى ، ومن بنى الحارث بن كعب بيت يسكنون بالفلجة من أرض دمشق ...

ثم للخم ومن يخالطها من كنانة ما حول الرملة الى نابلس ، ولهم أيضا ما جاز تبوك الى زغر ، ثم البحيرة الميتة ، وللخم أيضا الجولان وما يليها من البلاد نوى ، والبثنية ، وشقص من أرض حوران ويخالطهم فى هذه المواضع جهينة وذبيان ... فاذا جزت جبل عاملة تريد دمشق وحمص وما يليها فهى ديار غسان من آل جفنة وغيرهم فان تياسرت من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت فى أرض بهراء ثم من أيسرهم مما يصل البحر تنوخ ... وما وقع فى ديار كلب من القرى تدمر ، وسلمية ، والعاصمية ، وحمص وهى حميرية (١) .

وكانت تيماء مسكن اليهود من العرب منهم السموءل بن عادياء ، ظلوا بها حتى بلغهم قدوم النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع وادى القرى فأرسلوا اليه وصالحوه على الجزية وأقاموا بها ـ فلما أجلى عمر رضى الله عنه اليهود عن جزيرة العرب أجلاهم معهم (٢) .

وسكن دمشق قوم من حمير أو همدان ، جاء ذلك فى تعريف بلدة الأوزاع ، قال ياقوت : قرية على باب دمشق من جهة باب الفراديس وهو فى الأصل اسم قبيلة من اليمن سميت القريه باسمهم لسكناهم بها فيما أحسب ، وقيل الأوزاع بطن من ذى كلاع من حمير وقيل من همدان(٣) ومنها فقيه الشام عبد الرحمن بن عمر الأوزاعى .

---

(١) خطط الشام ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) معجم البلدان ٢ : ٤٤٢ (تيماء) .

(٣) معجم البلدان ١ : ٣٧٤ ط السعادة سنة ١٩٠٦ .

وحول قنسرين يقول البلاذرى (وكان حاضر قنسرين لتنوخ منذ أول ما تنخوا بالشام ، نزلوه وهم فى خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل ... وفى قنسرين كان حاضر طيىء قديما نزلوه بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزلوا الجبلين (أجا وسلمى) وتفرق باقوهم فى البلاد) (١) .

وكان بقرب مدينة حلب حاضر تُدعى حاضر حلب يجمع أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم ، وظل أعقابهم به الى جعيد وفاة الرشيد (٢) .

وأهل حماة قوم من يمن والأغلب عليهم بهراء وتنوخ (٣) واهل حمص جميعا يمن من طيىء ، وكندة ، وحمير ، وكلب ، وهمدان وغيرهم .

وأهل اللاذقية قوم من يمن من سليح ، وزبيد ، وهمدان ويحصب واهل مدينة جبلة همدان وبها قوم من قيس ومن اياد ، ومدينة بانياس وأهلها أخلاط .

وأهل الغوطة غسان وبطون من قيس وبها جماعة من قريش ، ومدينة اذرح أهلها موالى بنى هاشم ... وأهل الجولان قوم من قيس أكثرهم بنو مرة وبها نفر من أهل اليمن (٤) .

وفى الموصل أقام ناس من تميم وغلب لسانهم بها وكان يختلف عن لغة غيرهم وأخص هذا الاختلاف انهم يكسرون أول الفعل المضارع فيقولون نكتب ونقرأ (بكسر النون) ويهملون اعلال اسم المفعول فيقولون

---

(١) فتوح البلدان ١٥٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يقول الأستاذ شكيب ارسلان كلمة تنخ بمعنى اقام جعلت الناس يخلطون بين تنوخ وتنوخ - واشار الى تنوخ القبيلة التى تحلفت على المقام بالشام فقيل الها نزار ، وأسد وغطفان وقيل الضجاعمة ودوس . مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٣١ ص ٢٥٩ .

(٤) خطط الشام ٦٥ بتصرف .

مبيوع ومعيوب بدلا من مبيع ومعيب ويزيدون الشين بعد الكاف المكسورة فيقولون لكش ، وعليكش فى لك وعليك (١) .

وكان بنو عقل ، وبنو كلاب ، وبنو نمير ، وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام فى عدوة (٢) وسكن بنو تغلب جنوبى الموصل ثم انتقلوا اليها ومحلتهم اليوم تعرف بمحلة التغالبة ولما أقبل خالد بن الوليد وافتتح الموصل سنة ٢٠ هـ سكن فيها من القبائل التى كانت تصحبه الخزرج وبنوا فيها أول مسجد لايزال يعرف الى الآن باسمهم .

ورحل الى الشام حين الفتح عديد من أفراد العرب وقبائلها ، وحين رأى أبو بكر توجيه الجيوش للشام كتب الى أهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفى غنائم الروم فسارع الناس اليه بين محتسب وطامع (٣) وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة رتبوا فيها قدر من يحتاج لها من المسلمين فان حدث فى شىء منها حدث من قبل العدو سربوا اليها الامداد (٤) .

ووصلت قبائل العرب الى انطاكية ، ذلك أنها كانت عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان فلما فتحت كتب عمر الى أبى عبيدة ان رتب بانطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات وحسبة واجعلهم بها مرابطة ... وكتب اليه عثمان ان يلزمها قوما وان يقطع لهم القطائع ... واقطع مسلمة ابن عبد الملك قوما من ربيعة (٥) .

---

(١) تاريخ الموصل ١: ٥١ للقس سليمان صايغ ط السلفية سنة ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٣١ .

(٣) فتوح البلدان ١١٤ .

(٤) فتوح البلدان ١٣٤ .

(٥) المصدر السابق ١٥٤ - ١٥٥ .

تأثر العربية بالرومية :

من الطبيعى ان يكون لهذا الاختـلاط أثره اللغوى والذى يبدو انه وجـد من زمن بعيد ، فقد جاء فى القـران الكريم وفى الآثار الأدبية كلمات قيل عنها انها روميـة تعربت لكلمة الفردوس التى يقول الزجاج فيها : انها كانت رومية تعربت (١) وقال ابن الكلبى بسنده : الفردوس : البستان بلغة الروم ، وقال السدى : الفردوس أصـله بالنبطية فرداسا ـ اما الفراء فيقول انه عربى وأن العرب تسمى البستان الذى فيـه الكرم فردوسا ، ويبـدو ان الفراء رآه عربيـا لأنه ورد فى القـرآن الكريم ، اما قبـل هذا فلم يـكن هذا اللفظ موجودا فيما تداولته العرب من شعر الشعراء كمـا يفهم من قول الزجاج (لم نجـده فى أشعار العرب الا فى شعر حسان) (١) وأنشد له :

وان ثـواب الله كـل موحـــد
جنان من الفردوس فيها مخـــلد

ومع أن هذا البيت ورد فى قصـيدة له يمدح فيها النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ولا يبعد ان يكون حسـان اقتبسـها من القرآن الكريم الا اننـا لا نستبعد أيضا أن تكون هذه اللفظة مما علق بذهن حســان حينما كان بالشـــام .

والقسطاس فى رأى ابن دريد رومى معرب ، وعقد الثعالبى فصلا لما ينسبه بعض الأئمة الى اللغة الرومية ذكر فيه بالاضافة الى كلمة الفردوس وكلمة القسطاس : السجنجل بمعنى المرآة ، والبطـاقة والقرســطون ، والاسـطرلاب ، والقسـطل ، والقنطار ، والقراميد بمعنى الآجـــر ، والترياق ، والقيطون للبيت الشتوى ، والنقرس والقولنج للمرضـين المعروفين بهذين الاسمين الى غير ذلك (٣) .

---

(١) المعرب للجواليقى ١٠٩ .
(٢) ديوان حسان ٦٦ ط اوربا .
(٣) فقه اللغة للثعالبى ٤٥٥ .

وبين الجواليقى طريقة انتقال كلمة البطريق الى العربيـة **بمعنى قائد** فقال : ولما سمعت العرب بأن البطارقة أهل رياسة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق وانما يريدون به المدح وعظم الشأن وانشد : لأبى ذؤيب :

وهم رجعوا بالحنـو حنو قراقـر
هوازن يحدوها كماة بطارق (١)

وذكر الأصمعى ان الجريال رومى معرب وهو صبغ أحمر استعمله الأعشى فى قوله :

وسبيئة مما تعتـق بابـل
كدم الذبيح سلبتها جريالها (٢)

وعرض الأب انستاس مارى الكرملى لبعض الألفاظ العربية وحاول أن يردها الى أصول يونانية • أو رومانية من هذه الألفاظ :

الغطريف : نقل الزبيـدى عن الصحاح ان الغطـريف (بالكسر) السيد ، وزاد الليث : الشريف وأنشد :

انت اذا ما حصـل التضبيب
قيسا ـ وقيس فعلهـا معـروف
بطريقهـا والملك الغطـريف (٣)

وقال ابن السكيت : الغطريف : هو السخى السرى ، وقيل : هو الفتى الجميل ، والجمـع الغطـارفة ، والغطاريف ، واليك تخـريج الكرملى لها • يرد الكرملى هذه اللفظة الى الكلمة اليونانية **Eutrapezos** ومعناها المقـراء المضـياف ويقول : وان شئت كل التدقيق فى المعنى فهـو الرجل الحسن المائدة أو الذى يتردد الى مائدته كثيرون ـ أو الذى يعامل الناس معاملة حسنة ـ أو السيد الشريف ، ويستدل على نقل الهمزة فى

---

(١) المعرب للجواليقى ٣٤ ـ والحنو : كل شىء فيه اعوجاج •
(٢) المعرب ٤٥ •
(٣) تاج العروس ٦ : ٣١٣ •

اليونانية الى غين معجمة فى العربية بما جاء عن العرب من قولهم (غما والله) بمعنى اما والله • وغابت الشمس فى آبت الشمس (١) •

والحرية :

للآلة الجارحة من اليونانية Harpe معنى ومبنى وتجيء الحرية عندهم بمعنى المنجل والسيف المنحنى (٢) •

وكلمة عامر :

وعامر من الأرواح عند العرب هو تعريب اللاتينيه (٣) • Amor

والخرثاء :

بكسر الخاء نمل فيه حمرة ، الواحدة خرثاءة وهى من اليونانيه Chrusitis Idos أى النماة الذهبيـة اللون ويرد الكرملى الى هذا الأصل اليونانى كلمة خرطيط وهى فراشة منقوشة الجناحين ، وعرض الكرملى للألقاب الرومانيـة عند قدماء العرب فذكر من ذلك : الانبراطور (بالنون) والقيصر ، والمركيز ، والفارس الى غير ذلك فى بحث طويل نكتفى بالاشارة اليه •

وهو يرى أن الأمثلة التى جاءت فى أبحاث القدامى لاتعنى الا شيئا يسيرا لأنهم كانوا يجهلون لغات الأجانب ، والذين كانوا يعرفون منها شيئا كانوا يعرفونه معرفة رجل عجل فى أمره •

هذه نبذة عن علاقة الشام ببلاد العرب وبقبائل العرب فى عصرها القديم وأثر ذلك فى العربيـة ـ وفى الصفحات القادمة نتكلم عن الرواية فى عهد الأمويين •

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى • المجلد الاول سنة ١٩٣١ م ص ١٤٥ •

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى المجلد الثانى سنة ١٩٣٢ ص ١٨١ •

(٣) مجلة المجمع العلمى العربى العدد الرابع ص ١٣٨ ، والعدد السابع سنة ١٩٣١ م ص ١٩٣ •

الفصل الثانى

الرواية فى عهد الأمويين

دخل الشام كله فى النطاق العربى بعد الفتح ، وما لبث ان انتقلت اليه عاصمة الدولة الاسلامية ، ونزحت اليه القبائل واستقرت به غريبة عن شبه الجزيرة فكان لهذه الغربة رد فعل قوى فى نفوسهم يتمثل فى تعصب الأمويين للعرب وللعربية التى يريدون استبقاءها حية قوية خالصة العروبة ، فكانوا يتواصون برواية الشعر ، ويحض عليه معاوية فيقول : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم فلقد رأيتنى ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملنى على الاقامة الا أبيات عمر بن الاطنابة :

ابت لى همتى وأبى بلائى
واخذى الحمد بالثمن الربيح
واقحامى على المكروه نفسى
وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات
واحمى بعد عن عرض صحيح (١)

---

(١) الاغانى ٤ : ١٤٤ ط دار الكتب ، العمدة ١ : ١٠ لابن رشيق ط هندية ١٩٢٥.

وفى سبيل هذا الترغيب فى رواية الشعر كان معاوية يثيب الرواة على عنايتهم به ــ ويروى أبو الفرج خبرا فى مثل هذا فيقول :

(جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبى سفيان لحاء بين يدى معاوية فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطال وأكثر فالتفت اليه معاوية متمثلا وقال :

ورام بعوران الكلام كأنها
نوافر صبح نفرتها المراتع
وقد يدحض المرء الموارب بالخنا
وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟ فقال : ذو الأصبع ، فقال : أترويه ؟ قال : لا فقال : من هاهنا يروى هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرويها يا أمير المؤمنين ، فقال أنشدنى : فأنشده حتى أتى على قوله :

وساع برجليه لآخر قاعد
ومعط كريم ذو يسار ومانع
وبان لا حساب الكرام وهادم
وخافض مولاه سفاها ورافع
ومغض على بعض الخطوب وقد بدت
له عورة من ذى القرابة ضاجع
وطالب حوب باللسان وقلبه
سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية كم عطاؤك ؟؟ قال : سبعمائة . قال اجعلوها ألفا (١)).

وبعث زياد بولده الى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالما بكل ما سأله عنه ، ثم استنشده الشعر فقال : لم ارو منه شيئا فكتب معاوية الى زياد : ما منعك ان ترويه الشعر ؟ فوالله ان كان العاق ليرويه فيبر ،

---

(١) الاغانى ٣ : ١٠٠ ــ ١٠١ ط دار الكتب .

وان كان البخيل ليرويه فيسخو ، وان كان الجبان ليرويه فيقاتل (١) •

وكان بنو أميــة لفرط عنايتهــم بالشعر وروايته ربما اختلفوا وهم بالشام فى بيت من الشعر ، أو خبر ، أو يوم من أيام العرب فيردون فيه بريدا الى العراق (٢) أو يرسلون راكبا فينيخ بباب قتادة بن دعامة السدوسى فيسأله عنه ثم يشخص (٣) كما كانوا يستقدمون حمادا الراوية فى سبيل هذه الغاية • وكان عبد الملك بن مروان يقول لمؤدب ولده : روه الشعر يمجدوا وينجدوا (٤) •

واذا رأينا من دواعى الرواية اللغوية فى العراق الرغبة فى فهم القرآن والحديث وغريبهما ، ودفع الى ذلك ايضا تيقظ شــعور الموالى نلمح فى سلوك الأمويين وجها آخـر هو الرغبة فى روايتها حفاظا عليها ومحاولتهم اللحاق بالعرب عن طريق فهم العربية والعلوم الاسلامية فاننا وتعصبا لهـا وافتتانا بها ، فهم يرونها أقوى الأسباب لربطهم بماضيهم ، فكانوا يستقدمون المؤدبين لأولادهم ثم لا يجدون فى هذا غناء عن البادية وأشدها دلالة على عروبتهم وأبينها اشـارة على خلوص هذه العـروبة ـ فكانوا يرسلون أولادهم اليها ليفصحوا ولينشئوا على سليقة من هذه اللغة وقد ندم عبد الملك أن استثنى الوليد من هذه العـادة فقال : اضر بنا حبنا للوليد فلم نوجهه الى البادية (٥) ولقد ظل الوليد واخوه محمد سبة فى جبين الأمويين بالشام ويغفرون لهما اللحن امتهانا لشأنهما اذ عرفا بذلك ولقد صلى الوليد يوما الغداة فقرأ السورة التى يذكر فيها الحاقة فقرأ (يا ليتها

---

(١) العقد الفريد ٥ : ٢٧٤ •

(٢) التصحيف والتحريف للعسكرى ص ٤ •

(٣) طبقات فحول الشعراء للجمحى ٥٠ •

(٤) العقد الفريد ٥ ٢٧٤ •

(٥) البيان والتبيين ٢ : ٢١٠ ط السندوبى •

كانت القاضية) بالصاد فقال ساخرا : (أما انه ان كان قالها انه لأحد الأخوين) (١) •

ونستطيع أن نعد من خلفاء الامويين ثلاثة عرفوا بالغيرة الشديدة على العربية وروايتها معاوية ، وعبد الملك (٢) وعمر بن عبد العزيز •

ثم تخبوا الرواية بالشام حين جاءت الدولة العباسية واتخذت عاصمتها في العراق ـ ويبدو أن نشاط الرواية في الشام كان مرتبطا بالامويين انفسهم فذهب بذهابهم ، ولم يعد النشاط اللغوى الى الشام مرة أخرى الا في ظل الحمدانيين بعد قرن ونصف ـ ذلك أن شيوخ العربية كانوا قد أخذوا اماكنهم بالعراق على مقربة من الاعراب الذين كانوا يأتون المربد بظاهر البصرة ـ ومع أن الشام كانت قريبة من البادية الا أن القبائل التى كانت تعيش فى هذه الجهة لم تكن على درجة من الفصاحة ونقاء اللغة بحيث يمكن الاطمئنان الى التلقى والأخذ عنهم •

ومن جهة أخرى ـ كان من اسباب الرواية اللغوية تيقظ الشعور القومى عند الموالى واحساسهم بذاتهم ومحاولتهم اللحاق بالعرب كرد فعل لسياسة الأمويين ، وكان أغلب هؤلاء الموالى من الفرس ويعيشون فى العراق ـ ولم يشترك الموالى الذين كانوا من اصل ارامى أو سريانى أو رومى بالشام فى هذا اللون من العلم لبعد مأخذه باستثناء رجل كابن جنى الذى واتته المناسبة فى الموصل وحلب بلقائه علماء العربية فيهما والذين وفدوا اليهما ضيقا من بغداد أو طمعا فى آل حمدان •

---

(١) المصدر السابق •

(٢) كان اذا طرب لشعر كثير اخرجه الى مؤدب ولده ليرويهم اياه ثم يسترده • الاغانى ٩ : ٢٣ وكان يغضب لسماع اللحن ويراه اقبح من آثار الجدرى فى الوجه ، وكان احد اربعة يصفهم الاصمعى بانهم لم يلحنوا فى جد ولا هزل • امالى الزجاجى ١٤•

الفصل الثالث

جوانب من النشاط اللغوى في ظل الحمدانيين

هنا ندخل في مرحلة جديدة من مراحل الرواية ـ جاءت متأخرة ـ تختلف عن هذه التى رأيناها عند الأمويين والتى كانت تستهدف التعرف على اللغة ، وان شئت قلت الابقاء عليها ، والمران على الأداء الصحيح بعيدا عن الشوب واللحن من خلال الرواية الأدبية .

لما غلبت الدولة العباسية ، وأقامت عاصمتها بالعراق ، نشطت الدراسة اللغوية هناك وشارك في روايتها من الفارسيين والموالى عدد يربو على من شارك فيها من العرب أو يزيد مدفوعين بهذه اليقظة القومية والتى كانت بمثابة رد فعل لتعصب الأمويين .

بدأ النشاط اللغوى في البصرة ، ثم في الكوفة ، ثم تركز في بغداد ـ كما نشط في البلاد الشرقية على النحو الذى أوضحناه في الباب السابق ... ولم نلحظ في الشام نشاطا كثيرا الى أن تولى أمرها أسرة عربية سارت سيرة خلفاء العراق وأحاطت قصورها بالعلماء والشعراء هى دولة الحمدانيين فمن هم الحمدانيون ؟

ينتسب الحمدانيون الى قبيلة تغلب ، وبنو تغلب من وائل من أعظم

بطون ربيعة بن نزار ، كانوا من نصارى العرب فى الجاهلية ، ولهم محل فى الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم فى الجزيرة وديار ربيعة ، ثم ارتحلوا مع هـرقل الى بـلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل ، وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس ابن هرير من بنى مالك بن بكر بن حبيب بن عمـرو بن غنم بن تغلب . ثم كان منهم بعد ذلك فى الاسـلام ثلاثة بيـوت : آل عمـر بن الخطاب العدوى ، وآل هارون المغمـر ، وآل حمـدان بن حمدون بن الحارث ابن لقمان بن أسد (١) .

ويرجع ظهور الحمدانيين وبروز شأنهم الى أيام المعتضد حين أراد الاستعانة بنفر منهم لشدوا أزره فى كسر شوكة فئة من القرامطة برياسة رجل يدعى هارون الشارى ، وانتدب لهذه المهمة الحسـين بن حمدان الذى اشترط على الخليفة ان يطلق سراح أبيه ـ وكان قد اعتقله ـ ان هو ظهر على القرمطى ، وتم للحسـين الحمدانى ما أراد ، فلمـا خلف المعتضد ابنه المكتفى عام ٢٨٩ هـ رأى فى بنى حمدان ، وفى عروبتهم بخاصة ما جعله يثق بهم فولى أبا الهيجاء على الموصل وأعمالها (٢) .

فلما كانت خلافة الراضى سـنة ٣٢٢ هـ ـ وكان ضعيفا ـ اسـتقل ناصر الدولة الحمدانى بالموصل وتوطد له هذا الأمر فى عهد المتقى وتزوج ابن المتقى بابنـة ناصر الدولة الحمدانى ـ فلمـا نجـم فى هـذه الأسرة سيف الدولة ورأى ان دولة الحمدانيين بالموصل قد دالت باحتلال بنى بويه لها انتزع مدينـة حلب وما حولهـا وكانت تحت حكم الاخشيد وانتهى الصراع بينهما الى اتفاق يتم لسيف الدولة بموجبه ان يحتفظ بشمال سوريا

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤ : ٢٢٧ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٣٤٨ و ٣٥٦ .

ويترك جنوبها بما فيها دمشق للمصريين ، ولم يكد يلي أمر هذه الدولة حتى وجه جزءا من جيشه لمحاربة الروم وانتصر عليهم في مرات عديدة. فوفد الى بابه الشعراء والعلماء رغبة في التماس الهدوء وفرارا من التقلبات التي سادت بغداد - أو طمعا في عطاء سيف الدولة الذى اشتهر أمره بالكرم الى حد السفه وأمر بضرب دنانير للصلات في كلُ دينار عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته (١) .

ووصف الثعالبي أسرة بني حمدان بقوله : كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم .. وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود ، وقبل الآمال ، ومحط الرجال وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء (٢) .

وامتاز بنو حمدان بحسن فهمهم للآداب العربية وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر ويثيب عليه فاجتمع من الشعراء على بابهم مالم يجتمع على باب أحد من الملوك بعد الخلفاء كان خطيب سيف الدولة ابن نباتة الفارقي ، ومعلمه ابن خالويه ، ومطربه الفارابي ، وطباخه كشاجم ، وخزان كتبه الخالديان والصنوبرى ، ومداحه المتنبي ، والسلامي والوأواء الدمشقي ، والرفاء ، والنامي ، وابن نباتة السعدى .

وقد يدهشك أن ترى بيئة علمية كهذه يتردد عليها أبو على الفارسي وأحمد بن فارس ، ويستقر بها الزجاجي ، وأبو الطيب اللغوى ، وابن خالويه وينشأ بها ابن جنى ويصدر عنها علم غزير - كيف تكونت هذه البيئة العلمية الضخمة ، وكيف تطورت ؟

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ١٥ ط مصر .
(٢) يتيمة الدهر ١ : ١١ .

الحقيقة ان هذه النشأة كانت طفرة ساعد فى وجودها ظهور الحمدانيين ذلك اننا لم نجد من أوائل الرواد فى هذا الاقليم الا ما يحكيه السيوطى من أن مسلمة بن عبد الملك بن سعد بن محارب الفهرى أخذ النحو عن خاله عبد الله بن أبى اسحق ، وكان مسلمة مؤدبا جعفر بن أبى جعفر المنصور ومضى معه الى الموصل وأقام بها حتى مات فصار علم أهل الموصل من قبله (١) ولكننا لم نجد فيما قرأناه أتباعا أو تلامذة لمسلمة هذا •

والطفرة التى ظهرت فى القرن الرابع فى الدراسات اللغوية تكاد تخلو من المقدمات فى الشــام ، والخبر التــالى يشــير الى أحد الرؤساء الموسرين فى الموصل يبذل جهدا كبيرا لاحياء النشاط العلمى بها ، وبالرغم من أن هذا الرجل لم يبلغ من الشهرة اللغوية مبلغ الاعلام فقد وصف بأنه لم يكن فى وقته من ينظر اليه ويفضــل فى العلوم سواه ــ تحدث أبو على بن الزمزام عن جعفر بن محمد الموصــلى المتوفى سنة ٣٢٣ هـ ــ فقال : كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصــل ولم يكن بها فى وقته من ينظر اليه ويفضــل فى العلوم ســواه ، متقدما فى الفقه معروفا به قويا فى النحو فيما يكتبه ، عارفا بالكلام والجدل مبــرزا فيــه حافظا لكتب اللغة ••• وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب للعلم لا يمنع أحــد من دخولها اذا جاءها غريب يطلب الأدب ، وان كان معسرا أعطاه ورقا وورقا (فضة) تفتح فى كل يوم ويجلس فيهــا اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه النــاس فيملى عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته (٢) •

هذه جوانب جانبية من النشاط العلمى فى هذه البيئة ــ أما الجوانب الكبرى التى طفرت اليها الرواية فى الشام وظهرت فيها آثار الرواه فنعقد لها الفصل القادم •

---

(١) بغية الوعاة ٣٩١ •

(٢) معجم الأدباء ٧ : ١٩٢ ــ ١٩٣ •

وجوه النشـــاط اللغوى في الشــام

الزجاجى :

من أوائل العلماء الذين نلتقى بهم فى الشام أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق الزجاجى ٣٣٧ هـ وهو نهاوندى من أهل الصيمرة (١) انتقل الى بغداد فلزم أبا اسحق ابرهيم بن السرى الزجاج فنسب اليه كما جلس الى نفطويه ، وابن دريد ، وأبى بكر بن الانبارى ، والأخفش الصغير على بن سليمان (٢) ثم انتقل الى الشام فأقام مدة فى حلب ومدة فى دمشق.

وضع كتابا فى النحو اسمه (الجمل) وصفه صاحب كشف الظنون بقوله (هو كتــاب نافع مفيد لولا طوله بكثرة الأمثلة) وقد عرض لهذا الكتاب البطليوسى وصنف فى نقده كتابا ســماه (الحلل فى اصلاح الخلل الواقع فى كتاب الجمل) ، كمــا شرحه ابن بابشاذ ونكت نكتا فى الرد عليه . وظل هذا الكتاب مطلب الناس فى الشــام ، ومصر ، والمغرب ، والحجاز واليمن لسهولته ـ ووضع كتابا شرح فيه (مقدمة أدب الكاتب) استدرك عليه جمــاعة من العلمــاء . ويعتبر الزجاجى فى طبقة أبى على

(١) بلدة بين بلاد الجبل وخوزستان .
(٢) انباه الرواة ٢ : ١٦٠ .

الفارسي فلما وردت للزجاجي مسائل نحوية الى العراق تلقاها أبو على وعلق عليها بقوله (لو رأنا الزجاجي لاستحيا منا) لأن أبا على وضع كتاب الايضاح الذى كان يقرن بكتاب الجمل (١) •

وللزجاجي كتاب الامالى يقول فيه السيوطى (وآخر من علمته أملى على طريقة اللغويين أبو القاسم الزجاجى ••• ولم أقف على امالى لأحد بعده) (٢) والحقيقة انه ظهر فى القرن الرابع كتابان كبيران فى الأمالى أحدهما هذا الكتاب ، والثانى وهو أكبر منه وأغزر مادة كتاب الأمالى لأبى على القالى والذى سنعرف به فى حديثنا عن الأندلس •

كتب الأمـــالى :

وجدت طريقة الأمالى من عصر مبكر فكان يملى أبو حاتم ، والفـراء وابن دريد • وجمع الامالى فى كتب ظهر من عهد ثعلب فكان يطلق على كتـاب مجالس ثعلب امالى ثعلب أيضـا • وكتب الامالى تحوى اشتاتا من العلوم تأتى أحيـانا فيض الخاطر ، وتستخرجهــا المناســبة ، ويمدها الاستطراد ويبدو ان بعضها جمع من المجالس بواسـطة الطلاب ، وكان لمجالس الاملاء المتخصصة منها والعامة من التقاليد والعادات ما يكشف عن هذا الجو الذى يتفق مع أهميتها وجلالها ـ كان الشيخ يتوقف عن الاملاء اذا كان بحضرته من هو أعـلم منـه ـ يقـول ثعلب : حضرت مجلس أبى حبيب فلم يمل فقلت : ويحك امل ، مالك ؟ فلم يفعل حتى قمت وكان حافظا صدوقا فى الحق ، وكان الفراء اذا املى كتـابه فى النوادر ودخل اللحيانى أمسك عن الاملاء حتى يخرج فاذا خرج قال : هذا أحفظ الناس فى النوادر (٣) ويقول السيوطى تفســيرا لذلك (فى هذا توقير

---

(١) انباه الرواة ، ٢ : ١٦١ ، وفيات الاعيان ٢ : ٣١٧ ، بغية الوعاة ٢٩٧ •
(٢) المزهر ٢ : ٣١٤ •
(٣) طبقات الزبيدى ٢١٣ •

العالم من هو أجل منه فلا يملى بحضرته) (١) .

ومن الشيوخ من كان يحرص على كلام أخذه عن شيخه ولم يعرف له معنى أو وجهـا من التفسـير فكان يلقيه كما هو منسـوبا الى أستاذه ، قال ابن دريد : (أملى علينا أبو حاتم قال : قال أبو زيد : مابنى عليه الكلام ثلاثة أحرف فما زاد ردوه الى ثلاثة ـ وهكذا أملى علينـا أبو حاتم عن أبى زيد ـ ولا غيره) (٢) .

وأحيانا كان يستبقى الشيخ أسئلة طلابه اذا غمّ عليه أمرها ويرجع بها الى من يتوسم فيه المعـرفة من شيوخه ولا يجد غضاضة من التصريح بذلك فى اماليه ، حكى الزجاجى بعض هذا فقال : (أخبرنا نفطويه فقال : قال ثعلب سألنى بعض أصحابنا عن قول الشاعر :

جـــاءت به مرمــــدا ما مـــلا
مـــانى ال خـــم حـــين الا

فلم أدر ما يقول فصرت الى ابن الأعرابى فســـألته عنه ففسره لى فقال : هذا يصف قرصـا خبزته امرأة فلم تنضجه فقال : جاءت به مرمدا أى ملوثا بالرماد ـ ما مل أى لم يمل فى الملة وهو الجمـر والرماد الحار ثم قال : مانى ال ، وما زائدة كأنه قال : نى ال ، والال وجهـــه ، يعنى وجه القرص ، وقوله : خم أى تغير . حين الا أى حين ابطأ فى النضج ، يقال الى الرجل اذا توانى وابطأ فى العمل وأنشد :

فما الى بنى ولا أساءوا (٣)

واذا نسى الشيخ بعض الذى كان قد رواه ، وتداركه عليه أحـد طلابه فتذكره وعرف انه من روايته هو أعاد روايته ثانية ولكن عن من

---

(١) المزهر ٢ : ٣١٤ .
(٢) الجمهرة فى اللغة لابن دريد ٣ : ٣٨٤ ، المزهر
(٣) امالى الزجاجى ٩٥ ط السعادة سنة ١٣٢٤ هـ .

ذكره به فيقول : حدثني فلان أي تلميذه عني ، وحدثني فلان ويذكر شيخه في الأصل ، وكان علماء اللغة في هذا تبعا لعلماء الحديث الذين أجازوا رواية الأكابر عن الأصاغر ، حكى الدارقطني عن أبي بكر بن الانباري انه حضره في املاء فصحف اسما في اسناد قال الدارقطني : فاعظمت ان يحمل عن مثله في فضله وجلالته وهم ، ورأيت أن أوقفه عليه فلما فرغ تقدمت اليه وذكرت له ذلك وانصرفت ، ثم حضرت المجلس الآتي فقال للمستملي : عرف الجماعة اننا صحفنا الاسم الفلاني لما املينا كذا في المجلس الماضي ونبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب اننا رجعنا الى الأصل فوجدناه كما قال (١) .

كتاب الأمالي للزجـــاجي

عرض هذا الكتاب لفروع مختلفة من الثقافة ، ولو أنه في مجموعه كتاب لغة الا ان الزجاجي كان يأتي بالأخبـار أحيـانا لاتتصل اتصـالا وثيقا بالرواية اللغوية كخبر عمـر بن أبي ربيعـة ومعشـوقته الثريا (٢) أو وصـية قيس بن عاصـم المنقري لبنيه (٣) وقد يتخير فصـيح القول وما أثر عن العرب من جمال العبارة كخطبة للنبي صلى الله عليه وسلم (٤) أو خطبة نسبها الى علي كرم الله وجهه (٥) أو حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان رضي الله عنه (٦) .

وكان يأتي أحيانا بالأشعار ـ وبعضها غير مشروح ـ وليس لها وجه من الرواية أو الاستطراد الا مجـرد الاختيـار وأكثر هذه الأشعار رواها

---

(١) بغية الوعاة ٩١ .
(٢) امالي الزجاجي ص ١٠ .
(٣) ص ٢٠ .
(٤) ص ١٨ .
(٥) ص ٨٨ .
(٦) ص ١٢٧ .

عن ابن دريد عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى عن عمه (١) أما ما كان شديد الاتصال بالدراسة والرواية اللغوية فسنتناوله بمزيد من التفصيل ونضع المتماثل منها تحت أصل واحد • فمن ذلك :

أوجه استعمال الأسماء :

يروى بسنده عن أبى زيد والأصمعى وغيرهما ما يذكر من أسماء تتقارب مدلولاتها فيحدد الاسم ومدلوله كما جاءت به الرواية فيقول مثلا :

الشجاج : قالوا الشج فى الوجه والرأس خاصة دون سائر الجسد • وأول الشجاج •

الخارصة : وهى التى تشق الجلد شقا خفيفا ولم يجر منها دم ، ومنه قيل خرص القصار الثوب اذا شقه شقا خفيفا •

الدامية : وهى التى ظهر دمها ولم يسل •

الدامعة : وهى التى قطر دمها كما تدمع العين •

الباضعة : وهى التى أخذت فى اللحم •

السمحاق: وهى التى جاوزت اللحم الى الجلدة الرقيقة وهى التى بين اللحم والعظم وتلك الجلدة الرقيقة يقال لها السمحاق ويقال للسمحاق أيضا الملطاء بمد وقصر ومنه الحديث (الملطاء بدمها) أى يحكم فيها لوقتها ولا ينظر الى ما يئول اليه أمرها •

الموضحة : وهى التى خرقت السمحاق الى العظم فأوضحته •

---

(١) صفحات ٨ و ٩ و ١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٨ و ٢٠ و ٢١ و ٢٥ و ٢٦ و ٣١ و ١١٠ و ١١١ الخ •

المقرشة : وهى التى تخرج منها العظام ٠

الآمــة : ويقال لها المأمومة ، والأميم أيضا وهى التى بلغت أم الرأس وهى مجتمع الدماغ ٠

الدامغة : وهى التى تخسف العظم ، ولا بقاء لصاحبها (١) ٠

وبسنده عن الفراء :

يده من العنبر عبقة ، ومن الشحم ودكة ، ومن الطين لثقة ، ومن الشهد شبرة ، ومن السمك طمرة (٢) ٠

وبسنده عن الفراء أيضا :

كل مستـدير كفة (بكسر الكاف) ، وكل مستطيـل كفة (بضم الكاف) (٣) ويبين الفرق فى كلمة (الخلف) حين يفتح لامها وحين تسكن فهى فى الأولى تستعمل فى الخير والشر ، وحين تسكن لامها لاتكون الا فى الذم (٤) ٠

ومن المترادف : (٥)

فى معنى النحـل : الثول ، والدبر ، والخشرم ، والرضع ، والدخا بتخفيف الخاء والقصر ، واليعاسيب ، والنوب كله بمعنى واحـد ، (٦) ٠

وبسنده عن ابن الأعرابى :

(١) الامالى ص ١٧ ٠
(٢) المزهر ١ : ٤٤٨ ٠
(٣) المزهر : ٢ : ٢٨٩ ٠
(٤) المزهر ٢ : ٢٩٦ ٠
(٥) من العلماء من انكر الترادف ورأى ان لكل كلمة معنى ليس فى أختها ٠ انظر الباب الرابع من كتابنا (رواية اللغة) ٠
(٦) امالى الزجاجى ١٩ ٠

هى العمامة ، والمشوذ ، والسب ، والمقطعة ، والعصابة ، والعصاب ، والتاج ، والمكورة ، ويقال : جاء رجل متختما أى متعمما ، وما أحسن تختمه أى تعممه — وقال : هذا حرف لم يذكره الا ابن الأعرابى (١) .

ومن الاشـــتقاق :

يقول بسنده عن ابن الأعرابى :

العشقة شجرة يقال لها اللبلابة تخضر ثم تدق ثم تصفر ومن ذلك اشتقاق العاشق (٢) .

وفى مادة غـــزل يقـــول :

غازل الكلب الظبى اذا عدا فى أثره فلحقه وظفـر به ثم عدل عنه ، ومنه مغازلة النســاء ... وقال أبو القاسـم : أصـل المغازلة من الادارة والفتل ... ومنه سـمى المغزل لاستدارته وسرعته فى دورانه ، وسمى الغزال غزالا لسرعته ، وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعتها (٣).

وبسنده عن أبى زيد : تقول العرب لشهرى البرد شـيبان وملحان لما يرى فيهما من بيـاض الثلج والصقيع ، فاشـتقاق شـيبان من الشيب ، وملحان من الملح (٤) .

ومن بقيـــة الأشـــياء :

قال أبو القاسم : القوس بقية التمر فى الجلة ، والاس بقية العســل فى وعائه ... والكعب بقيـة السمن فى النحى ، والهـلال بقيـة الماء فى الحوض ، والشفا مقصور بقية كل شئ (٥) .

---

(١) ص ٧١ .
(٢) ص ٩ .
(٣) امالى الزجاجى ٩ .
(٤) المصدر ٧٩ .
(٥) ص ١٣ — ١٤ .

ومن لحن العوام :

سئل الأصمعى ما المفلطح ؟ قال : هو الشىء يعرض أعلاه ، ويدق أسفله ومنه رأس مفلطح ، والعامة تقول : مفرطح (١) •

ومن شـــواذ الجمـــوع :

ومن شواذ الجموع ما يرويه بسنده عن معمر قال : سألت أبا عمرو بن العـلاء عن العثان ماهو ؟ فسكت ساعة ثم قال : هو الدخان من غير نار - قال أبو القاسم : يقال هو الدخان جمعه دواخن ، والعثان وجمعه عواثن ، ولا يعرف لهما نظـير فى الجموع لأن فعـالا لا يجمع على فواعـل غـير هذين (٢) •

وقال : لم يجىء فى كلام العرب من الجموع على فعال الا ستة أحرف من ذلك قولهم : ظئر وظؤار - وعنز ربى واعنز رباب ••• وتوام وتؤام ، وعرق وعراق ، ورخل ورخال ، وفرير وفرار لولد البقرة (٣) •

ومن نوادر الألفاظ :

يروى بســنده عن ابن الأعرابى أنه يقــال : اقتلت شيئا بشىء اذا أبدلته وهو نادر شاذ ، وقال ابن الاعرابى : سمعت اعرابيـا يقول لآخر : ادخل بغلامك هذا السوق فاقتل به غيره أى استبدل به (٤) •

وعن ابن دريد بســنده عن الأصمعى قال : قلت لبعض الأعراب أى

---

(١) فلطح وفرطح عربيتان ذكرهما اللسان واستشهد لهما بشعر لابن الأحمر البجلى وهو من بلحارث بن كعب يصف حية ذكرا :

حلفت لهازمه عزين وراسه   كالقرص فرطح من طحين شعير

(٢) ص ٧٨ •

(٣) امالى الزجاجى ص ٨٢ •

(٤) ص ٢٧ •

الأيام أقر ؟ قال : الأحص الورد ، والازب الهلوف • قلت : فسره لى قال : الاحص الورد هو يوم تصفو سماؤه ويحمر جوه وتطلع شمسه فلا ينفك من برده لانك لا تجد لها مسا ، والازب الهلوف يوم تهب فيه نكباوة تسوق الجهام ـ قال أبو القاسم : أصل الحصص قلة الشعر فكانما لما لم يكن فيه غيم شبهه بالأحص الرأس • والهلوف الجمل الكثير الوبر ، يقال لحية هلوفة اذا كانت كثيرة الشعر فشبهه بالغيم الذى فيه لهذا ، والجهام : سحاب لاماء فيه (١) •

ومن الصيغ : فعلت وافعلت :

وقد تناولها قدامى الرواة فكتب فيها الأصمعى ، والنضر بن شميل وأبو العباس المبرد ••• وقال أبو القاسم من غير اسناد يقال : عدى الفرس ، واعداه فارسه اذا حمله على العدو (٢) ويقال : رميت الشىء من يدى ، وأرميته عن الفرس (٣) •

ومن الاضداد :

يقال بعت الشىء اذا بعته فاخرجته عن يدك ، وبعته اذا اشتريته يستعمل فى الضدين جميعا (٤) •

الأمثال :

ونالت الأمثال بعض عنايته ، تحدث عنها وعن مناسبتها وأقوال اللغويين فيها وعرض فى الكتاب لمناظرات قدامى الرواة وخصوماتهم فأشار الى آرائهم ووجوه الاختلاف بينهم كما كان يدلى برأيه أحيانا ولا يكتفى بمجرد النقل ذكر مناظرة بين الكسائى والأصمعى بحضرة الرشيد (٥) وأخرى بين ثعلب

---

(١) ص ٧٨ •
(٢) ص ١١ •
(٣) ص ٢٧ •
(٤) ص ٩٩ •
(٥) ص ٣٤ •

والمبرد ينقل آراءهما أبو الحسن الأخفش (١) وثالثة بين الكسائى واليزيدى فى حضرة المهدى (٢) وأخرى بين الأصـمعى وابن الأعرابى (٣) وكلها تدور حول قضايا لغوية ٠

هذه جوانب مما جاء فى كتاب الأمالى لأبى القاسم الزجاجى مما يتصل برواية اللغة ــ مبعثرة لا ينظمها منهج خاص ، وانما جاءت وكأنهـا عفـو الخاطر فترى مسـألة لغوية بين مقطوعتين من الشعر الى جانب خطبة فصيحة واستطراد الى شرح غريبها الى غير ذلك ، وهذا نهج يكاد يكون عاما فى كتب الأمالى ، وان كانت الى المجالس أقرب ٠

(١) ص ٣٨ ٠
(٢) ص ٤٠ ٠
(٣) ص ٣٩ ٠

عبد الواحد بن على

أبو الطيب اللغوى ٣٥١

وهذا رجل آخر قدم من عسكر مكرم فى شرق العراق وتلقى العلم فى بغداد وأكثر من أبى عمر الزاهد (١) ومحمد بن يحيي الصولى ثم قدم حلب وأقام بها الى ان قتل فى دخول الدمستق سنة احدى وخمسين وثلاثمائة (٢) .

وكان سيف الدولة يلجأ اليه فى بعض ما يعن له من مسائل لغوية بالرغم من اقامة ابن خالويه فى قصره وانقطاعه له وكأنه بهذا يثير المنافسة بين الرجلين ـ يحكى بعض هذا أبو على الصقلى فيقول : (كنت فى مجلس ابن خالويه اذ ورد عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق باللغة فاضطرب لها ودخل خزائنه وأخرج منها كتب اللغة وفرقها على أصحابه يفتشونها ليبحث عنها فتركته وذهبت الى أبى الطيب اللغوى وهو جالس وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها وبيده قلم الحمرة فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب) (٣).

من تصانيف أبى الطيب : مراتب النحويين ، وكتاب فى الأتباع ، والابدال ، وشجر الدر ، والفروق ، والأضداد فى كلام العرب . وكلها تبحث فى المسائل اللغوية ما عدا الكتاب الأول الذى عرض فيه لرواة اللغة وميز أهل الصدق من أهل الكذب والوضع ، وقال فى سبب تأليفه : قد غلب الجهل وفشا حتى لايدرى المتصدر للعلم من روى ولا من روى عنه وحتى ان كثيرا من أهل دهرنا لا يفرقون بين أبى عبيدة وأبى عبيد ، وبين الشىء

---

(١) يقول أبو الطيب : قرأت على ابى عمر (الفصيح لثعلب) . واصلاح المنطق لابن السكيت حفظا .

(٢) بغية الوعاة ٣١٧ .

(٣) رسالة ابن القارح ٢٨ .

المنســوب الى أبى ســعيد الأصــمعى أو أبى سعيد السكرى أو أبى سعيد الضرير ويحكون المســألة عن الاحمر فلا يدرون أهو الاحمر البصرى أو الأحمر الكوفى ولا يصلون الى العلم بمزية ما بين أبى عمرو بن العلاء وأبى عمرو الشيبانى ولا يمصلون بين أبى عمر عيسى بن عمر الثقفى وبين أبى عمــر صــالح بن اسحق الجرمى ، ويقولون قال الأخفش فلا يفرقون بين أبى الخطاب الأخفش ، وأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش البصرى وبين أبى الحسن على بن المبــارك الأخفش[٢] الكوفى (١) وأبى الحسن على ابن سليمان الأخفش بالامس اصاحب محمد بن يزيد ، وأحمد بن يحيى ، وحتى يظن قوم ان القاسم بن سلام البغدادى ، ومحمد بن سلام الجمحى صاحب الطبقات اخوان ... فرسمت لك فى هذا الكتــاب ما تقبح الغفلة عنه ، ولا يســع العقلاء جهله) ثم كرر الحملة على رجال عصره وضرب الأمثلة على جهلهم ومما قاله فى هذا :

(وقد بلغنى عن بعض من يختص بهــذا العلم ويرويه ويزعم أنه يتقنه ويدريه أنه أسند شيئا فقال : عن الفراء عن المازنى ــ فظن أن الفراء الذى كان هو بازاء الأخفش كان يروى عن المازنى ... ! وحدثت عن آخر أنه روى مناظرة جرت بين ابن الاعرابى والأصمعى وهما ما اجتمعا قط ، وابن الاعرابى بازاء غلمــان الأصــــمعى ، وانمــا كان يــرد عليه بعده) (٢) .

ويبدو ان أبا الطيب قد وقع فيما حذر الناس منه ، وعيب بما عابه الناس به ــ فعلى بن المبــارك الذى ذكره باســم الأخفش هو الأحمــر لا الأخفش ، جاء ذلك فى كل كتب الطبقات التى عرضنا لها (٣) وينفى

---

(١) هو الأحمر لا الاخفش .

(٢) مراتب النحويين ص ٥ .

(٣) انظر نزهة الالبا ١٢٥ ، ومعجم الادباء ١٣ : ٥ ــ ١١ ، تاريخ بغداد ١٢ : ١٠٤ ، وانباه الرواة ٢ : ٣١٣ ، بغية الوعاة ٣٣٤ .

لقاء ابن الاعرابى والأصــــمعى - ولم يقم على ذلك دليــلا غير قوله (وابن الاعرابى بازاء غلمان الأصمعى) والحقيقة انهما تعاصرا طويلا ، فابن الأعرابى ولد لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة خمسين ومائة وتوفى سنة احدى وثلاثين ومائتين عن احدى وثمانين ســنة عاصر منها الأصــمعى قرابة ست وسـتين سنة ، والأسباب التى ذكرتها كتب الأخبار والطبقات فى لقاء الرجلين ليس من بينها مطعن واحد يتصل بالمنطق والعقل بل تؤيدها أخبار ووقائع أخرى .

لقد كانا خصمين نتيجــة للخصــومة التى قامت بين المفضل الضبى والأصمعى ونحن نعلم أن ابن الأعرابى ربيب المفضل فكان لذلك يزعم أن الأصمعى وأبا عبيدة لايحســنان قليــلا ولا كثيرا - والأمر على غير هذا ولا يقر قول ابن الاعرابى ايغال فى الخصــومة ، بل كان ذلك من أسباب نفــور أبى زيد الاقليدسى - قيــل له لم لم تأت ابن الاعرابى ولم تقــرأ كتبه ؟ قال : بلغنى انه كان ينتقص الشيخين يعنى الأصمعى وأبا عبيدة (١) فهذا من أدلة الخصومة وان لم يقم كدليل قاطع على تقابلهما ولكنه يؤيد الواقعة التى ذكرها كثير من الاخباريين والرواة فى سبب هذه الخصــومة بعد التقائهما ونحن ننقلها عن القفطى قال :

(كان ابن الأعرابى يطعن على الأصمعى ، وسببه أن الأصمعى دخل يوما على سعيد بن سلم (٢) وابن الأعرابى يؤدب حينئذ ولده فقال لبعضهم : أنشــد أبا ســعيد ، فأنشــد الغلام لرجــل من بنى كلاب شــعرا رواه ابن الأعرابى وهو :

رأت نضــــو أســــفار أميمة قاعدا
على نضــــو أسفار فجن جنونهـــا

(١) انباه الرواة ٣ : ١٢٩ .

(٢) هو سعيد بن سلم الباهى . من اقارب الاصمعى .

فقالت : من أى الناس أنت ومن تكن
فانك راعى صرمة لا تزينهـــا
فقلت لها : ليس الشحوب على الفتى
بعار ، ولا خير الرجال سمينها
عليك براعى ثلة مسلحبة
يروح عليه محضها وحقينها
سمين الضواحى لم تؤرقه ليلة
وأنعم ابكار الهموم وعونها

ورفع ليلة فقال الاصمعى : من رواك هذا ؟ فقال : مؤدبى ، فاحضره واستنشده البيت فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقل : انما اراد (لم تؤرقه ليلة ابكار الهموم) و (عونها) جمع عوان و (أنعم) أى زاد على هذه الصفة ، وقوله (سمين الضواحى) يريد ما ظهر منه وبدا انه سمين ، ثم قال لابن سلم : من لم يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتأديب ولدك . فنحاه) (١) .

ويروى ابن الأنبارى عن ابن الأعرابى قوله : (شهدت الأصمعى وقد أنشد نحوا من مائتى بيت ما فيها بيت عرفناه) (٢) .

ومما رواه الزبيدى نفهم أن ابن الأعرابى والأصمى التقيا فى منزل سعيد بن سلم الباهلى ، كما يفهم ان هذا اللقاء كان أكثر من مرة فانظر ما يقول الزبيدى :

(ابن الغازى : حدثنا محمد بن الفضل بن سعيد بن سلم ، حدثنى أبى قال : كان ابن الأعرابى يؤدبنا فى أيام أبى سعيد بن سلم ، فكان الأصمعى يأتينا مواصلا فيناظره ابن الأعرابى فيرتجل ذلك وكان أعلم بالأعراب منه ، وكان الأصمعى يفتر فيه ويغريه بالشعر ويسلكه مسلكه فى جهة المعانى ، فاذا وقع هذا الباب وبرىء من الأعراب التهمه فلم يغترف من بحره) (٣) .

---

(١) انباه الرواة ٣ : ١٣٣ ـ ١٣٤ ، المزهر ٢ : ٣٢٢ .
(٢) نزهة الالبا ١٥٣ .
(٣) طبقات الزبيدى ٢١٣ ـ ٢١٤ .

ويبدو ان هذه المناظرات قد تركت أثرا حسنا فى نفس ابن الأعرابى بالرغم من وجود الخصومة بين الرجلين جعلته يحرص على آراء الأصمعى ويسعى الى تدوينها • واليك ما يحكيه الزبيدى فى ذلك أيضا :

(يقول أبو حاتم : كان الأصمعى يأتى سعيد بن سلم ، وابن الأعرابى مؤدب لولده فيفارق المجلس ويسأله سعيد بن سلم الاملاء على ولده فيفعل فاذا زال الأصمعى خرج ابن الاعرابى فيقول : أعرضوا على ما أفادكم الباهلى _ قال : ثم يكتبه) •

واذا كان كل ما ورد مؤكدا لقاء الرجلين لا يقنع أبا الطيب اللغوى فان دعواه التى لم يقدم لها دليلا الا قوله (وابن الأعرابى بازاء غلمان الأصمعى) لا تقنع أحدا • وهل لم يقابل الأصمعى غلمانه ؟!

أما هذه الحملة على علماء عصره فهى محل نظر أيضا اذ أن أهل العربية فى القرن الرابع الهجرى يعتبرون من أفذاذ العلماء فى تاريخ الرواية ويبدو أن الرجل كان تحت تأثير منافسة شديدة بينه وبين ابن خالويه الذى كان يستمد قوته من صحبته لسيف الدولة الحمدانى فانطلق لسان أبى الطيب ينال من بعض رجال عصره فى كتاب مراتب النحويين على هذا النحو من الشدة والعنف • والكتاب بعد هذا يشتمل على تراجم مفيدة لرجال البصرة والكوفة وبغداد وعلاقات بعضهم البعض والخصومات بينهم ، وأقدارهم وأوزانهم العلمية من وجهة نظر أبى الطيب •

● **كتاب الابدال : (١)**

وأقدم من ألف فى الابدال أبو سعيد عبد الملك الأصمعى ، ثم ألف أبو يوسف يعقوب بن السكيت كتاب القلب والابدال واعتمد فيه إعتمادا واضحا على كتاب الأصمعى _ وعمل أبو الطيب كتاب الابدال نحا

---

(١) نشره الأستاذ عز الدين التنوخى فى جزءين •

فيه نحوهما ، واكتفى بتبويب الكتاب على الحروف التى يمكن ان تتعاقب فى الكلمة الواحدة كقولهم فى ابدال الثاء والفاء : الحثالة والحفالة : الردى من كل شيء وثلغ رأسه وفلغه : اذا شدخه ، والثوم والفوم الحنطة • ومن الجيم والكاف : مر يرتج ويرتك : اذا ترجرج ، وأخذه سج فى بطنه وسك : اذا لان بطنه ـ الى غير هذا •

ولم يعلل أبو الطيب لظاهرة الابدال الا فى قوله انها لغات فقال : (ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفان الا فى حرف واحد ••• والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى ، وكذلك ابدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو ان عن ، لا تشترك العرب فى شيء من ذلك انما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون) •

أما الذى علل لظاهرة الابدال وشقق الحديث فيها فهو أبو الفتح ابن جنى •

● **كتاب الفروق :**

ولأبى الطيب كتاب فى الفروق ذكر فيه ما توصف به اليد عند لمسها أصنافا من الملموسات كقوله : يده من اللحم غمرة ، وندلة ـ ومن اللبن وضرة ومن السمك والحديد أيضا سهكة ، ومن البيض ولحم الطير زهمة •••• الى غير هذا (١) •

ومن الذين تكلموا فى الفروق على هذا الوصف الفراء ، وثعلب ونقل الزجاجى فى أماليه بعض هذه الأوصاف أشرنا اليها فى تحليلنا لآمال الزجاجى •

---

(١) المزهر ١ : ٤٤٧ •

● **شجر الدر :**

وهذا ضرب آخر من التأليف سار فيه على نهج أستاذه أبى عمر الزاهد الذى ألف كتاب المداخل وهو لون من المذاكرة اللغوية استند صاحبه على أصل من الأصول ففسره وجعل هذا التفسير سبيلا الى الاستطراد فيما تداخل من المعانى وهذا نموذج من كتاب المداخل لأبى عمر الزاهد :

باب القطاج : اخبرنا ثعلب عن عمرو عن ابيه قال :

القطاج : قلس السفينة •

والقلس : ما يخرج من حلق الصائم من الطعام والشراب •

والشراب : الخمر •

والخمر : الخير • قال : والعرب تقول : ما عند فلان خل ولا خمر أى لا شر ولا خير •

والخير : الخيل •

والخيل : الظن •

والظن : القسم • قال وأخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال : من العرب من يقول : أظن أن زيدا لخارج بمعنى والله ان زيدا لخارج ، قال وأنشدنا ثعلب عن سلمة عن الفراء :

اظن لاتنقضى عنا زيارتكم
حتى تكون بوادينا البساتين (١)

ألف أبو الطيب اللغوى كتابه (شجر الدر فى تداخل الكلام بالمعانى المختلفة) بناه على أصل معروف من أصول العربية هو الاشتراك

(١) من مقدمة كتاب شجر الدر الذى حققه الاستاذ محمد عبد الجواد سلسلة ذخائر العرب (٢١) ط دار المعارف •

اللفظى ، ولنترك صاحبه يتحدث عن خطته فى الكتاب وسبب تسميته ، يقول فى مقدمة الكتاب : (هذا كتاب مداخل الكلام بالمعانى المختلفة سميناه شجر الدر لأنا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعا • فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة تتضمن من الشواهد عشرة أبيات من الشعر ، وكل فرع عشر كلمات فيها من الشواهد بيتان الا شجرة ختمنا بها الكتاب لا فروع لها ولا شاهد فيها عدد كلماتها خمسمائة كلمة أصلها كلمة واحدة وفى آخرها بيت واحد من شعر •

وانما سمينا الباب من أبواب هذا الكتاب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أى تداخله ، وكل شىء تداخل بعضه فى بعض فقد تشاجر ، ومنه سميت الشجرة شجرة لتداخل بعض فروعها فى بعض ••• الخ) •

وكنت أرجو أن أنقل عن الكتاب الشجرة الأولى كاملة بفروعها لولا التطويل ، ثم فضلت أن أوجز التعريف الى بيان طريقة التأليف وابراز المشترك الذى يتمثل فى الفروع •

فاصل الشجرة الأولى هو الصحن :

و (الصحن : قدح النبيذ ، والنبيذ : الشىء المنبوذ ، والمنبوذ : اللقيط ، واللقيط : النوى ، والنوى : الشحط ، والشحط : الذبح •• الخ •

أما فروع هذه الشجرة فهى :

الفرع الثانى الصحن : الاحذاء ، والاحذاء أن تهب الرجل نعلا والنعل : العتب من الأرض أى الغلظ ، والعتب ••• الخ •

الفرع الثالث الصحن : الضرب ، يقال : صحنته مئة سوط ، والضرب سقوط الضريب ، والضريب : النظير . النظير : المصاب بالعين ، والمصاب ... الخ .

الفرع الرابع الصحن : باحة الدار والجمع صحون وبوح ، والبوح : النفس ومن أمثالهم : ابنك ابن بوحك يشرب من صبوحك أى ابن نفسك ، والنفس العين ... الخ .

الفرع الخامس ، ونحن ننقله كاملا لتستطيع تصور ما جاء فى الفروع السابقة .

الصحن : باطن الحافر ، والحافر الذى ينبت الأرض بمعول أو نحوه ، والمعول : الرجل الكثير العول ، والعول : القيام بأمور العيلة ، والعيلة : الخصاصة قال الله تعالى (وان خفتم عيلة) قال الشاعر :

وما يدرى الفقير متى غناه
وما يدرى الغنى متى يعيل

أى متى تلحقه الخصاصة ـ والخصاصة : الفرجة فى الباب أو الحائط ـ والحائط : بستان النخل ، والنخل : الاخلاص ـ والاخلاص : الاسلام ـ والاسلام : ترك الشىء بغير مماثلة قال الراجز :

نحيت نفسي وتركت حزره (١)
نعم الفتى غادرته بثبرة (٢)
هل يسلم الحر الكريم بكرة (٣)

وهكذا كانت طريقة أبى الطيب يجعل الفروع سبيلا لايراد المشترك ، ثم يفسر اللفظة بثانية ، والثانية بثالثة .. والكتاب ثروة لغوية وأنابيش معجمية يعين على دراسة المفردات وبيان وجهها المشترك لفظا ومعنى .

---

(١) الحزرة : خير مال الرجل .
(٢) ثبرة : واد بديار ضبة .
(٣) شجر الدر ص ٨٨ .

الحسين بن أحمد بن خالويه

ومن الذين برزوا فى بلاط سيف الدولة ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ٢٧٠ هـ وهو فارسى المولد من همدان ، دخل بغداد وجلس الى كبار رجالها فى عصره كابن دريد ، وأبى عمر الزاهد ، وابن الانبارى ، وأبى سعيد السيرافى ثم انتقل الى الشام حين استقدمه سيف الدولة لتأديب أولاده فتصدر بحلب وحمص (١) وترك آثارا قيمة فى اللغة منها : مختصر فى شواذ القرآن ، اعراب ثلاثين سورة ، كتاب الشجر ، الاشتقاق ، الآل ، الجمل فى النحو ، المقصور والممدود وكتاب ليس فى كلام العرب (٢) .

وهذا الكتاب الأخير هو كتاب الفرائد بحق ، ولم يسبقه فى هذا النهج لغوى آخر - على ما نعلم - جمع ابن خالويه كل ما شذ عن الأقيسة فى العربية على قدر ما أحاط به حفظه فهو يقول : (ليس فى كلام العرب (أصرفت) الا فى موضع واحد وهو قولك أصرفت القوافى اذا أقويتها وأنشد لجرير :

قصائد غير مصرفة القوافى
فلا عيا بهن ولا اجتلابا (٣)

فاما سائر الكلام فصرفت . قال الله تعالى (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) ، وصرف ناب البعير والجمل يصرف نابه نشاطا والناقة كلالا واعياء (ص ٣) .

---

(١) انباه الرواة ١ : ٣٢٤ ، بغية الوعاة ٢٣١ .

(٢) ط بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) رواية ابن جنى للبيت فى كتاب الخصائص .

الم تعلم مسرحى القوافى فلا عيا بهن ولا اجتلابا

الخصائص ١ : ٣٦٧ ، ٣ : ٢٩٤ .

(وليس فى كلام العرب المصدر للمرة الواحدة الا على فعلة نحو : سجدت سـجدة واحـدة ، وقمت قومة واحدة الا حرفين حججت حجة واحدة بالكسر ، ورأيته رؤية واحدة بالضم وسائره بالفتح) وكان يورد قضايا لغوية تحت هذا الأصل ويعرض فيها لرأى البصريين والكوفيين فيقول : (سـيبويه وأبو زيد يزعمان انه ليس فى كلام العرب اسـفعل الا حرفا واحدا وهو اسطاع يسطيع بمعنى اطاع يطيع السين زائده سماعا عن العرب ، والكوفيون يقولون : انه ليس فى كلام العـرب سـين تزاد وحدها وانما هو استطاع فأسقطوا التاء) (١) •

ولما كانت الناقة والجمل هما عدة العربى جرت أسماؤها على لسانه بصيغ عديدة قال ابن خالويه : ليس فى كلام العرب اسم جمع ست مرات الا الجمل فانهم جمعوا الجمل أجملا ثم أجمالا ثم جاملا ثم جمالا ثم جمالة ثم جمالات وأكثر ما يكون الجمع مرتين أو ثلاث وهـذا ست مرات (٢) فهو نادر •

وليس فى كلام العرب اسم على ألفاظ مختلفة الا النـاقة فانهم قالوا ناقة ثم جمعوها ناقات ، ونوقا ، وناقا ، وأيانق ، ونياقا ، واينقا ، وأنوقا سبع مرات وسبعة ألفاظ وعلل لذلك بأنهم يمارسون النوعين كثيرا فينطقون بهما على ألفاظ مختلفة ، واستدرك ابن خالويه فزاد على أسماء الناقة ثلاثة أسماء أخرى حين عرض لهذه المادة فى شعر رواه الأصمعى للغنوى:

وحوافر صـــلب وقين من الوجا
لا بالصــــغار ولا الـكبار الخنب

وتخـــاله فى مشـــيه مستوجبا
نقبـــــا بحـــافره وان لــم ينقب

---

(١) كتاب ليس كلام العرب ص ١٦ •

(٢) ص ٣٠ •

يدع الجيـــاد اذا جـــرين كأنهـا
أنق مشكلة بأعلى ســـبسب

قال ابن خالويه : قوله مشكلة أى مقيدة يريد كأنها نوق ـ وجائز ان يكون اراد جمع أنوق وهو الرخم الطائر شبهها لسرعتها بذلك الطائر فأنوق وأنق مثل رسول ورسل ـ وان كان جمع الناقة فانه غريب ماسمع بمثله فعلى هذا تجمع الناقة : ناقات ، ونوقا ، وأنقا ، وأيانق ، وأينقا وأنيقات ، وأنوقات ، وأونقا ، وناقا ، ونياق (١) .

وذكر ابن خالويه فريدة من الفرائد فقـال : ليس فى كلام العرب نسوة بمعنى النسيان الا فى كتاب اللغات قال : نسيت الشىء أنساه نسيانا ، ونسيا ، ونساوة ، ونسوة . وكتبت امرأة الى زوجها :

(فوالله ما أدرى أصرمت أو ملت أم نسيت) فكتب اليها :

(فلســـت بصرام ولا ذى مـــلالة
ولا نسوة للعهـــد يا أم جعفر) (٢)

وقال ابن خالويه : ليس فى كلام العـرب (بعد) بمعنى (قبـل) الا حرفا واحدا فى القرآن . قال الله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) والزبور هاهنا القرآن فالمعنى : ولقد كتبنا فى الزبور من قبل الذكر ـ والأرض هاهنا الجنة ولا يدخلها الا الصالحون ، فاما أرض الدنيا فيرثها الصالحون والطالحون (٣) .

ولكن ابن خالويه ـ وقد لاحظنا أنه يحـاول حصر الشواذ يتجاوز هذا النهج عندما يتحدث عن ظواهر استقرت فى أذهان الرواة واطردت

---

(١) كتاب ليس فى كلام العرب ص ٧٥ .
(٢) ص ٤٢ .
(٣) ص ٤٤ .

حتى جرت فى أقيستهم • تحدث عن ورود الفاعل بمعنى المفعول فقال : ليس فى كلام العرب فاعل بمعنى مفعول الا قولهم : تراب ساف وانما هو مسفى لأن الريح سفته ، والريح سافية ، والرياح هى السوافى والسافى التراب أيضا ــ ومثله عيشة راضية بمعنى مرضية ، وماء دافق بمعنى مدفوق ــ وسر كاتم بمعنى مكتوم ــ وليل نائم بمعنى قد ناموا فيه وأنشد :

فنام ليلى وتجلى همى

وقد يجىء مفعول بمعنى فاعل ، قال الله تعالى (حجابا مستورا) أى ساترا •

وهاتان مسألتان وردتا فى اللغة واطردتا حتى جاز القياس عليهما ولم ينكر ابن خالويه ذلك فقال (وهذه كلها مجاز محتمل فى الكلام) قال تعالى (بل مكر الليل والنهار) وقال تعالى (فما ربحت تجارتهم) والتجارة ما تربح وانما يربح فيها ، وقال تعالى (فاذا عزم الأمر) تأويله فاذا عزمتم أنتم على الأمر ، ومثله : أدخلت القلنسوة رأسى وانما هو أدخلت رأسى القلنسوة • فخرج ابن خالويه بهذا عن التحديد الذى التزمه فى كتابه وحدد عنوانه بـ (ليس فى كلام العرب) •

والحقيقة التى عرفناها عن ابن خالويه واتضحت فيما قرأناه من كتبه وما تناثر فى كتب اللغة منسوبا اليه أنه ينزع الى هذا اللون من الدراسة ويبحث عن فرائد اللغة وتلك التى تخرج عن القياس ويحاول حصرها وهذه قضية كبيرة تكشف عن عالم كبير ، وليس لامرىء أن يتحدث عن الشواذ الا اذا أحاط بالمطرد فما بالنا برجل يحاول حصره والتنبيه على الحالات التى يرد فيها ونلحظ فى مؤلفاته أنه شديد الانتباه للشاذ والنادر من كلام العرب •

يقول في شرح الفصيح (يقال طاف الخيال يطوف ، وأخبرنا ابن مجاهد عن السمرى عن الفراء قال : سمعت شيخا من النحويين وكان ثقة يقال له الأحمر يقول: طفت بالكسر (أى بكسر الطاء) وهو نادر(١) .

ويقول في شرح الدريدية : الرشاء بالمد اسم موضع وهو حرف نادر ما قرأته الا في قول عوف بن عطية :

يقود الجياد بأرسانها
يضعن ببطن الرشاء المهارا (٢)

وقال : لم يسمع جمع الدجال من أحد الا من مالك بن أنس فقيه المدينة فانه قال : هؤلاء الدجاجلة (٣) .

وقال في شرح الدريدية أيضا : (لم نجد في كلام العرب لندمان نظيرا الا في أربعة أحرف يقال نديم ونادم وندمان وسليم وسالم وسلمان ، ورحيم وراحم ورحمان ، وحميد وحامد وحمدان وهذا نادر) (٤) .

وكان سيف الدولة يعرف فيه هذه المقدرة وجمعه للنادر والشاذ فسأل جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا فقال : يابن خالويه ما تقول أنت ؟ قال : أنا أعرف اسمين ... هما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ... قال ابن خالويه : فلما كان بعد شهرين أصبت حرفين آخرين ذكرهما الجرمى في كتاب التنبيه وهما : صلفاء وصلافى وهى الأرض الغليظة ، وخبراء وخبارى وهى أرض فيها ندوة ـ ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفا خامسا ذكره ابن دريد في الجمهرة وهو سبتاء وسباتى وهى الأرض

---

(١) المزهر ١ : ٢٣٨ .
(٢) المزهر ١ : ٢٥٤ .
(٣) المزهر ١ : ٣٠٢ .
(٤) المزهر ٢ : ٩٠ .

الخشنة (١) وربما كان هذا طريقه الى تأليف كتاب « ليس فى كلام العرب » وانه بدأ فى تأليفه بعد أن حصل من هذا النادر جزءا كبيرا فى سنى حياته فقد اشتمل هذا الكتاب على اضافات أخرى فى هذه المادة مما أتيح له بعد ذلك من مذاكرة ـ قال :

(ليس فى كلامهم اسم ممدود جمع مقصورا الا ثمانية أحرف وهى ... فذكر ما قدمناه وأضاف اليها : وجفاء ووجافى أرض فيها حجارة ، ونبخاء ونباخى ونفخاء ونفاخى) (٢) .

ولا يعنى هذا انه جمع الشاذ كله فاللغة أوسع من أن يحيط امرؤ بأطرافها ولقد أضاف أبو على بعض شواذ الجموع فى كتابه المقصور والممدود (٣) كما استدرك أحد العلماء على كتاب ابن خالويه فكتب على حاشيته ما تيسر له من هذه الجموع .

كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم :

وهذا كتاب آخر لابن خالويه ، لم يخلص للاعراب وحده وانما كان كتاب لغة أكثر منه كتاب نحو قدم له بقوله : هذا كتاب ذكرت فيه اعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح أصول كل حرف وتلخيص فروعه ، وذكرت فيه غريب ما أشكل منه ، وتبيين مصادره ، وتثنيته وجمعه ليكون معونة على جميع ما يرد عليك من اعراب القرآن وكان ينتهز المناسبة لينتقل من الاعراب الى الخوض فى المسائل اللغوية فمن ذلك :

الكلام فى الترادف :

كان ابن خالويه من القائلين بنظرية الترادف ، أشار الى ذلك

---

(١) المزهر ٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
(٢) ليس فى كلام العرب ص ٢٠ .
(٣) المزهر ٢ : ٢٢٦ .

أبو على الفارسى فيما يحكيه عنه قال : (كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه ـ فقال ابن خالويه أحفظ للسيف خمسين اسما ، فتبسم أبو على وقال ما أحفظ له الا اسما واحدا وهو السيف ـ قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟؟ فقال أبو على : هذه صفات وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة) (١) ، (٢) .

وابن خالويه يشير الى المترادف من خلال اعرابه لقوله تعالى (خلق من ماء دافق) فقال : والماء الدافق فاعل فى اللفظ مفعول فى المعنى ومعناه من ماء مدفوق أى مصبوب ، يقال دفق ماؤه ، وسفحه ، وسكبه وصبه بمعنى واحد (٣) ويقول فى قوله تعالى (وكأسا دهاقا) ... تقول العرب : أتأفت الاناء ، وربزته ، وحضجرته ، وزعبته ، وافعمته واترعته أى ملأته (٤) .

ومن المشترك :

الدين : الجزاء ، والدين : الطاعة كقوله : فى دين الملك أى فى طاعته ، قال الشاعر :

لئن حلت بجـــوفى بنى اســـد
فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

والدين الملة قال الله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام) والدين : العادة ، قال الشاعر :

تقــول اذا درات لهــا وضــينى
اهــذا دينــه ابــدا ودينى (٥)

---

(١) المزهر ١ : ٤٠٥ .
(٢) ذكرنا الاراء حول الترادف فى كتابنا (رواية اللغة) الباب الرابع .
(٣) كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٤٥ .
(٤) المصدر السابق ١٠٦ .
(٥) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٢٤ ـ ٢٥ .

ويقول : الورق (بكسر الراء) ، والورق (بفتح الواو والراء) ، والوُرق (بضم الواو) ، والورق (بكسر الواو وسكون الراء) كله الدراهم ... والورق بفتح الراء : الصبيان الملاح ، والورق : قدر الدراهم من الدم على الثوب ، والورق : ورق الشجر ، والورق ورق المصحف (١) فالأول مترادف والثاني مشترك .

والصدى : ذكر البوم ، وصوت البوم ، وعظام الميت اذا بلى ، والعطش والصدى أيضا ما يجيبك في تهو أو صحراء ويسمى ابنة الجبل (٢) ويقول : الحجر أشاوى كثيرة (٣) فالحجر : ديار ثمود ، وحجر الكعبة والفرس الأنثى ، والحجر : الحرام ، والحجر : العقل قال الشاعر :

دنيا دنت من جاهل وتباعدت
عن قرب ذى أدب له حجر (٤)

ومن الأضداد :

البسل : الحرام ، والحلال وأنشد في معنى الحلال :

أيثبت ما زدتم وتمحى زيادتى
يدى ان اسيغت هذه لكم بسل

وفي معنى الحرام يقول :

هبت تلومك بعد وهن فى الندى
بسل عليك ملامتى وعتابى

وقال عدى بن زيد العبادى :

وبسل ان ارى جارات بيتى
يجعن وان ارى أهالى شباعا (٥)

---

(١) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٢٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢٩ .
(٣) اشاوى : جمع شيء كاشياء .
(٤) كتاب اعراب ثلاثين سورة ٧٥ .
(٥) المصدر السابق ٣٦ .

ويقول : البين فى اللغة : الوصل قال الله تعالى ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ والبين الفراق يقال : بأن يبينه بينـا ، وبأن يبونه بونا ويقال بين الرجل بين بعيد ، وبون بعيد (١) .

ومن الفـــروق

(الحمد لله ، والشكر لله بينهما فصل ، وذلك ان الشكر لا يكون الا مكافأة ... والحمد الثناء ... فالشكر يوضع وضع الحمد . والحمد لا يوضع موضع الشكر) (٢) .

ومن اللغـــات

ما هو فصيح وأفصح ، يقول فى (مالك يوم الدين) ... فى ملك لغات أحسنها ملك ومالك وقد روينا جميعا عن النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن أعرابيا جاء الى رســول الله صلى الله عليه وسلم فشكا اليه أمر امرأته فقال :

اليـك أشـكو ذربة من الذرب
يا مالك الملك وديـان العـرب

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (ذلك الله) ، وقال أهل النحو ان ملكا أمدح من مالك وذلك أن المالك قد يـكون غير ملك ولا يكون الملك الا مالكا ـ واللغة الثالثة مليك ولم يقـرأ به أحـد لأنه يخالف المصحف ولا امام له (٣) ... واللغة الرابعة ملك (مسكنة اللام) تخفيفا كما يقال فى فخذ فخذ (بسكون الخاء) .

ويروى عن الفراء : يقال : شكرت لك ، وشكرتك ، وشكرت بك

(١) كتاب اعراب ثلاثين سورة ص ٤٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٠ .
(٣) زاد فى احدى النسخ وقد جاء فى موضع آخر (عند مليك مقتدر) ٢٢ـ٢٣ .

كما يقال كفرت بك ، وهذا الأخير نادر والأولى هى اللغة الفصحى (١) .

ومن العبارات والصيغ والنوادر التى كان يجلى ما غمض منها قوله مستطردا بعد اعراب قوله تعالى (وأنك لا تظمأ فيهـا ولا تضحى) ... الخصر البرد ، والخرص : البرد والجوع جميعا ، ويقال لشهرى البرد يعنى الجمادين : شهرا قماح لأن الابل اذا ارادت شرب الماء قمحت رءوسها واقمحت ، قال الله تعالى (فهم مقمحون) ـ ويقال لهما الهراران ويقال جئتك فى عنبرة الشتاء ، وصبارة الشتاء أى فى أشد ما يكون البرد (٢) .

وبعد ان اعرب قوله تعالى (ان سعيكم لشتى) قال : ويقال : شتان زيد وعمرو ـ وشتان ما زيد وعمرو ، ولا يقال شتان ما بينهما فاما قول الشـاعر :

لشتان ما بين اليزيدلين فى النـدى
يزيد اسـيد والأغـر بن حـاتم

فان الأصمعى كان لايحتج بهذا . قال : والجيد قول الآخر :

شـتان مـا يومى على كـورها
ويـوم حيـان أخى جابر (٣)

هذه أنماط لم نقصد حصرها، وانما أتينا بها لنعرف بالكتاب، وان صاحبه لم يقصر عنايته على الاعراب فحسب ، وانما كانت طبيعة ابن خالويه اللغوية تدفعه الى الاستطراد فى اللغة ما وسعته المناسبة .

ابو الفتح عثمان بن جنى :

يحتـل أبو الفتح مكان الذروة فى الرواية اللغـوية ، وله مكان فى

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠ .
(٢) كتاب اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٩٦ .
(٣) المصدر السابق ١٠٨ .

الموصل ، والشام وفى قصر سيف الدولة الا أنه قضى معظم حياته الفعالة فى بغداد وظل يعلم بها الى أن مات •

وبالرغم من أنه لا ينسب نفســه مع البغداديين فى أماكن كثيرة من كتبه الا أنه ـ فيما أرى ـ لا يعنى، انه من الشاميين وربما اراد بذلك ان البغداديين زاوجوا بين المذهب البصرى والمذهب الكوفى على حين هو يغلو فى البصريين وينسب نفسه معهم (١) •

وعلى كل حال فقد رأينا أن نعرف به فى بغداد حيث تعلم وعلم (٢)•

---

(١) يقول فى كتاب سر صناعة الاعراب فى حرف الحاء : فاما قول من قاله فى قول تأبط شرا :

كانما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شث وطباق

انه أراد حثثوا فابدل من الثاء الوسطى حاء فمردود عندنا وانما ذهب الى هذا البغداديون • سر صناعة الاعراب ج ١ ص ١٩٧ •

ويقول فى حرف النون من الكتاب نفسه :

ان تهبطين بلاد قو م يرتعون من الطلاح

فهذا على تشبيه (ان) ب (ما) التى فى معنى المصدر فى قول الكوفيين فاما على قولنا نحن فانه أراد (ان) الثقيلة وخففها ضرورة •

(٢) انظر الباب الثالث (الرواية فى بغداد) فى كتابنا (رواية اللغة) •

البـــاب الثـالث

الرواية في مصر

اللسان في مصر قبل الفتح الإسلامى

العلاقة بين العرب ومصر :

علاقة العرب بمصر وثيقة بحكم الجوار وتبادل المنفعة ، وتعتبر سيناء رابطا بين مصر وشبه الجزيرة العربية كما كان البحر الأحمر وسيلة اتصال أيضا فكانت السفن تسير فى النيل الى قفط ثم تحمل منها التجارة الى قوافل تتجه شرقا صوب البحر الأحمر فى طريق وادى الحمامات الى عيذاب والقصير ومنها الى الموانىء العربية .

يشير التاريخ القديم الى هذه العلاقة ويبين صلات مصر بالعرب فقد ذكر ان احمس مؤسس الدولة الثامنة عشرة قد أوغل شرقا فى سيناء وتوغل تحتمس الثالث أكثر منه ، أما رعمسيس الثالث من الأسرة العشرين فكان أكثر الفراعنة ايغالا فى بلاد العرب حيث تعقب الساميين فى الشرق ، وبنى اسطولا كبيرا انزله البحر الأحمر بغرض تسهيل سبل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق ، ووطد العلائق بين مصر وشواطىء ذلك البحر ، واليمن فى جملتها .

وفى العصور القريبة أشار التاريخ الى هجرات عربية اتجهت الى

مصر ، فكان الاعراب ، قبائل وآفرادا يتجمعون فى المنطقة الواقعة شمال صحراء النفود أو بادية الشام ثم يتجهون غربا الى سيناء ، منها بطون من بلى كانت تنزل سيناء وامتدت أرضها الى برزخ السويس ثم الى الفرما فى حدود مصر • وذكر ابن خلدون انه قد اجتاز منهم الى العدوة الغربيـة من البحر الأحمر وانتشروا ما بين صـعيد مصر وبلاد الحبشة ••• وغلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم (١) •

وأشار استرابو (٦٦ ـ ٢٤ ق • م) وبلينوس (٧٠)م وهما مؤرخان يونانيان ـ ان العرب تكاثروا فى أيامهما على العـدوة الغربية من البحـر الأحمر حتى شغلوا ما بينه وبين النيـل فى أعلى الصعيد وأصبح نصف سـكان قفط منهم ـ وكانت لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر والنيل •

وفى الجاهلية القريبة خرج بعض بطون من خزاعة الى مصر والشام لأن بلادهم أجدبت (٢) ثم تفرق عرب غسان ، وجذام وعاملة وكانوا قد اعتنقوا النصرانيـة فنزل فريق منهم أرض الجفار فى شمال سيناء وأقطعهم حاكم مصر الرومانى ولاية تنيس (صالحجر) وكانوا برياسة رجل من بنى عامر بن صعصعة يقال له أبو ثور من العرب المتنصرة ـ فلما فتحت دمياط سار اليها المسلمون فبرز اليهم نحو عشرين ألفا من العرب المتنصرة والقبط والروم فكانت بينهـم حـروب آلت الى وقوع أبى ثور فى أيدى المسلمين وانهزام أصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا (٣) •

وكان عمرو بن العاص يأتى متاجرا أيام الجاهلية فى الادم والعطر

---

(١) العرب قبل الاسلام • جورجى زيدان ١ : ١٧٢ •

(٢) أدبنا العربى فى عصر الولاة • دكتور محمد كامل حسين ٢٢ ط القاهرة ١٩٦١ •

(٣) خطط المقريزى ١ : ٢٨٦ ط النيل سنة ١٣٢٤ هـ •

ويصـل فى تجارته الى الاسكندرية (١) فهـل لهذا الاتصـال أثر لغوى فى مصر ؟؟

يرى بعض رجال اللغة أن اللغة المصرية القديمة ترجع الى اصل قديم يشمل اللغات السـامية التى أتت اليها من الشرق والجنوب ولغـات شرق افريقية ثم لغات البربر فى الغرب ... ذكر هذا الأستاذ الدكتور أحمد بدوى عضـو مجمع اللغة العربيـة (٢) فى بحث له بعنوان (اللغـة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية) ومما قاله : ان التفكير فى بحث الصلات بين اللغة المصرية واللغات السامية بدأ منذ أواسط القرن التاسع عشر أى بعد أن بعثت هذه اللغة من مرقدها أثر الكشف عن حجر رشيد بوقت قصـير وتحمس العلماء لذلك حتى بدا لبعضهم ان نصيب الأصـل السامى فى بنـاء اللغة المصرية لا يقل ١٠ ٪ بحـال ـ وأشـار الأسـتاذ أحمد بدوى الى صـعوبة البحث فى اللهجـات المصرية القديمة التى تكلم بها المصريون فى زمان الفراعنـة لأننـا لانكاد نستبينها فى لغتهم المكتوبة بالحروف الساكنة الخالية من الحركات .

أما القبطية وهى لغة المصريين التى كتبت باليونانيـة حيث دخلت الحركات فى بناء الألفاظ فقد أمكن التعرف على بعض لهجاتها ... وننقل فيما يلى ألفاظا تتضح فيها القرابة بين اللغة المصرية واللغة العربية :

٣ ـ اب (٣) :

جزء من النبات ، هو طرفه ـ ويقابلها فى اللغات السامية الاب

(١) الولاة والقضاة للكندى ص ٧ ط بيروت سنة ١٩٠٨ .

(٢) ألقى البحث فى مؤتمر مجمع اللغة العربية ونشر فى مجلد بحوث سنة ١٩٦٠ .

(٣) الارقام التى تسبق الكلمات هى أرقام المواد كما ذكرها صاحب البحث وقد اخترنا ماله قرابة مع العربية وحدها ، واضفنا لها بعض الشروح .

أى الزهر أو ماليس ثمرا ـ وفى اللســان الاب : الكلأ وعبر بعضهم عنه بانه المرعى ، وقال الزجاج : الاب : جميع الكلأ الذى تعتلفه الماشية ••• ويقول ثعلب : الاب : كل ما اخرجت الأرض من النبات •

١١ ـ ان :

بمعنى ان العربية التى تسبق المبتدأ •

١٦ ـ اجرة :

حفائر الموتى ، ويقابلهــا فى العربيــة (وجرة) والوجرة حفرة تجعل للوحش ، والوجر ما كان كالكهف فى الجبل •

١٩ ـ عين :

كمثيلتها فى العربية •

٢١ ـ عبا :

أى النــور والضــوء ، وهى نفس الكلمة فى العربيــة ، وعب الشمس فى العربية ضوؤها ـ جاء فى اللسان : (وعب الشمس ضوؤها بالتخفيف ، ومنهم من يقول : عب الشمس فيشدد الباء ، وعب الشمس ضوء الصبح •

٢٦ ـ عخى :

فعــل ثلاثى معتل الآخــر بمعنى رفع وارتفع أى يجىء لازما ومتعديا ، ويقابله فى العربية (عقى) بقلب الخاء المصرية قافا سامية كما نفعل اليوم فى صــعيد مصر فنقول : الوخت للوقت ، وعقى الرجل بسهمه اذا رمى به فى الهواء فارتفع ، وعقى الطائر اذا ارتفع فى طيرانه •

٢٧ - عنن :

بمعنى أنشد ، يقابلها فى العربية غنى بقلب العين المصرية غينا فى العربية .

٣٠ - بتك :

بمعنى صرع وذبح فى المصرية ، وفى العربية بتك بمعنى قطع .

٣٢ - برق :

فعل دخيل من اللغات السامية وهو فى العربية بنفس المبنى والمعنى .

٣٦ - برج :

أضاء ولمع - يقابلها برق ، وبرج ، وبلج فى العربية

الى غير ذلك من الكلمات التى وردت فى البحث الذى أشرنا اليه ، وهذه المشابهة لم تنفرد بها العربية وحدها ، وانما جاءت بعض الكلمات كمثيلاتها فى العربية والسريانية والاكادية ، والكلمات التى وردت فى البحث كلمات عديدة بحيث نستبعد معها عنصر المصادفة لاسيما وان كثيرا من العلماء يرون فى الشعب المصرى القديم شعبا ساميا بل يرونه شعبا عربيا على التغليب ولقد علق الأمير مصطفى الشهابى على هذا البحث بقوله (عندى عشرة قرارات لعشرة من أكابر العلماء فى أوربا وأمريكا وكلهم يقولون ان ما يسمى السامية ليس سوى لغة كانت موجودة فى جزيرة العرب لا تعرف بالضبط الآن ما هى على وجه التحديد ولكننا نعرف انه اشتق منها جميع اللغات التى تسمى اليوم اللغات السامية ، ويقولون ان البربر ، وقدماء المصريين والكلدانيين وغيرهم ليسوا جميعا سوى عرب أقدمين أطلق عليهم اسم الساميين وهم فى الحقيقة أتوا جميعا وانتشروا فى موجات قديمة موغلة فى القدم فى البلاد العربية ، ولهذا اذا نظر

اليهم من جهة العرق أو العنصر فعرقهم سامى وهو فى الحقيقة عرق عربى قديم (١) •

ليس ببعيد أن تكون هذه القرابة واحدا من الأسباب التى ساعدت على انتشار العربية حين جاءت غازية مع الفتح العربى ، وبعض هذه الأسباب تكمن فى هذا الصراع الذى كان يتجاذب اللسان المصرى قبيل هذا الفتح •

كانت اللغة فى مصر قبيل الفتح تتنازعها القبطية واليونانية واللاتينية — فأما القبطية فكانت تتوزعها اللهجات المختلفة والتى أمكن التعرف على خمس منها :

اللهجات البحرية : التى تكلم بها أهل الشمال ، وكانت اللغة الرسمية فى العصر المسيحى لوجود الكنيسة فى الشمال ، وما زالت هذه اللهجة من لهجات الصلاة فى الكنيسة المصرية حتى اليوم •

اللهجات الصعيدية : وكانت لهجة معظم أقاليم الصعيد وقد ظلت حية بين سكان قوص ، ونقادة حتى أوائل القرن الثامن عشر المسيحى •

اللهجة الاخميمية : وقد سميت كذلك لوجود أكثر مخلفاتها فى اخميم ولا تعرف على وجه التحديد الاقاليم التى تكلمت بها •

اللهجة الفيومية : استمرت هذه اللهجة حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، ومن خصائصها ابدال الراء فى ألفاظها باللام •

لهجة منف : وكانت لهجة الاقاليم الوسطى ولم تعمر طويلا بعد ان طغت عليها لهجة البحيرة من الشمال ، ولهجة الصعيد من الجنوب (٢)•

---

(١) اشار الاستاذ محمد فريد ابو حديد الى حديث للاستاذ احمد باشا كمال كان يحاول فيه اثبات عروبة المصريين — انظر ص ٢٨٩ من مجلد بحوث ومحاضرات مؤتمر مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ •

(٢) من مقال الدكتور احمد بدوى فى مؤتمر المجمع اللغوى انظر ٢٦٨ — ٢٦٩ مجلد المؤتمر لسنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ •

وكان للكنيسة فضل كبير على بقاء اللغة القبطية فقد ترجم العهد الجديد كما ترجمت جميع الطقوس الدينية اليها وكان فى كل كنيسة كتاب باللغة القبطية فى حياة الاباء يقرؤه القسيس كل صباح (١) وكان الرهبان والزهاد فى صوامعهم فى الصحارى والجبال بعيدين عن العاصمة وما فيها من حياة العلم يكتبون باللغة القبطية رسائل فى خلافاتهم وتراجم لحياة بطارقتهم ولكنهم لم يكتبوا من حوادث التاريخ الا قليلا (٢)، وظلت اللغة القبطية محصورة فى هذا النطاق الدينى وعبر الدكتور بتلر عن ذلك بقوله (لا تستطيع اللغة القبطية أن تفخر بشعراء مجيدين أو مؤرخين ممتازين أو فلاسفة أو أحد من رجال العلم الفحول فكل الآداب القبطية دينية لقلة ما كان لدى الأقباط من علم وفصاحة مما سبب اهمال لغتهم وعدم انتشارها (٣)) .

أما لغة العلم والفلسفة والتاريخ فكانت اليونانية التى ازدهرت فى مصر وخاصة فى الاسكندرية منذ عهد البطالمة ، وكان من أثر اضطهاد الرومان المسيحيين لعلماء الاسكندرية على أنهم وثنيون ان هؤلاء الوثنيين هالهم سرعة انتشار المسيحية فوجهوا عنايتهم الى الكتب والمؤلفات يكتبونها باليونانية كرد فعل لهذا الاضطهاد وانتشار المسيحية ، وتقول السيدة ا . ل . بتشر الانكليزية فى كتابها (تاريخ الأمة القبطية وكنيستها) :

(ولقد هال المدرسة الوثنية ما رأته من سرعة انتشار الديانة المسيحية فى ذلك العهد فدبت الغيرة فى عروقها وجدد ذلك روح النشاط عندها فكانت خزائن مكتبة الاسكندرية فى ذلك الوقت تحتوى على نسخ من جميع مؤلفات اليونانيين والمصريين ومع ذلك كان السعى على قدم وساق فى تكثير

---

(١) أدب مصر الاسلامية ص ٨ للدكتور محمد كامل حسين .

(٢) فتح العرب لمصر ٨٥ بتلر تعريب محمد فريد ابو حديد ط دار الكتب سنة ١٩٣٣ .

(٣) أدب مصر الاسلامية ص ٦ .

مجلداتهـا وزيادة التأليف الجديدة فيها فخصص قســم من النساخ لكتابة ما يمليه عليهم المؤلفون ، واشتغل قسم آخر بنسخ ما أمكن العثور عليه من كتب المؤلفين والفلاسفة الوثنيين الذين درجوا) (١) ٠

ولقد استطاعت اللغة اليونانية ان تحيا بجانب اللغة المصرية وان تكون لغة العلم والمتعلمين وان يظهـر أثرها جليا فى اللغة المصرية ممثلا فى هذه الألفاظ الكثيرة التى نقلت اليها من اليونانية ٠

أما اللاتينية ـ وهى لغة الحكام الرومانيين فلم يتيسر لها ان تعيش بين اللغة القبطية واليونانية ، وقد اضطر بعض هؤلاء الحكام أن يذيعوا نشراتهم الادارية باللغة اليونانية وأن يصطنع بعضهم كتابا يحذقون القبطية (٢) ٠

كان هـذا شأن اللغة فى مصر قبيل الفتح العربى ـ لغة مصرية تكاد تنحصر فى المحيط الدينى وان تناولت التاريخ والسير فتاريخ رجال الكنيسة وسيرهم ـ ولغة يونانية ملكت زمام العلم وشد من أزرها مدرسة الاسكندرية فجرت على ألسنة العلمـاء والمتعلمين وكتبت بها مؤلفاتهم ـ ولغة لاتينية يؤازرها الحـكم الرومانى عاشت بعض الوقت فى محيط الادارة الضيق ثم فقدت مكانتها ولم تستطع أن تعيش بين اللغة القبطية واللغة اليونانية ٠

وجاء الفتح العربى ـ وجاءت العربيـة لتغزو هذه اللغـات وتحتل امكنتها وتصبح لغة الادارة ولغة الدين ولغة الشعب ، ولم يكد يأتى القرن الرابع الهجـرى حتى كانت القبطية واليونانيـة فى مصر فى عالم النسيان ، فلقد كتب الأسقف القبطى للاشمونين وهو ساويرس بن المقفع وكان يعيش فى القرن العاشر الميـلادى كتابا فى تاريخ حياة البطارقة يقول فى مقدمته انه كان يلجأ الى بعض القبط ليترجموا له الوثائق القبطية واليونانيـة الى

---

(١) تاريخ الامة القبطية وكنيستها ٥٨ ـ ٥٩ للسيدة آ٠ ل٠ بتشر ط مصر سنة ١٩٠٠ ٠

(٢) أدب مصر الاسلامية ٤ ٠

العربيــة اذ ان اللغتين المذكورتين كانتــا حتى عند ذلك غير معروفتين لأكثر المسيحيين (١) وعلق على ذلك الدكتور بتلر فى كتــاب فتح العــرب لمصر بقوله :

(وهذا عظيم الدلالة اذ يظهــر الحال من الاضمحلال التى هوت اليها لغة القبط ولغة الرومان كما انه يظهر جهل ساويرس بهاتين اللغتين ، والحق ان ذلك الدليل على جهل اللغة القبطية عجيب مدهش حتى ليلوح لنا انه لايكاد يصدق) (١) .

ولكن العربيـــة التى غلبت على اللغــات التى كانت فى مصر قبيــل الفتح العربى كان يؤازرها عوامــل كثيرة منها انتصــار العرب وانتشــارهم فى الريف المصرى وتغلغلهم فيه ، ودخول كثير من المصريين فى دين الله ورغبتهم فى التعرف على لغته يقيمون بهــا صــلاتهم ويفهمون بها تعــاليم الدولة الجديدة .

وفى الصفحات القادمة نحاول تجلية هذه الظروف والملابسات ونرى الى أى حد عاشت العربية فى حاضرها هذا شــديدة الصلة بماضيــها عن طريق الدراسة والرواية .

---

(١) فتح العرب لمصر . بتلر . ٢٩ ـ ٣٠ .

الفصل الثاني

نشأة الرواية وتطورها

منازل العرب فى مصر :

قد لا نكون بحاجة الى التعرف على تفاصيل الغزو بقدرحاجتنا الى معرفة القبائل الغازية ومدى انتشارها فى البلاد ، وأثر هذا الانتشار على اللسان العربى •

تقدم عمرو بن العاص لفتح مصر وصحبه عدد من القبائل والبطون والأفراد ، وناس من الصحابة والتابعين فأقامت هذه القبائل فى الفسطاط واختطوا الخطط وبنوا الدور والمساجد(١)وسكنت بعضها الجيزة وكانت لهم بها خطط كما فى الفسطاط فبنى عمرو حصن الجيزة فى الجانب الغربى من النيل وجعله مسلحة للمسلمين (٢) وفى أقصى الصعيد نزل عشرون ألفا فى صحبة عبد الله بن سعد بن أبى سرح (٣) وبلغت حامية الاسكندريه فى سنة ٤٣ اثنى عشر ألفا وكتب قائدها الى والى مصر يشكو قلة العدد وزاد

(١) انظر فى هذه الخطط الجزء الرابع من كتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقماق ط مصر سنة ١٣٠٩ وصبح الاعشى ٣ : ٣٣١ ط دار الكتب .

(٢) البلدان لليعقوبى ١١٨ ط اوربا وفتوح مصر لابن عبد الحكم ١٢ .

(٣) خطط المقريزى ١ : ٣٢٣ .

عددها فى خلافة معاوية فكان فيها سبعة وعشرون ألفا (١) وهكذا لم ينته ورود العرب بانتهاء الغزو بل كانت الحاجة اليهم فى تأمين الفتح واستقراره لا تقل عن مهمتهم الأولى ٠

كان أغلب هذه الجماعات من القحطانيين ، أما الجماعات القيسية فقد كانوا أول الأمر من القلة بحيث لم يتوفر لكل منهم من العدد ما يجعلهم وحدة بذاتهم فاسكنوا مع فئات أخرى فى خطة سميت (أهل الراية) (٢) ولاحظ ذلك عبد العزيز بن مروان فقال لوالده حين جعل اليه صلاتها وخراجها : يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به أحد من بنى أبى ؟ فقال له مروان : يابنى ٠ عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنى أبيك (٣) فلما تولى الخراج عبيد الله بن الحبحاب السلولى وهو قيسى كتب الى هشام ان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم ، وانى قدمت مصر فلم ار لهم حظا الا أبياتا من فهم وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر ذلك خراجا وهى (بلبيس) فان رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس ٠٠٠ فوفد اليها مائة أهل بيت من هوازن بن منصور من قيس عيلان ، ومائة أهل بيت من سليم ٠٠٠ الى غير ذلك ـ فلما تولى الحوثرة بن سهل الباهلى مصر انثالت اليه قيس (٤) ٠

ومنذ جاءت هذه القبائل لم يقف نشاطها عند حد الحرب ، بل كانوا يحاربون أحيانا وينصرفون الى معاشهم أحيانا أخرى وان كانو مقيدين فى هذا بتعاليم الوالى ونصحه ٠ كان عمرو يقول للناس اذا قفلوا من غزوهم

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ١ : ٨٠ ط الموسوعات ٠

(٢) صبح الاعشى ٣ : ٣٣١ وخطط المقريزى ٢ : ٧٦ ٠

(٣) الولاة والقضاة للكندى ٤٧ ط بيروت سنة ١٩٠٨ ٠

(٤) البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب ٦٧ ـ ٦٨ ط مصر سنة ١٩٦١ ٠

(انه قد حضر الربيع فمن أحب منكم ان يخرج بفرسه يربعه فليفعل ولا اعلمن ما جاء أحد قد اسمن نفسه وأهزل فرسه ، فاذا حمض اللبن وكثر الذباب ولوى العود فارجعوا الى قيروانكم) (١) ومن وصية عمرو بن العاص وتوجيهاته لجنوده بالسعى قوله (يامعشر الناس انه قد تدلت الجوزاء ، وذكت الشعرى ، وأقلعت السماء ، وارتفع الوباء ، وقل الندى وطاب المرعى ، ووضعت الحوامل ، ودرجت السخائل وعلى الراعى بحسن رعيته حسن النظر فحى لكم على بركة الله الى ريفكم فنالوا من خيره ولبنه وخرافه وصيده وأربعوا خيلكم واسمنوها وصونوها وأكرموها فانها جنتكم من عدوكم وفيها مغانمكم وأثقالكم - واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا ، واياى والمشمومات والمعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم (٢) .

ولا يذهب بنا الظن ان انتشار العرب كان محصورا حول الفسطاط بل شمل البلاد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب (وكانت القرى التى يأخذ فيها عظمهم منوف ، ودسبندس ، واهناس ، وطلخا وكان أهل الراية متفرقين فكان آل عمرو بن العاص ، وآل عبد الله بن سعد يأخذون فى منف ، ووسيم وكانت هذيل تأخذ فى بنا وبوصير وكانت عدوان تأخذ فى بوصير) (٣) وكانت بلى تنزل فى منف وطرابيه وتنزل فهم فى أثريب ، وعين شمس ، ومنوف - ومهرة فى تنا ، وتمى والصدف فى الفيوم - وتجيب فى تمى ، وبسطة ، ووسيم - ولخم فى الفيوم ، وطرابيه ، وقربيط - وجذام فى طرابيه وقربيط ... (٤) .

وكان لهذا الانتشار أثره فى ثورة الأقباط بادىء الأمر الى أن جاء

---

(١) خطط المقريزى ٤ : ٢٧ وفتوح مصر واخبارها ١٣٩ .

(٢) فتوح مصر واخبارها ١٤٠

(٣) فتوح مصر واخبارها ١٤١ .

(٤) المصدر السابق ١٤٢ .

المأمون فأسرف فى تأديبهم حتى أخضعهم له وغلب العرب على أماكن المصريين فى القرى وحولوا بعض الكنائس الى مساجد فاضطر المصريون الى أن يتعلموا لغة الفاتحين والى ان يعتنق أكثرهم دين الاسلام (١) وزاد هذا المزج أن المعتصم أمر بأسقاط العرب من الديوان فكان عليهم أن يزرعوا ويتاجروا وان يكونوا كالمصريين سواء بسواء .

النشاط اللغوى فى مجالس العلم

كانت الرواية حميلة على غيرها من العلوم الاسلامية وتجرى على ألسنة الأشياخ فى مسجد الفسطاط ، وكان جامع عمرو منذ انشىء سنة ٢١هـ على شاكلة المسجد الجامع بالبصرة تعقد فيه مجالس القضاء ومجالس الفقه والأدب وتعمر فيه حلقات عصر أيام الجمع فيغص بالفقهاء والأدباء والقراء والنظارة وتجرى فيها البحوث الأدبية والدينية .

كانت رواية اللغة تأخذ مكانا فى هذه المجالس ، لا على أنها علم قائم بذاته وضعت له الأصول والمناهج ، ولكنها تبرز حين تدعو الحاجة الى بيان وجوه التفسير فى القرآن والحديث أو الى حسم خلاف فقهى فيعودون فى ذلك الى اللغة ـ وقد يستريح العلماء من مجالس الفقه والحديث الى الأدب واللغة وقد يحن اليها العربى لأنها شىء أصيل فى دمه لاتكاد تستثيره المناسبة حتى يأخذ بأطراف المناشدة والمحاورة والمذاكرة ـ واذا كنا رأينا صورا كهذه فى البصرة يوم أن كانت الرواية اللغوية فى مثل عمر الرواية هنا فى مصر ورأينا شعبة بن الحجاج يستريح من املاء الحديث الى مذاكرة أبى زيد فلدينا الليث بن سعد فقيه أهل مصر يوصف بأنه عربى اللسان يحسن القراءة والنحو ، ومن العلماء الذين نزلوا مصر وزاولوا نشاطهم بها محمد بن ادريس الشافعى وكان علمه باللغة لا يقل عن علمه بالفقه

---

(١) أدب مصر الاسلامية ٢٦ .

وان اشتهر بالوجه الأخير ، ولقد نشـأ فى أول أمره محبا للغة طالبا لفصيحها وهو يحكى ذلك فيقول :

(خرجت عن مكة فلزمت هذيلا فى البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب فمر بى رجـل من الزبيريين من بنى عمى فقـال لى : يا أبا عبد الله عز على الا يـكون مع هذه اللغة وهذه الفصـاحة والذكاء فقه) (١) .

ويحكى الخطيب البغدادى عن الشـافعى قوله (أقمت فى بطون العرب عشرين سنة آخذ أشـعارها ولغاتهـا وحفظت القرآن فما علمت أنه مر بى حرف الا وقد علمت المعنى فيـه والمراد ما خلا حرفين) (٢) وكان أهـل الحديث يضيقون بطلاب الشعر واللغة فى مجلس الشـافعى ، يقول مصعب الزبيرى (كان أبى والشـافعى يتناشـدان الأشعار فاتى الشافعى على شعر هذيل حفظا وقال : لاتعلم بهذا أحـدا من أهل الحديث فانهـم لايحتملون هدا ، وقال : ما رأيت أحدا أعلم بهذا الشىء منى وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد (٣)) ويعبر الحسن بن محمد الزعفرانى عن ضيقه برجال اللغة فى مجلس الشـافعى بقوله (كان قوم من أهل العربية يختلفون الى مجلس الشـافعى معنا ويجلسون ناحيـة فقلت لرجـل من رؤسائهم انكم لاتتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعى) (٤) .

هذه صـور من حياة الشافعى ومن طريقة تكوينه جئنا بها وهى تعبر

---

(١) معجم الادباء ١٧ : ٢٨٥ .
(٢) تاريخ بغداد ٢ : ٦٣ .
(٣) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٠ .
(٤) معجم الادباء ١٧ : ٢٩٩ .

عن ماضيه خارج مصر لنرسى عليها أخباره اللغوية فى مصر ولو ان حياة الشافعى فى مصر لا تتجاوز خمس سنوات اذ وفد اليها فى سنة تسع وتسعين ومائة ومات سنة أربع ومائتين الا أن مجالسه فيها لم تخل من علم غزير في الأدب واللغة ، ذكر ذلك تلميذه فى مصر يونس بن عبد الأعلى بن موسى ابن ميسرة فقال : (كان الشافعى اذا أخذ فى العربية قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم فى الشعر وانشاده قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم فى الفقه قلت هو بهذا أعلم) وقال محمود المصرى : سمعت ابن هشام وما رأيت بعينى ممن فهمت عنه مثل ابن هشام ، ورأيت الشافعى وأنا صغير وسمعت ابن هشام يقول : جالست الشافعى زمانا فما سمعته تكلم بكلمة الا اعتبرها المعتبر لايجد كلمة فى العربية أحسن منها ، وقال سمعت ابن هشام يقول : الشافعى كلامه لغة يحتج بها .

وحدث الربيع بن سليمان قال : كان الشافعى رحمه الله يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه ، فاذا ارتفعت الشمس استوت الحلقة للمذاكرة والنظر ، فاذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر فلا يزالون الى قرب انتصاف النهار (١) .

لم يشتهر أمر الشافعى باللغة وروايتها كما اشتهر بالفقه ولو ان الرواية بدأت فى مصر على النحو الذى بدأت به فى البصرة استجابة لطلب أهلها لظهرت الرواية فى مجلس الشافعى وعنده من عدتها ما يمكنه من الرياسة فيها يدلك على ذلك قوله (ما رأيت أحدا أعلم بهذا الشأن منى ، وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد) (٢) وكان يمتع نفسه المتطلعة الى الكلام فى اللغة وآدابها بتلمس العالمين بها ومناقشتهم ــ كان يبحث فى

(١) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٤ .

(٢) معجم الادباء ١٧ : ٣٠٠ .

مصر عمن يملأ مجلسه لغة وشعرا ، ويروى انه كان بمصر رجل يسمى سرج الغول عالم باللغة يعرف بلقبه قال فيه الربيع بن سليمان صاحب الشافعى (... كان لايقول أحد شيئا من الشعر الا عرضه عليه ـ كان الشافعى يقول : يا ربيع . ادع لنا سرجا فيأتى به فيذاكره ويناظره ثم يقوم سرج الغول فيقول يا ربيع : نحتاج أن نستأنف طلب العلم) (١) ولما نزل عبد الملك بن هشام صاحب السيرة مصر وهو ذو علم باللغة والنحو والأخبار والانساب اجتمع به الشافعى وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة (٢) .

وكان من علماء الفقه الذين يجيدون اللغة ولها فى مجالسهم نصيب ـ أبو جعفر أحمد بن صالح المصرى ٢٤٨ هـ (٣) ورحل أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الى مصر مرتين الأولى فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين وكان بمصر وقت دخوله اليها أبو الحسن على بن سراج المصرى وكان متأدبا فاضلا وكان من دخل الفسطاط من أهل العلم اذا ورد لقيه وتعرض له فوافى أبو جعفر الى مصر وبان فضله عند وروده اليها فى القرآن ، والفقه ، والحديث واللغة ، والنحو ، والشعر ـ فلقيه أبو الحسن ابن سراج فوجده فاضلا فى كل ما يذاكره به من العلم ويجيب فى كل ما يسأله عنه حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلا بارعا فيه ، فسأله عن شعر الطرماح وكان من يقوم به مفقودا فى البلد فاذا هو يحفظه فسئل ان يمليه حفظا بغريبه ـ ففعل (٤) .

وفى سنة ست وخمسين ومائتين جاء الى مصر مرة أخرى ونزل على الربيع بن سليمان فأكرم وفادته ، وانهال عليه علماؤها وطلابها يسألونه

---

(١) بغية الوعاة ٢٥٢ .

(٢) حسن المحاضرة ١ : ٢٥٤ .

(٣) حسن المحاضرة ١ : ١٣٧ .

(٤) معجم الادباء ١٨ : ٥٣ .

فى شتى المعارف الاسلامية واللغوية ـ والطبرى يشير الى هذا فيما يحكيه فيقول :

(لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم الا لقينى وامتحننى فى العلم الذى يتحقق به فجاءنى يوما رجل فسألنى عن شيء من العروض ولم أكن نشطت له قبل ذلك فقلت له : على قول الا اتكلم اليوم فى شيء من العروض فاذا كان فى غد فصر الى وطلبت من صديق لى العروض للخليل ابن أحمد فجاء به فنظرت ليلتى فأمسيت غير عروضى وأصبحت عروضيا) (١) .

وكان أبو جعفر الطحاوى امام الحنفية ينقد الحديث نقد معنى كما ألف كتابا فى معانى القرآن (٢) وكان محمد بن أحمد بن جعفر الكنانى المعروف بأبى بكر بن الحداد عالما بالقرآن والحديث والأسماء والكنى والنحو واللغة وسير الجاهلية والشعر والنسب (٣) وكان لابن الحداد ليلة فى كل جمعة يتكلم فيها عنده فى مسائل الفقه على طريق النحو فكان ابن النحاس وهو من أبرز علماء اللغة فى عصره يحرص على حضور مجلسه تلك الليلة (٤) .

هذه الاشارات واللمحات أتينا بها لنصور مجالس العلم وقد عقدت لمدارسة الحديث ، والفقه فيكتنفها الشعر والعروض واللغة وتفسير الغريب الى غير ذلك ، وقد يخيل اليك ان هذه خطوة أولى تسبق رواية اللغة عندما تستقل وتتخصص ، ولكن الحقيقة ان مجالس العلم والمجالس الدينية بخاصة لم تستغن يوما عن الدراسة اللغوية ـ وفى الصفحات القادمة نتكلم عن نشأة الرواية وآثار اللغويين .

---

(١) معجم الادباء ١٨ : ٥٦ .
(٢) ظهر الاسلام ١ : ١٦٢ .
(٣) الولاة والقضاة ٥٥٢ ، تهذيب الاسماء واللغات للنووى ٦٧٠ ط اوربا .
(٤) انباه الرواة ١ : ١٠٢ .

علماء مصر

كنت أتصور أن مجلس الشافعي وقد عني في جانب منه بالعربية قد أنجب تلامذة في مصر يحملون علم الشافعي في اللغة ولكن يبدو أن شهرته في الفقه قد غطت أوجه النشاط الأخرى فلم أعثر الا على رجل ذكره السيوطي في حسن المحاضرة (١) هو أبو زيد عبد الحميد بن الوليد ابن المغيرة المصري المعروف بكبد ٢٢١ هـ ولو لم ينص السيوطي في سياق تعريفه بالرجل بأنه نحوي لغلبت الظن بأنه فقيه ، وعلى كل حال لم أجد من أخبار عبد الحميد بن الوليد ما يشبع تطلعي الى آثار الشافعي في العربية .

من أوائل رجال مصر الوليد بن محمد التميمي المصري ، يقال ان أصله من البصرة ، ونشأ بمصر ثم رحل الى العراق في طلب العلم فأدرك الخليل بن أحمد وأخذ عنه وأكثر ، ثم عاد الى مصر فتصدر بها (٢) توفي في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين (٣) .

وجاء من بعده ابنه محمد بن الوليد فأخذ بمصر عن أبي علي الدينوري ومحمد بن حسان وغيرهما ثم دخل العراق فأقام بها ثمانية أعوام ولقي المبرد وثعلبا فقرأ على المبرد كتاب سيبويه بعد أن احتال على ذلك بقصة رواها القفطي ، ولما عاد ابن ولاد الى مصر وتصدر لاقراء العلم أوصى أن يدفن معه كتاب سيبويه ولكنه آل الى ابنه أبي العباس (٤) الذي سنفرد له

---

(١) حسن المحاضرة ١ : ١٨٥ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٥٤ وطبقات الزبيدي ٢٣٣ .

(٣) بغية الوعاة ٤٠٥ .

(٤) انباه الرواة ٣ : ٢٢٤ .

حديثا خاصا وتوفى أبو الحسن محمد بن الوليد سنة ثمان وتسعين ومائتين بمصر وكان قد بلغ الخمسين .

ومن قدامى الرواة محمود بن حسان النحوى وصفه القفطى بأنه قديم العهد فى طريقة أصحاب الخليل وتوفى سنة اثنتين وسبعين ومائتين (١) .
ونشأ بمصر على بن الحسن الهنائى المعروف بكراع النمل ، خلط المذهبين فأخذ عن البصريين والكوفيين وبينما يصفه صاحب الفهرست بأنه كوفى المذهب يقول القفطى انه كان الى منهب البصريين أميل ، وذكر أنه جلس الى أبى يوسف الأصفهانى ، وأخذ عن أبى عبيد القاسم بن سلام وصحح ابن مكتوم هذا الخبر فقال انما جلس الى يعقوب بن اسحق فروى عن على بن عبد العزيز عن أبى عبيد ـ كتب المنضد فى سنة سبع وثلاثمائة وهو معجم أورد فيه لغة كثيرة مستعملة وحوشية ، ورتبه على الحروف الهجائية وفرغ منه سنة تسع وثلاثمائة ـ ثم عاد فاختصره وحذف منه الشواهد وسماه (المجـرد) ، وله كتاب (المنجد) فيما اتفق لفظه واختلف معناه (وأمثلة الغريب) أورد فيـه غريب اللغة على أوزان الأفعـال ـ ذكره ابن النديم باسم (مجرد الغريب) وقال انه على مثال (العين) وعلى غير ترتيبه وأوله : (هذا كتاب أؤلفه فى غريب كلام العرب ولغاتها على عدد حروف الهجاء الثمانية والعشرين التى هى (ا • ب • ت • ث) ثم على تلاوة الحروف . وله كتاب (المصحف) وكتاب (المنظم) (٢) .

وأقام بمصر بعد الثلاثمائة من الهجرة أحمد بن محمد أبو العباس المهلبى وكان نحويا ترك كتابين هما (المختصر فى النحو) و (شرح علل النحو) (٣) .

---

(١) انباه الرواة ٣ : ٢٦٤ وبغية الوعاة ٣٨٧ .
(٢) الفهرست ١٢٤ ط الرحمانية ومعجم الادباء ١٣ : ١٣ وانباه الرواة ٢ : ٢٤٠ .
(٣) الفهرست ١٢٥ ومعجم الادباء ٤ : ١٨٩ وانباه الرواة ١ : ١٢٩ وبغية الوعاة ١٧٠ .

وأخذ عن الزجاج رجل يقال له محمد بن اسحق بن أسباط وله كتاب فى النحو سماه (كتاب العيون والنكت) ذهب فيه الى حد الاسم والفعل والحرف وتلا ذلك بذكر شيء من أبواب الياء والواو (١) .

وذكر الزبيدى رجلا اسمه علان ـ هو على بن الحسن قال : كان علان من ذوى النظر فى المعانى وكان قليل الحفظ لأصول النحو فاذا حفظ الأصل تكلم عليه بكلام حسن وجود فى التعليل ودقق القول ماشاء ـ توفى بمصر فى شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (١) .

ثم حمل لواء العلم باللغة وروايتها عالمان من رجال مصر هما : أبو العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن محمد التميمى (من بيت ولاد) وأبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس ـ رحلا الى العراق وجلسا الى كبار علماء اللغة فى هذا العصر كالمبرد والأخفش ونفطويه والزجاج كما سمع ابن ولاد ديوان رؤبة عن أبيه عن جده وروى كتاب العين (٢) ولأبى العباس كتاب الانتصار لسيبويه ، وكتاب المقصور والممدود كما أملى كتابا فى معانى القرآن ولم يخرج منه الا بعض سورة البقرة (٣) .

وكان أبو أسحق الزجاج يفضل أبا العباس بن ولاد ويقدمه على أبى جعفر النحاس ويقول لمن قدم عليه من المصريين (لى عندكم تلميذ من حاله وشأنه ... فيقال له أبو جعفر النحاس فيقول : لا هو أبو العباس ابن ولاد) (٤) ولما مات ابن ولاد كان الناس يقرأون الكتاب على أخيه عبد الله وكان دون أخيه فى العلم (٥) .

(١-١) طبقات الزبيدى ٢٤١ .

(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٥٤ فى ترجمة منذر بن سعيد .

(٣) انباه الرواة ١ : ٩٩ .

(٤) طبقات الزبيدى ٢٣٨ .

(٥) المصدر السابق ٢٣٩ .

أما ابن النحاس فقد كثرت تآليفه ومصنفاته ذكر منها ياقوت كتاب الأنوار وكتاب الاشتقاق لاسماء الله عز وجل ، ومعانى القرآن وعمل كتابا فى اختلاف الكوفيين والبصريين سماه (المقنع) ، وكتاب أخبار الشعراء ، وأدب الكاتب ، والناسخ والمنسوخ ، والكافى فى النحو ، وصناعة الكتاب ، واعراب القرآن وشرح السبع الطوال ، وشرح أبيات كتاب سيبويه ، ومعانى الشعر ، والاشتقاق ، وكتاب التفاحة فى النحو وأدب الملوك - وقيل ان مصنفاته زادت عن ذلك فبلغت الخمسين(١) رواها عنه تلميذه أبو بكر محمد بن على الادفوى ٣٨٨ هـ (٢) .

وكان من شهرة هذين الرجلين ابن ولاد وابن النحاس أن طلاب الأندلس ربما وجدوا فى الجلوس اليهما كفاية عن الذهاب الى بغداد فقد حضر المنذر بن سعيد البلوطى قاضى قضاة الأندلس لينتسخ كتاب العين من نسخة أبى جعفر النحاس فلما ساء ما بينهما بسبب محاورة علمية ذكرها ياقوت - ذهب المنذر الى ولاد فانتسخ كتاب العين من نسخته (٣) .

وكما كان الخلفاء والأمراء فى العراق يجمعون بين الأنداد من العلماء ويثيرون أسباب المنافسة بينهم - جمع بعض ملوك مصر بين أبى العباس بن ولاد وبين أبى جعفر النحاس وأمرهما بالمناظرة على النحو الذى يشير اليه الزبيدى فى ترجمة ابن ولاد (٣) .

كتاب المقصور والممدود لابن ولاد :

قدم ابن ولاد لكتابه بمنهج يقول فيه : (هذا كتاب نذكر فيه المقصور

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٢٨ .
(٢) انباه الرواة ٣ : ١٨٦ .
(٣-٣) طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .

والممدود ما كان منه مقيسا وغير مقيس مؤلفا على حروف المعجم ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجه من موضعه) .

ولما كانت طريقته هذه تختلف عن طريقة الخليــل فى ترتيب العين افترض من ينكر عليه ابتداءه بالألف مع أنها حرف معتل ، فبين اختلاف القصد عنده وعند الخليل ، فكتاب الخليل يحاول حصر الكلمات عن طريق ابنيتها مرتبـا بحسب مخارج الحروف ولذلك كان على الباحث فيه أن يلم بالتصريف ، والمعرفة بالزائد والأصلى والمعتل والصحيح والوجه فى كتاب المقصور والممدود غير هذا . ولذلك كانت بغيته أن يقرب على طالب الحرف ما يطلبه وان يستوى فى العلم بموضعه العالم والمتعلم . فبدأ بالألف ورتب الكتاب على حروف المعجم .

وعرف الممدود بأنه كل اسم كانت فى آخره همزة بعد ألف زائدة كقولك قراء ، وقثاء ، ورداء ... والمقصور كل اسم كانت فى آخره ألف فى اللفظ زائدة كانت أو غير زائدة كقولك ملهى ومرمى وبشرى وتقى ، وتقوى فأما المقصور الذى يسمى منقوصا فهو ما كانت ألفه التى فى آخره مبدلة من ياء ــ أو ــ واو وانفتح ما قبلهما وكانت فى موضع حركة فأبدل منها الف نحو ملهى ــ ألفه مبدلة من واو لأنه من اللهو ، ومرمى ــ ألفه مبدلة من الياء لأنه من الرمى ، والأصل فيها ملهو ومرمى ــ ووجه نقصانها ان الألف أبدلت مكان الياء والواو المتحركتين فلم يدخلها رفع ولا نصب ولا جر (١) .

وجعل ابن ولاد كتــاب المقصــور والممدود فى قســـمين ــ الأول ــ ما اعتمد فيه على الســماع (لأن المســألة عنه أكثر والعناية به من السائل أشــد) وقد أشار فى مقدمة القسم الثانى أن ما دونه فى القسم الأول هو

(١) المقصور والممدود ص ٤ .

ما انتهى الى سمعه من أفواه الثقات من أهل اللغة ، وترك من وراء هذا نوعين : اما شاذ لم ير للتكثير به وجها ـ أو صحيح غير شاذ لم يحط به علما ـ أما القسم الثانى فقد جعله فيما يطرد قياسه فاستغنى فيه عن السماع .

وهو لم يعقد للمقصور بابا وللممدود آخر ـ بل رتب أبواب الكتاب على حروف المعجم وذكر فى كل حرف مافيه من مقصور وممدود فمن ذلك ما تراه فى باب الباء اذ يقول :

(البرى على وجهين فالبرى : التراب ـ مقصور يكتب بالياء ... والبراء من قول الله تعالى (اننى براء مما تعبدون) ممدود) (١) .

والكتاب وان حمل اسم (المقصور والممدود) فهو كتاب لغة تناول الكثير من خصائصها وروايتها وان اتخذ المقصور والممدود سببا للكلام .

فمن ذلك :

الفرائد التى جمعت أحيانا تحت اسم النوادر :

يقول : (يقال ما زال ذاك أجرياه ، واهجيراه جميعا أى عادته ويقال ما زال ذلك هجيراه أيضا)(٢) .

والبراء من قول الله تعالى (اننى براء مما تعبدون) ممدود ـ والواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء يقول الرجل : انا البراء منك ، والجماعة نحن البراء منك ، وكذلك النساء (٣) .

---

(١) المصدر ص ١٣ .
(٢) ص ١١ .
(٣) ص ١٣ .

ومن المشترك :

الانى : واحد اناء الليل وهى ساعاته •

وانى الشىء : بلوغه وادراكه •• قال الله تعالى (الى طعام غير ناظرين اناه)

وأنى الشىء : يأنى انى شـديدا اذا انتهى الى نضج أو حرارة أو ما شاكل ذلك • قال الله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) (١) •

والبرى : التراب قال الشاعر :

بفيك من سار الى القوم البرى •

والبرى : الخلق يقال : ما أدرى أى البرى هو أى أى الخلق هو (٢) •

والبهاء : من الجمال •

وكذلك ناقة بهاء وهى التى تستأنس الى الحالب •

والبهاء : تخرق البيت يقال منه بهى البيت بهاء شديدا اذا تخرق ومنه قولهم المعزى تبهى ولا تبنى يقال ان المعزى تصعد فوق البيت فتخرقه وليس يتخذ منها ابنية انما الأبنية من الوبر والصوف (٣) •

ومن الابدال

يقول فى باب الحاء (يقال للرجل ••• حفيسأ وحفيتأ كلاهما مهموز غير ممدود) (٤) فهـل جاء بهما للاشـارة الى الابدال بين السين والتاء ؟ افترض هذا اذ ليس فيهما قصر ولا مد •

ومن الأضداد

قال (والرجاء من الأمل • ممدود ــ والرجاء : الخوف أيضا ممدود ،

(١) ص ٧ •

(٢) ص ١٣ •

(٣) ص ١٧ •

(٤) ص ٣١ •

ومنه قول الله عز وجل (ما لكم لا ترجون لله وقارا) أى لاتخافون ٠
قال الهذلى :

اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها
وحالفها فى بيت نوب عواسل(١)

التعريف بأسماء الأماكن

وكانت عناية الرواة تتجه أحيانا الى التعريف باسماء الأماكن فى شبه الجزيرة لتعين المتعلم على فهم ما يرد منها فى سياق الشعر واللغة وقد أوضحنا دور الأصمعى وأبى زياد الكلابى فى كتاب البلدان لياقوت فى كتابنا (رواية اللغة) ونجد هذا الاتجاه فى كتاب المقصور والممدود لابن ولاد فمن ذلك :

ـ يقول فى اجا وسلمى (واجا مقصور وهو أحد جبلى طيىء وأصله الهمز يقولون : هذا اجا فاعلم ـ ويقال للآخر سلمى) (٢) ٠

ـ وذو بهدى : اسم موضع ، مقصور ، قال الشاعر :

عرفت بذى بهدى لاسماء منزلا
قديما كسحق المرنبانى محولا (٣)

ـ والجواء ـ بكسر أوله ممدود اسم أرض قال عنترة :

يادار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى (٤)

ويقال هو جمع جو ، والجو : البطن من الأرض ، والجواء أيضا

---

(١) ص ٤٥ ٠
(٢) ص ١٠ ٠
(٣) ص ١٦ المرنبانى ضرب من ثياب الصوف ويقال انه من وبر الأرنب ٠
(٤) ص ٢٦ ٠

في غير هذا المعنى خياطة حياء الناقة (١) •

ومن أسماء النبات :

ـ الحزاء ـ مفتوح الأول ممدود ـ نبت بالبـادية ••• والحرشـاء نبت (٢) •

ولابن ولاد استطرادات مفيدة لا تبعد بك طويلا عن مجال الرواية

فالى جانب التعريف بالأماكن والنباتات ، بعض عادات العرب وظروفها الاجتماعية التى لايستطيع أن يتركها رجل أعد نفسه للتعريف بلغتهم فمن ذلك ما تجده فى مثل تعريفه بالارحاء اذ يقول :

والرحى ••• واحد ارحاء العرب • من مضر تميم بن مر ، وأسد ابن خزيمة ، ومن ربيعة بكر بن وائل ، وعبد القيس بن اقصى ، ومن النمر كلب بن وبرة • طيئ بن ادد ، وانما سميت الارحاء لفضل قوتها على العرب وانها حمت دورا فدارت فى دورها كدور الرحى لاستغنائها بها على النجعة وهى تتردد فيها وتدور شـتاء وصيفا ، ولم يكن غيرها من العرب كذلك فلهذا سميت ارحاء (٣) •

وخرج كتاب ابن ولاد الذى أسس بناءه على المقصور والممدود شاملا لكثير من خصائص العربية مروية عن رجال المصرين ـ البصرة والكوفة ـ ومزودة برأيه أحيانا فى ترجيح رواية عن أختها (٤) ـ ومن ملاحظنا فى هذا الكتاب محاولة صاحبه توثيق الرواية كما يتضح فى مثل قوله (ومن المقصور المكسور أوله الزمكى والزمجى ـ لغتان ـ أصل ذنب الطائر وقد

---

(١) ص ٢٦ •

(٢) ص ٣١ •

(٣) ٤٦ ـ ٤٧ المقصور والممدود •

(٤) ص ٢٩ •

روى سيبويه هذا مقصورا وممدودا ، ولا أحفظه ممدودا الا عنه فأما غيره فلم يذكر فيه الا القصر) (١) •

شرح المعلقات :

وكتب أبو جعفر النحاس شرحا على المعلقات قال فيه ان أول من جمعها حماد الراوية وانها كانت قبل مغمورة فى الشعر العربى الجاهلى وقال فى افتتاح شرحه للقصائد السبع وكأنه يحدد منهاجه فيها (الذى جرى عليه أمر أكثر أهل اللغة الأكابر فى تفسير غريب الشعر اغفال لطيف مافيه من النحو ، فاختصرت غريب القصائد السبع المشهورة ، وأتبعت ذلك ما فيها من النحو ولم أكثر الشواهد ولا الانساب ليخف حفظ ذلك ان شاء الله) (٢) •

وأتى أبو جعفر فى شرحه هذا بفرائد لغوية كتلك التى رأيناها لابن خالويه فى كتاب (ليس فى كلام العرب) والذى عرفنا به عند حديثنا عن الرواية فى الشام ، ولقد استوقفتنى المشابهة فى التأليف حتى ظننت أن أحدهما قد تأثر بالآخر فكلاهما نزع الى ايراد الغريب النادر •

ومما جاء فى شرح المعلقات لابن النحاس ما يلى :

ـ ليس فى كلام العرب اسم على تفعال (بكسر التاء) الا أربعة أسماء ، وخامس مختلف فيه ـ يقال : تبيان ، ويقال لقلادة المرأة تقصار ـ وتعشار وتبراك موضعان ـ والخامس تمساح ، وتمسح أكثر وأفصح (٣) •

ـ فعل (بفتح الفاء وضم العين) فى كلام العرب قليل فى الأسماء قالوا : خذر ، وفطن ، وندس ، وقرىء (وعبد الطاغوت) بضم الباء ،

---

(١) ص ٥٢ •

(٢) الرسالة ـ العدد ٦٧ فى أكتوبر سنة ١٩٣٤ مقال للاستاذ عبد المتعال الصعيدى •

(٣) المزهر ٢ : ٩٢ •

وقرأ سليمان التيمى (قالت نملة) بضم الميم (١) .

– من الأشياء ما يسمى بالمذكر والمؤنث نحو خوان ، ومائدة ، ومثله السنان ، والعالية ، والصواع ، والسقاية (٢) .

– الفرد (بفتح الراء) لغة فى الفرد (بتسكين الراء) وأنشد للنابغة :

طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

وقال بعض أهل اللغة : لم يسمع بفرد الا فى هذا البيت (٣) .

ولابن النحاس فى شرح المعلقات آراء هى فى نظرى مجرد اجتهاد كان يقول مثلا : انما سميت الخمر مدامة لدوامها فى الدن ، وقيل لأنه يغلى عليها حتى تسكن لأنه يقال : دام : سكن وثبت (٤) .

وعرض ابن النحاس لقضايا التصحيف وما أثارته من مناقشات بين قدامى الرواة كتلك التى كانت بين الأصمعى وأبى عمرو الشيبانى (٥) وأخرى بين الشيبانى وأبى عبيدة (٦) .

أبو اسامة جنادة بن محمد بن الحسين الهروى

ومن معدودى الرواة فى مصر أبو أسامة الهروى ٣٩٩ هـ – وهو رجل عظيم القدر عارف باللغة ، أخذ عن أبى منصور الأزهرى وروى عن أبى أحمد العسكرى ثم قدم مصر فأقام بها حياته الى أن قتله الحاكم

---

(١) المزهر ٢ : ٩٣ .
(٢) المزهر ٢ : ٢٢٥ .
(٣) المزهر ١ : ٢٥٣ .
(٤) المزهر : ١ : ٤٣٣ .
(٥) المزهر ٢ : ٣٥٩ .
(٦) المزهر ٢ : ٣٥٧ .

بأمر الله (١) ويروى أنه قرئ عليه كتاب الصحاح للجوهرى فكان له رأى في تصويب بعض كلماته وكان يدعم رأيه بكلام اللغويين القدامى • ففى الصحاح : زبق شعره يزبقه زبقا يعنى نتفه ـ قال أبو زكريا التبريزى عن أبى سهل : هكذا رواه أبو عبيد فى الغريب المصنف عن أبى زيد بالباء ـ فأخبر أبو اسامة ـ أى جنادة هذا ـ عن أبى منصور الأزهرى بسنده عن ابن حمدويه قال : الصواب زنقه بالنون يزنقه ـ ومنه زنق ما تحت ابطه من الشعر اذا نتفه ـ قال ـ واما زبقه بالباء فمعناه حبسه والزابوقاء : الحبس • وخرج قول الأصمعى (زلق رأسه اذا حلقه) بقوله والنون تبدل من اللام فى مواضع كثيرة فكان زنقه بالنون بمعنى زلقه باللام (٢) •

ولأبى اسامة كتب رواها عنه أبو سهل الهروى (٣) •

أبو الحسن على بن محمد الهروى

ووفد الى مصر من هراة أبو الحسن على بن محمد الهروى ، وهو عالم بالنحو ، جيد القياس تلمذ للأزهرى صاحب التهذيب ، ويقال انه أول من أدخل نسخة من كتاب الصحاح للجوهرى فى مصر ووجد فيه خللا ونقصا فهذبه وأصلحه ـ وله كتاب الذخائر فى النحو وعمل كتابا فى معانى العوامل سماه الأزهية رآه القفطى بخط ولده أبى سهل (٤) •

وسلك أبو سهل محمد بن على الهروى ٤٣٣ هـ مسلك أبيه وأخذ عن أبى عبيد الهروى صاحب الغريبين ، وعن أبى يعقوب النجيرمى ، وأبى اسامة جنادة بن محمد المصرى • وعمل كتابا فى أسماء الأسد ،

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٠٩ •
(٢) المزهر ١ : ١١١ •
(٣) بغية الوعاة ٢١٣ •
(٤) انباه الرواة ٢ : ٣١١ ، بغية الوعاة ٣٥٥ ، معجم الأدباء ١٤ : ٢٤٩ •

وآخر فى أسماء السيف كما شرح كتاب الفصيح لثعلب واختصره • وكان لوالده نشاط حول صحاح الجوهرى كان لأبى سهل تعليقات على هذا الكتاب منها : قال الجوهرى : (نقت المخ أنقته نقتا لغة فى نقوته اذا استخرجته • كأنهم أبدلوا الواو تاء) •

قال أبو سهل : الذى أحفظه نفث العظم انفثه نفثا اذا استخرجت مخه وانتفثه انتفاثا بالثاء المعجمة ، ويقال أيضا نقيته أنقيه وانتقيته انتقاء مثله (١) •

وقال الجوهرى (تنجنج لحم الرجل كثر واسترخى)

قال أبو سهل : هذا تصحيف والصواب تبجبج بباءين ووافق رأى أبى سهل رأى ابن السكيت وابن خالويه • يقول الأول : اذا كان الرجل سمينا ثم اضطرب لحمه قيل : رجل بجباج وأنشد لنقادة الأسدى :

حتى نرى البجباجة الضياطا

يمسح ـ لما حالف الاغباطا

بالحرف من ساعده المخاطا

الاغباط : ملازمة الغبيط وهو الرجل •

وقل ابن خالويه : البجباج : الضخم وانشد للراعى •

كأن منطقها ليثت معاقده

بواضح من ذرى الانقاء بجباج

منطقها : ازارها ، يقول كأن ازارها دير على كثيب ضخم من الرمل (٢) •
وقال الجوهرى : رجل شرداخ القدم أى عظيمها عريضها •

---

(١) المزهر ٢ : ٣٩١ •
(٢) لسان العرب مادة ب•ج•ج •

قال أبو سهل : هذا تصحيف وانما هو شرداح (بحاء غير معجمة) وانقسم الناس فى هذه المادة فالتبريزى يقول الصحيح بالمعجمه كما قال الجوهرى ، وقالها ابن الاعرابى بالحاء كما قال أبو سهل وجمع ابن منظور الروايتين •

وقال الجوهرى : رجل قترد ، وقتارد ، ومقترد اذا كان كثير الغنم والسخال •

قال أبو سهل : الذى أحفظه قثرد (بضم القاف وفتح الثاء المثلثة وكسر الراء) •

الى غير ذلك من التعليقات التى نكتفى منها بهذا القدر ونحيل على بعضها فى كتاب المزهر (١) وقد أشار أبو سهل الى أنه قرأ بعض هذا على جنادة كما وجد بعضه بخط الحامض •

البـــاب
الـــرابـــع

الرواية في شمال إفريقية والأندلس

الفصل الأول

الرواية فى شمال إفريقية

صلة العرب بشمال أفريقية :

ترجع صلة العرب بشمال افريقية الى سنة ست ـ أو سبع وعشرين من الهجرة (١) حين نزلها جيش عبد الله بن أبى سرح القرشى العامرى فى خلافة عثمان بن عفان ، ثم توالت عليها الغزوات الى أن ولى أمرها عقبة بن نافع فاختط القيروان سنة خمسين وأصبحت عاصمة البلاد الغربية من افريقية .

وفى أخبار هذا الفتح استرعى انتباهنا أسماء بعض الصحابة والتابعين والعلماء ممن تعودنا سماع العلم واللغة فى مجالسهم منهم عبد الله ابن عباس ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب (٢) وأبو ذر جندب بن جنادة الغفارى ، وأبو عبد الله عثمان بن عوف المزنى ، وأبو زمعة عبيد الله بن آدم البلوى وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وابن جعفر ، والحسن ، والحسين ، وابن الزبير وعديد غير هؤلاء

(١) وقبيل هذا وصلها عمرو بن العاص بعد ان فرغ من فتح مصر . الاستقصاص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٢) معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان لابن الدباغ ط تونس سنة ١٣٢٠ هـ

ذكرهم صاحب الاستقصا (١) •

وكنا نأمل ان نرى فى مجالس هؤلاء العلماء ـ كما هى العادة ـ بعض ما يتصل ببحثنا من رواية اللغة حين يجلسون الى الناس يفقهونهم فى الدين ويبصرونهم بتعاليمه ، ولكنا لم نعثر فيما وقع الينا من أخبار على شىء من هذا ، ولعل من الأسباب ـ ان أهل هذه البلاد من البربر لم يخلدوا الى الهدوء ولم يرضوا عن هذه الفتوح ، ويكاد يمضى القرن الأول وبعض الثانى والأرض يتنازعها العرب تارة ، والبربر تارة أخرى •• فبعد أن فتحها عقبة واختط القيروان عزله والى مصر مسلمة بن مخلد وولى مكانه أبا المهاجر الأنصارى ، وفى سنة ٦٣ عزل أبو المهاجر وأعيد عقبة فوطد الحكم برهة من الزمن وتغلب على الثائرين من البربر ووصل هذه المرة الى ساحل المحيط (٢) •

ولم يمض وقت طويل حتى تجمع البربر تحت قيادة رجل منهم اسمه كسيلة وكان قد اعتنق الاسلام فارتد عنه وانقض على جيش عقبة وزحف كسيلة على القيروان واستولى عليها بعد أن قتل عقبة فى سنة ثلاث وستين •

وفى عهد عبد الملك بن مروان ارسلت حملة عربية أخرى قادها زهير بن قيس البلوى سنة تسع وستين فقتل كسيلة ولكنه لم يتشبث بهذا الفتح ورأى ملكا كبيرا خشى معه الفتنة فقال : انما قدمت للجهاد فأخاف أن أميل الى الدنيا فأهلك فترك القيروان (٣) ولكن البربر أدركوه وقتلوه بمساعدة الروم •

هكذا استعصى على المسلمين ترويض أهل المغرب وقد قيل انهم ارتدوا اثنتى عشرة مرة وانه لم تستقر كلمة الاسلام فيهم واضطر عمر

---

(١) ص ٣٩ •

(٢) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم •

(٣) تاريخ ابن الاثير ٤ : ٤٧

ابن عبد العزيز أن يرسل اليهم عشرة من التابعين يفقهونهم فى دينهم ويحملونهم على مذاهب أهل السلف من الأئمة ، فاهتدوا برهة ثم مالبثوا أن رأوا رأى الخوارج حين تلقوا دعوتهم وحسن موقعها من نفوسهم لاسيما وان الخوارج لا يشترطون القرشية فى الخلافة بل ولا العربية ، وقد رسخت هذه الأفكار عند البربر زمنا طويلا كان يخفف من حدتها محاولة بنى العباس حين انتهى الأمر اليهم أن يحملوا أهل المغرب على الأخذ بمذاهب أهل العراق فى الأصول والفروع (١) .

ويمضى عصر الولاة مضطربا تتنازعه الردة تارة والمذاهب تارة أخرى ويتغير فيه الولاة ولا يكاد يستقر الأمر الا على أيدى الأغالبة ـ ولكنا لا نعدم من وراء التقلب المذهبى الذى عرف عن البربر نشاطا عقليا ربما كان من أسبابه طفرة العلم وظهور الرواية فى هذا العهد التالى .

دولة الاغالبة واثرها فى النشاط العقلى :

أسس دولة الأغالبة ـ وهى دولة عربية اسلامية ـ ابراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ وأراد أن يضمن الاستقرار لدولته فاشترط شروطا آقرها الرشيد منها أن يستقل بادارة شئون افريقية الداخلية عن الخلافة ، وأن يتولى هذه الامارة ذريته من بعده ، وألا يدفع الاعانة التى كانت تحصل عليها مصر ، وان بدفع للخليفة أربعين ألف دينار (٢) .

وكان ابراهيم بن الأغلب فقيها أديبا شاعرا خطيبا ، ولم يل افريقية أحسن سيرة منه ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرأف برعية ، ولا أوفى بعهد ولا أرعى لحرمة منه فطاعت له قبائل البربر وتمهدت افريقية فى أيامه واستقامت الأحوال بها (٣) .

---

(١) الاستقصا ١ : ٦٠ ـ ٦١ .
(٢) تاريخ ابن خلدون ٣ : ٢٢٨ .
(٣) البيان المغرب ١ : ٩٣ .

في هذه البيئة الهادئة نشطت الحركة العلمية ونجم فيها كثير من علماء اللغة كأبى مالك الطرماح وهو حفيد الطرماح بن حكيم الشاعر وراوى شعره - وعياض بن عوانة بن الحكم الكلبى ، وأبى الوليد عبد الملك ابن قطن المهرى ، وكانوا فى سبيل تعرفهم على غريب اللغة يعنون عناية ملحوظة برواية الشعر وشرحه • تلمح هذا فى أخبار الوليد عبد الملك ابن قطن المهرى فقد أخذ عن الطرماح ، وعياض ، والذين ترجموا له حرصوا على ابراز هذه الصفة فيه فقالوا (كان من أحفظ الناس لكلام العرب وأشعارها ووقائعها وأيامها ، وكانت الأشعار تقرأ عليه مجردة من الشرح فيشرحها ويفسر معانيها فلما دخلت المشروحات نظر طلبة العربية والنحو فيها وفيما كانوا رووا عنه منها فلم يجدوا فى شرحه خلافا لما قال أصحاب الشرح ، ولا وجدوا عليه فى روايته وتفسيره شيئا من الخطأ (١) •

ويعتبر عبد الملك بن قطن المهرى (شيخ أهل العربية والنحو والرواية ، ورئيسهم ، وعميدهم ، والمقدم فى عهده وزمانه عليهم) (٢) تلمذ لابن الطرماح ، وعياض بن عوانة ، وأبى عبد الرحمن المقرى الكوفى ، وقتيبة النحوى ، ولقى بعض الأعراب • ومن كتبه : تفسير مغازى الواقدى ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب فى اشتقاق الأسماء مما لم يأت به قطرب - ولم نعثر على كتاب منها ، وكنا نأمل أن نرى كتاب اشتقاق الأسماء لنضعه فى مقارنة مع كتاب الاشتقاق لابن دريد •

وعمر طويلا وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائتين •

واذا كانت دولة بنى الأغلب قد انتهت فى نهاية القرن الثالث تقريبا فان النشاط الفكرى الذى لاحظناه فى فترة حكمها أخذ فى النمو والانتشار

---

(١) طبقات الزبيدى ٢٤٩ ، انباه الرواة ٢ : ٢٠٩ •

(٢) ط الزبيدى ٢٤٧ •

ولم يعكر على القيروان صفوها الا هذه الفتنة التى أثارها عرب الصعيد في منتصف القرن الخامس .

كان من علماء المغرب ، ومن المتقدمين بعد المهرى أبو عبد الله حمدون بن اسماعيل يصفه الزبيدى بقوله (كان في العربية والغريب والنحو الغاية التى لا بعدها) (١) حفظ كتاب سيبويه وانفرد بأوضاع في اللغة .

وتلمذ للمهرى ، وحمدون أبو محمد عبد الله بن محمود المكفوف وكان من أعلم خلق الله بالعربية والغريب والشعر وتفسير المشروحات وأيام العرب واخبارها ووقائعها وبرز في ذلك حتى فاق أستاذه عبد الله ابن حمدون ـ وله كتب كثيرة أملاها في العربية والغريب . وتوفى سنة ثمان وثلاثمائة (٢) .

ومن علماء العربية بالقيروان أبو عثمان سعيد بن محمد الغسانى النحوى ـ ذكره الزبيدى باسم (ابن الحداد) يوصف بانه كان دقيق النظر ثابت الحجة ، شديد العارضة ، حاضر الجواب صحيح الخاطر ، له كتاب توضيح المشكل في القرآن ، والمقالات ، والاستيعاب ، والأمالى الى جملة كتب أخرى أكثرها في الاحتجاج على الملحدين . وله مع أبى عبد الله المعلم مسائل برز فيها ثم أملاها سعيد على أصحابه وسماها المجالس . واشتهر أمره بالجدل وكان العراقيون يرسلون اليه من يتلمس سقطه (٣) .

ومن علماء المغرب أبو القاسم ابرهيم بن عثمان المعروف بابن الوزان سعى الى التعرف على علم البصريين ، وقرأ لرجال الكوفة واستخرج من مسائل النحو والعربية أمورا لم يتقدمه فيها أحد ، قال فيه أبو على بن أبى

---

(١) ط الزبيدى ٢٥٦ .
(٢) ط الزبيدى ٢٥٧ .
(٣) انباه الرواة ٢ : ٥٣ ، وطبقات الزبيدى ٢٦١ .

سعيد (ولو أن قائلا قال : انه أعلم من المبرد وثعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه) (١) ، وكان ابن الوزان (يحفظ كتاب الخليل بن أحمد فى العين وكتاب أبى عبيد فى الغريب المصنف وكتـاب ابن السكيت وغيرها من الكتب فى اللغة ـ وحفظ قبل ذلك كتاب سيبويه ثم كتب الفراء وكان يميل الى قول أهل البصرة مع علمه بقول الكوفيين وكان يفضل المازنى فى النحو وابن السكيت فى اللغة) (٢) .

ونجم فى القيروان محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى نسب اليه كتـاب الجامع فى اللغة يصفه ابن خلكان بأنه من الكتب الكبار الممتازة وقيل فى سبب وضعه ان العزيز بن المعز العبيدى طلب منه أن يؤلف كتابا يجمع فيـه سائر الحروف التى ذكر النحويون أن الكلام كله اسم وفعـل وحرف جاء لمعنى ، وأن يجرى ما ألفه من ذلك على حروف المعجم .
سارع أبو عبد الله القزاز الى ما أمره العزيز ، وجمع المفترق من الكتب النفيسة فى هذا المعنى ... فبلغ جملة الكتاب ألف ورقة (٣) وقال عنه القفطى (هو أكبر كتاب صنف فى هذا النوع) (٣) وشبهه الحسن بن رشيق بكتاب التهذيب للأزهرى (٤) .

ومن تصانيف أبى عبد الله أيضا : كتـاب أدب السلطان والتأدب له (عشر مجلدات) ، كتاب التعريض والتصريح ، كتاب اعراب الدريدية ، كتاب شرح رسالة البلاغة فى عدة مجلدات ، كتاب أبيـات معان فى شعر المتنبى وكتـاب ما أخـذ على المتنبى من اللحن والغلط ، وكتـاب الضاد والظاء (٥) .

---

(١) طبقات الزبيدى ٢٦٩ .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٦٩ .
(٣-٣) وفيات الأعيان ز : ٩ ط السعادة سنة ١٩٤٨، وانباه الرواة ٣:٨٦ .
(٤) معجم الأدباء ١٨ : ١٠٥ .
(٥) معجم الادباء ١٨ : ١٠٩ .

وقع الينا من كتب القزاز (كتاب فيه ذكر شيء من الحلى) رأى أن يجمع فيه بعض الصفات ليعين الكتاب على صناعتهم ، أشار الى ذلك فى مقدمته الموجزة فقال (الذى جرى عليه عادة الكتاب فى الحلية فى الرقيق أن يكتبوا اشترى بالمدينة الفلانية فلان ، ثم ينعتوه وينسبوه الى صنعته وموضع سكنه من المدينة ...

وضع نموذجا عاما فى وصف الغلام ليقاس عليه سائر الصفات من المتبايعين وغيرهم من الجند فهو (غلام رومى افرنجى فصيح اللسان أبيض اللون كهل ربعة معتدل القامة اقزع رسلة أسود الشعر أثيثه ، مؤلل الأذنين عريض الجبهة أبلج ما بين الحاجبين أدعج العينين ... وعقد فصولا فى ذكر الألوان ، والقدود ، والرءوس ، والآذان ، والجباه ، والعيون والأنوف الى غير ذلك ـ ومما قاله فى ذكر الآذان :

(مؤلل الأذنين : هى الرقيقة المنتصبة ، فان كانت لطيفة فذلك الصمع ، يقال غلام أصمع وجارية صمعاء فان انكسرت واسترخت باقبال على الوجه فذلك الخذا . تقول رجل اخذى وامرأة خذواء ، وان كانت صغيرة ملتصقة فذلك السكك ـ تقول غلام اسك ، وامرأة سكاء فان استرخت وأدبرت الى أعلى الرأس فذلك الغضف تقول غلام أغضف والأنثى غضفاء ، وان كانت الأذن عظيمة مقبلة على الوجه فذلك القتف تقول غلام اقتف وامرأة قتفاء فان كان لا يسمع فذلك الصمم تقول غلام أصم وامرأة صماء وتوصف شدة الصمم بالصلخ تقول رجل أصم أصلخ) (١) .

وتلمذ لأبى عبد الله القزاز محمد بن أبى سعيد المعروف بابن شرف القيروانى وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة متقدمين عند الأمير

---

(١) كتاب فيه ذكر شيء من الحلى ص ١٠ مطبعة العرفان صيدا سنة ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م .

المعز بن باديس أمير افريقية ـ وظلت القيروان وجهة العلماء والأدباء تشد اليها الرحال لما يرونه من اقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم (١) الى أن هاجم عرب الصعيد القيروان واضطر المعز الى الخروج منها الى المهدية فتبعه بعض العلماء وهاجر البعض الى صقلية .

---

(١) معجم الأدباء ١٩ : ٣٧ .

صقلية

في سنة ٢١٢ هـ فتحت صقلية على يد عالم جليل هو القاضى أسد ابن الفرات ، وهو فقيه سمع من مالك بن أنس ، ومحمد بن الحسن فى العراق ، وحينما توجه لغزو صقلية خرج معه أشراف افريقية من العرب والجند والبربر وأهل العلم والبصائر (١) وهكذا كان الغزو العلمى الى جانب الغزو العسكرى . وكذلك كان الأمر حين وليها أبو الأغلب وكان بدوره يميل الى مصاحبة العلماء ، أرسل الى أبى الوليد المهرى وهو شيخ أهل اللغة العربية والنحو والرواية (٢) فاعتذر لخوفه من البحر فاستبدله بأبى سعيد بن حرب بن غورك ولم يمض على الفتح وقت طويل حتى صار أكثر أهلها مسلمين .

ورجال الطبقات يضعون المهرى ، وابن غورك فى مرتبة متقاربة ويقارنون بينهما فيقول الحسن بن أبى سعيد البصرى ان ابن غورك أعلم من المهرى بالقرآن وبحدود النحو ، وكان المهرى أوسع منه رواية وأعلم باللغة والشعر (٣) .

ونسب الى هذه الجزيرة نفر من العلماء منهم محمد بن خراسان الصقلى مولى بنى الأغلب الذى رحل الى مصر فى طلب العلم فتلمذ لأبى جعفر النحاس ، وعاد الى صقلية ودرس النحو بها الى أن مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة (٤) .

---

(١) البيان المغرب ١ : ١٠٢ ط ليدن سنة ١٩٤٨ .
(٢) ط الزبيدى ٢٤٩ .
(٣) ط الزبيدى ٢٥٤ .
(٤) بغية الوعاة ٤٠ ، المكتبة الصقلية ٦٧٠ .

ومن علمائها محمد بن على بن الحسن بن البر التميمى ، ولد فى صقلية ورحل عنها فى طلب العلم وروى كثيرا من اللغة ثم عاد الى صقلية فأخذ عنه ولازمه على بن جعفر بن على السعدى المعروف بابن القطاع الصقلى ويقال ان كتاب الصحاح للجوهرى روى بمصر عن طريق ابن البر (١) ومن أصحاب ابن القطاع المنتسبين اليه المشتهرين به نصرون ابن فتوح بن حسين الصقلى (٢) واسماعيل بن على بن مقشر النحوى (٣) .

وممن رحل الى المشرق فى طلب اللغة الحسن بن على الصقلى حيث لقى أبا القاسم الزجاجى وغيره (٤) .

وخرج الى صقلية قادما من الأندلس أبو العلا صاعد الأندلسى وهو من علماء المشارقة وظل بها الى أن مات سنة عشر وأربعمائة كما خرج اليها الحسن بن رشيق قادما من القيروان وظل بها الى أن مات سنة ست وخمسين وأربعمائة وهو صاحب كتاب العمدة ، وله من كتب اللغة كتاب الشذوذ يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة فى بابها مما وصل الى علمه (٥) .

ومن علماء صقلية عمر بن خلف بن مكى اللغوى صنف فى اللغة كتابا سماه تلقيح الجنان وتثقيف اللسان (٦) وطاهر بن محمد الرقبانى اللغوى قيل فى التعريف به انه (لم يكن فى زمانه أعلم منه بلغة العرب وكلامها وقصدته العلماء من كل مكان) (٧) .

---

(١) انباه الرواة ٣ : ١٩٠ ، المكتبة الصقلية ٦٤٨ .

(٢) المكتبة الصقلية ٦٤٨ .

(٣) المكتبة الصقلية ٦٧٤ .

(٤) المكتبة الصقلية ٦٧٤ .

(٥) وفيات الاعيان ١ : ١٨٦ — ١٨٧ .

(٦) أنباه الرواة ٢ : ٣٢٩ والمكتبة الصقلية ٥٩٧ و ٦٤٦ .

(٧) انباه الرواة ٢ : ٩٤ .

وكان على بن حبيب اللغوى أحد رجال صقلية المعدودين (وكان مضطلعا بنقد الشعر ومعانيه ناهضا بأعباء الغريب ومبانيه) (١) .

ومن أبناء هذه الجزيرة ممن اشتغلوا بالعربية محمد الصقلى النحوى يعرف بالدمعة ، واسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران أبو طاهر الصقلى وكان اماما فى علوم الأدب متقنا لفن القراءات ، صنف كتاب العنوان فى القراءات ، واختصر الحجة لأبى على الفارسى (٢) .

(١) أنباه الرواة ٢ : ٢٥٥ .
(٢) المكتبة الصقلية ٦٧٣ .

الاعراب الرواة

طالت بنا الشقة ، وبعدت المسافة ، وكدنا ننسى هذا المصدر الوثيق من مصادر الرواية وهو (الأعراب الرواة) ولقد رأينا آثارهم فى البصرة والكوفة وبغداد وبسطنا الكلام عنهم فى كتابنا (رواية اللغة) وحين عرفنا بشرق العراق فى الباب الأول من الكتاب الذى بين يديك تحدثنا عن نيسابور - وهناك - وقعت الينا طائفة من أخبار الأعراب الرواة الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر ، وبينا آثارهم فيها •

وهنا - فى غرب افريقية - نعود فنجد من أخبارهم شيئا مجملا ومع ذلك فقد كان طريفا ملفتا بعد ان كدنا ننسى دورهم •

وجدنا الزبيدى يترجم لأبى الوليد عبد الملك بن قطن المهرى فيقول (لقى جماعة من العلماء بالعربية ••• وكثير من الأعراب منهم أبو المنيع الاعرابى) (١) - وأبو المنيع أعرابى سبق أن رأيناه فى البصرة يروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى شيئا من شعر جرير (٢) ، ولا يمنع تاريخيا ان يكون هو ، كما لايمنع أيضا أن يكون شخصا آخر ، كل ما يهمنا أنه أعرابى راوية •

وهناك أعرابى آخر يشير اليه المهرى فيقول : (دخل الينا أعرابى من اليمن يقال له أبو هلال ثم خرج الى تاهرت ثم الى بلد السودان فاتى عليه

---

(١) ط الزبيدى ٢٥٠ •
(٢) النقائض ٣٠ •

يوم له وهج وحر شديد وسموم فى تلك الرمال فنظر الى الشمس مصحرة راكدة على قمم الرءوس وقد صمحت (صهرت) الناس فقال : أما والله لئن غرزت فى هذه الرمال لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت) (١) .

ومن هؤلاء الأعراب أمان بن الصمصامة بن الطرماح بن حكيم وهو اعرابى من طيىء كان يروى شعر جُده كما تؤخذ عنه اللغة فى غرب افريقية بالقيروان (٢) .

وهكذا نرى عنصرا من عناصر الرواية كنا نظن أن بعد المسافة بيننا وبين البادية الفصيحة حال بيننا وبينه .

رواية الأشعار :

وثمة ملحظ آخر هو العناية برواية الشعر وشرحه والاغراق فى هذا على أنه سمة يمتاز بها عالم عن عالم ، سبق ان أشرنا الى ذلك ونحن نعرف بأبى الوليد عبد الملك بن قطن المهرى ـ وجاء فى التعريف بأبى محمد المكفوف وهو من رواة القيروان أنه (كان من أعلم خلق الله تعالى بالعربية والغريب والشعر وتفسير المشروحات) (٣) (وعليه قرأ الناس المشروحات واليه كانت الرحلة من جميع افريقية والمغرب) (٤) ويروون فى مقدرة حفظه أنه (كان يجلس مع حمدون فى مكتبه فربما استعار من بعض الصبيان كتابا فيه شعر أو غريب أو شىء من أخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه ، فاذا ألح عليه أعلم أبا محمد المكفوف بذلك فيقول (اقرأه على ، فاذا فعل قال : أعده ثانية ، ثم يقول : رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك) .

وكان فيهم من يرى المعرفة بالشعر ومعانيه غاية يحبسها عن الناس

---

(١) ط الزبيدى ٢٥١ ومعجم البلدان ٢ : ٣٥٥ (تاهرت) .
(٢) ط الزبيدى ٢٤٥ .
(٣) انباه الرواة ٢ : ١٤٧ .
(٤) انباه الرواة ٢ : ١٤٨ ، نكت الهميان ١٨٤ ـ ١٨٥ .

أو يلغز فى روايتها ليمتحن بها غيره جاء هذا فى سيرة خلف بن مختار الاطرابلسى وكان صاحب نحو ولغة . قال أبو عثمان سعيد بن اسحق الشمخى سألت خلف بن مختار أن اقرأ عليه قصيدة النابغة .

يا دار مية بالعلياء فالسند

فقال : افعل ، فانشدته حتى انتهيت الى قوله :

فظل يعجم أعلى الروق منقبضا في حالك اللون صدق غير ذى اود

فقال ليختبرنى - وقد علمت ما المراد - ما الصدق ؟ فقلت : لا أعلم قال : فما الصدق بالكسر ؟ قلت : الصدق من القول . قال لى : فيجب عليك ان تروى ما تعرف وتدع ما لاتعرف ، فأنشدتها بالكسر لأعلم ما يكون منه فرأيته يبتسم وكان انشاديها ليلا فى المسجد الجامع وكنت أحفظها فقلت له : لم تبسمت ؟ الصدق : الصلب وكذلك الرواية ولكن تجاهلت لك لأعلم ما يكون منك فخجل من ذلك وقال : أنشد ما أحببت فانى لا أخفى عنك شيئا فكان بعد تلك الليلة كما وعد (١)

ولا يقف دليلنا على حرصهم هذا عند حد الاخبار بموقف خلف وحبسه العلم عن سائله - بل يدلنا موقف هذا السائل وتصنعه الخطأ ليعرف ماذا يكون من أمر أستاذه على أن رواية الشعر عندهم والعلم بغريبه ومعانيه أصل هام من أصول الرواية اللغوية ، يبخلون بها تارة كشىء ثمين ، ويعلنونها تارة كشىء يتزيدون به . ، وقد عرف عن ابن أبى عاصم اللؤلؤى أنه كان يقوم بأكثر دواوين العرب (٢) وأن أبا محمد حسن بن محمد التميمى الدارونى - وهو امام فى اللغة كان مشغوفا بديوان ذى الرمة وكان أعلم الناس به وبغيره من دواوين الشعر (٣) .

(١) طبقات الزبيدى ٢٥٩ - ٢٦٠ .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٦٥ .
(٣) طبقات الزبيدى ٢٦٧ .

الفصل الثاني

الأندلس

المجتمع الاسبانى قبيل الفتح العربى :

كان المجتمع الأسبانى قبيل الفتح يتكون من طبقات متباينة ، ويمزقه الظلم الاجتماعى اذ كان الأشراف ، ورجال الدين يمتلكون ثروة البلاد وينعمون بخيراتها بينما سواد الشعب يعانى مغارم الضرائب والمكوس ويسخر الزراع فى ضياع الأشراف والقسس - وهناك فئة أخرى كانت تعانى من البغض والانتباذ والكراهية مبلغا كبيرا وهى فئة اليهود (وكانت الكنيسة منذ اشتد ساعدها ونفوذها تحاول تنصير اليهود وتتوسل الى تحقيق غايتها بالعنف والمطاردة ، ولقد اضطر كثير منهم الى اعتناق النصرانية كرها ورياء) (١) فكانوا مع سواد الشعب يتوقون الى الخلاص من هذا الظلم الجائر .

بدأ فتح البلاد الأسبانية فى سنة اثنتين وتسعين من الهجرة وكانت الشريعة السمحاء تقضى بالرفق والرحمة ولاسيما مع الكتابيين الذين

(١) دولة الاسلام فى الاندلس ٢٩٩ محمد عبد الله عنان ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٣ .

تركت لهم الحرية بعد دفع الجزية ، تلمح هذا فى كتاب الصلح الذى كتبه عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش سنة ٩٤ هـ .

(بسم الله الرحمن الرحيم . كتاب من عبد العزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن غبدوش انه نزل على الصلح وان له عهد الله وذمته وذمة نبيه صلى الله عليه وسلم ألا يقدم له ولا لأحد من أصحابه ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه وأنهم لا يقتلون ولا يسبون ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح وأدى الذى اشترطنا عليه ـ وانه صالح على سبع مدائن .... وانه لايؤدى لنا آبقا ، ولا يؤوى لنا عدوا ، ولا يخيف لنا آمنا ، ولايكتم خبر عدو علمه ، وأن عليه وعلى أصحابه دينارا كل سنة ، وأربعة امداد قمح ، وأربعة امداد شعير وأربعة أقساط طلا (شراب من العنب غير مخمر) وأربعة أقساط خلا ، وقسطى عسل ، وقسطى زيت وعلى العبد نصف ذلك ـ سهد على ذلك عثمان بن أبى عبدة القرشى ، وحبيب بن أبى عبيدة بن ميسرة الفهمى ، وأبو قائم الهذلى وكتب فى رجب سنة أربع وتسعين من الهجرة) (١) .

اقبال الأندلسيين على تعليم العربية :

ومن أثر هذا التسامح شاعت العربية فى كل مكان نزله العرب (بل لم يمض نصف قرن حتى اضطر رجال الكنيسة ان يترجموا صلواتهم الى العربية ليفهمها المسيحيون لأن هؤلاء زهدوا فى اللغة اللاتينية ونشأ لهم غرام بالعربية فأخذوا يتقنون آدابها ويتغنون بأشعارها ويكتبون فيها كأبنائها ويعجبون ببلاغتها اعجاب أهلها بها) (٢) .

---

(١) مجلة المجمع العلمى العربى عدد حزيران (يونية سنة ١٩٢٢ ص ١٦٧ ج ٦ مقال للأستاذ محمد كرد على ، دولة الاسلام فى الأندلس ٥٣ .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى يونية سنة ١٩٢٢ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

ونحن لا نستطيع أن نفترض سهولة الطريق أمام العربية وانها جرت على السنة أهل البلاد وغزت لغتهم مع الفتح العربى الا ان المعاملة الحسنة والتسامح الدينى الذى حظى به أهل البلاد على أثر الاضطهاد الذى كانوا يلقونه من طبقة الأشراف ورجال الدين قبل الفتح جعلهم يلتمسون هذا الدين الجديد عن رغبة ، ويقبلون على لغته من تلقاء أنفسهم فى كثير من الأحيان .

كان على الذين دخلوا فى دين الله أن يعرفوا العربية يقيمون بها صلاتهم ويقرأون بها تعاليم الاسلام ويفهمون ما يلقى اليهم على ألسنة الفقهاء وما لبث أن تعددت شكوى القسيسين من أن الأسبانيين ينسون لغتهم ودينهم ويقبلون على الاسلام ولغته (١) وكان على الذين يرغبون فى التقرب الى السلطان والعمل فى دولته ان يتعلم لغته وكان الأسبان فى أوائل الفتح يتكلمون بالأسبانية والبرتغالية والعربية ، وأخذوا بعد حين لا يتعاقدون بينهم الا باللغة العربية لأن لسان القائمين بالأمر هو اللسان العربى فصار ذلك من شعائر الاسلام وطاعة العرب (٢) .

ولقد نشط علم الفقه والحديث فى الأندلس بشكل ملحوظ ، والمناقشة فى المسائل الفقهية ، ومذاكرة الأصول ورواية الحديث والاتجاه الى تفسيره كل أولئك كان من العوامل القوية فى احياء العربية فى هذه البيئة ومدها بأسباب الانتشار والسعة .

نشأة العربية وروايتها فى مجالس الحديث والفقه :

وربما يستقيم لنا الأمر اذا نحن عولنا فى نشأة العربية وروايتها فى الأندلس على ما كانت تحظى به من عناية فى مجالس الحديث والفقه

---

(١) ظهر الاسلام ٣ : ٨ .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى يونية ١٩٢٢ ص ١٦٨ - ١٦٩ مقال للاستاذ محمد كرد على .

وما حصله العلماء فى رحلاتهم الى المشرق وكتب المشرقين التى ظهرت فى الأندلس فى عصر مبكر • ولكن لم نستطع أن نحيط بأخبار هذه المجالس الأولى ، والتى نفترض أن علماء المسلمين الذين صاحبوا الجيش الفاتح أو الذين قدموا على أثر الفتح كان لهم دور فيها لتفقيه الناس وتبصيرهم بالدين الا ما ذكره صاحب (المعجب) من انه دخل الأندلس من التابعين للجهاد والرباط : محمد بن أوس بن ثابت الأنصارى يروى عن أبى هريرة ـ وحنش بن عبد الله الصنعانى يروى عن على بن أبى طالب ـ وفضالة بن عبيد ـ ومنهم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى يروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ ومنهم يزيد بن قاصط وقيل ابن قصيط الكسكى المصرى يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومنهم موسى ابن نصير يروى عن تميم الدارى •• (١) ونعتقد أن هؤلاء كانوا نواة التعريف بالحديث وروايته وأنهم نجحوا فى شحذ همم الأندلسيين الى هذا العلم فجدوا فى طلبه وراحوا يلتمسونه فى المشرق •

لقد كلف كثير من نزلاء الأندلس بالرحلة الى المشرق حتى أصبحت الرحلة فى ذاتها شيئا يشهد بتمام العالم ، وأصبح من المألوف أن تقرأ فى كتب التراجم التى تحدثت عن علماء الأندلس عبارة (له رحلة الى المشرق) أو (لم تعرف له رحلة الى المشرق) •

واذا كان جمهور العلماء يذهبون فى طلب الحديث فلقد عاد أكثرهم ومعه علم من الفقه والتاريخ والأنساب والسير واللغة بالاضافة الى أن اللغة قاسم مشترك بين كل هذا ، بل منهم من أدرك أوائل الرواة فحمل عنهم من اللغة قدرا كبيرا واليك ما تيسر من أخبارهم •

---

(١) تاريخ الأندلس المسمى بالمعجب فى تلخيص أخبار المغرب ص ٩ ـ ١٠ ط السعادة سنة ١٣٢٤ هـ •

الرحلة الى المشرق وأثرها :

رحل أبو عبد الملك عثمان بن المثنى ٢٧٣ هـ الى الشرق فلقى ابن الأعرابى ٢٣١ هـ وهو كما نعلم من كبار رواة الكوفة ـ وقرأ على أبى تمام حبيب بن أوس ٢٣١ هـ ديوان شعره وأدخله الأندلس رواية عنه واختير لهذا مؤدبا لأولاد الامام عبد الرحمن بن الحكم (١) .

وذهب بقى بن مخلد ٢٧٦ هـ الى المشرق وهو رجل استطاع بما حقق من معرفة باللغة أن يضع كتابا فى تفسير القرآن الكريم يعجب به ابن حزم ويقول فيه (أقطع أنه لم يؤلف فى الاسلام مثل تفسيره ـ لاتفسير محمد بن جرير الطبرى ولا غيره) (٢) .

ثم تبرز رواية اللغة شيئا فشيئا وتلقى اهتماما كبيرا من الذاهبين الى المشرق فى طلب الحديث وربما عاد بعضهم وقد حمل من اللغة ما يربو على ما حصله من الحديث ـ وكان من أثر الجمع بين الحديث واللغة أن أهل الأندلس كانوا يحفظون دواوين الشعراء بالرواية والاسناد على النحو المتبع فى الحديث النبوى (٣) ولقد بلغ من تشددهم فى الرواية اللغوية أن أبا على القالى جاء الى الأندلس ومعه كتاب سماع فى اللغة فاستعاره الخليفة وأبقاه عنده زمانا فلما أرجعه أبطل القالى العمل به فى الرواية لأن الكتاب خرج من يده زمنا طويلا ـ يقول الشيخ الخالدى الذى ذكر هذا الخبر (قرأت هذه الحكاية فى كتاب الالماع فى أصول السماع للقاضى عياض) (٣) .

وعرف صاحب جذوة المقتبس بأبى عبد الله محمد بن عبد السلام

---

(١) تاريخ ابن الفرضى ١ : ٢٤٩ .

(٢) بغية الملتمس ٢٣٠ .

(٣ـ٣) مجلة الرسالة العدد ٨٤ فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٥ ـ من حديث الشيخ الخالدى مقال للدكتور عبد الوهاب عزام ، والشيخ الخالدى عالم سورى كبير شغل منصب رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية فى دمشق .

الخشنى ٢٨٦ ه فأشار الى رحلة له بالمشرق بلغت خمسا وعشرين سنة متجولا فى طلب الحديث وذكر نبتا طويلا باسماء المحدثين الذين روى عنهم الخشنى (١) ولم يفت أبو عبد الله أن يروى اللغة فى العراق عن كبار رجالها فالتقى بالمازنى ، وأبى حاتم السجستانى ، والرياشى وهم كما نعلم أصحاب الرواية اللغوية فى البصرة وفى المرتبة الثانية من الرواة عامة بعد الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأضرابهم - وعاد الى الأندلس فألف شرحا فى الحديث فيه من الغريب علم كثير (٢) .

وكذلك نهج محمد بن عبد الله الغازى ٢٩٦ ه فسمع الرياشى ، وأبا حاتم السجستانى ... وجلب الى الأندلس علما كثيرا من الشعر ، والغريب والعربية ، والأخبار - وعنه روى المشايخ الأشعار المشروحات كلها (٣) .

ومن هؤلاء العلماء محمد بن عبد الله بن سوار القرطبى ٣٠٢ ه أخذ عن أبيه ورحل الى المشرق فلقى أبا حاتم السجستانى ، والرياشى وغيرهما (٤) .

ومما قيل فى ثابت بن عبد العزيز ٣١٣ ه وولده قاسم ٣٠٢ ه (٥) انهما كانا من أهل العلم بالعربية والحفظ للغة والتفنن فى ضروب العلم رحلا الى المشرق فلقيا رجال الحديث ورجال اللغة - وهما أول من أدخل كتاب العين الى الأندلس - وألف قاسم بن ثابت كتابا فى شرح الحديث سماه كتاب (الدلائل) ذكره ابن خير فى الفهرسة (٦) وقال فيه أبو على

---

(١) جذوة المقتبس ٦٣ .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٩٠ .
(٣) طبقات الزبيدى ٢٨٩ .
(٤) تاريخ ابن الفرضى الترجمة رقم ١١٥٨ ، بغية الوعاة ٥٢ .
(٥) توفى الأب قبل الابن انظر فهرست ابن خير ص ١٩٣ .
(٦) فهرست ابن خير ١٩١ .

القالى (لم يؤلف فى الأندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت فى شرح الحديث وقد طالعت كتبا ألفت فى الأندلس ، ورأيت كتاب الخشنى فى شرح الحديث وطالعته فما رأيته صنع شيئا وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب) (١) وأضاف الزبيدى عن محمد بن حسن (ولو قال اسماعيل انه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم فى معناه لما رددت مقالته على أن لأبى عبيد فى هذا الفن فضل السبق عليه) (٢) فاذا كانت مقارنة هذا الكتاب مع كتاب أبى عبيد ـ وقد سبق أن عرفنا به فى كتابنا (رواية اللغة) لم تترك لأبى عبيد القاسم بن سلام الا فضل السبق فان العلم بغريب الحديث فى الأندلس قد ذهب به قاسم وأبوه ثابت ، وينسب الكتاب أحيانا الى قاسم وأحيانا الى ثابت ولكن يبدو أنهما اشتركا فى وضعه استنادا الى ما يقوله القفطى (وكان ثابت ، وقاسم ولده من أهل الفضل والورع والعبادة ، ومن جمعهما كتاب غريب الحديث مما لم يذكر أبو عبيد ولا ابن قتيبة) (٣) .

وذهب قاسم بن أصبغ بن محمد القرطبى الى بغداد ليسمع من المبرد وثعلب وابن قتيبة (٤) ورحل عبد الله بن حمود الزبيدى فصحب أبا سعيد السيرافى الى أن مات ، وصحب أبا على الفارسى فى مقامه وسفره الى فارس وغيرها وأخذ عنه وأكثر وبرع وكان أبو على الفارسى يذكره فى تصانيفه فيقول « سألنى الأندلسى » « وقال الأندلسى » ومن خبره مع أبى على أن أبا على غلس يوما الى الصلاة فى المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من مذود ـ وكان لدابة أبى على خارج داره ـ وكان عبد الله قد بات فيه ليدلج اليه قبل الطلبة طلبا للسبق والأخذ من علمه فارتاع منه

---

(١) انباه الرواة ١ : ٢٦٢ .
(٢) طبقات الزبيدى ٣٠٩ .
(٣) انباه الرواة ١ : ٢٦٢ .
(٤) طبقات الزبيدى ٣٠٩

أبو علي وقال له : ويحك من تكون ؟ قال : انا عبـد الله الأندلسى فقال : الى كم تتبعنى ؟ والله ان على وجه الأرض انحى منك (١)

وسافر منذر بن سعيد البلوطى وكان قاضـيا عالما بالقرآن حافظا لما قالت العلماء فى تفسيره الى مصر لينتسخ كتاب العين عن نسخة أبى العباس ابن ولاد (٢) كما كان من تصانيفه كتاب فى الغريب (٣) •

هذه هى رواية اللغة حميلة على غيرها من علوم الفقه والحديث أما الذين اشتهرت عنهم اللغة فسنزيدهم ايضاحا •

رواية العربية

رأينـا كيف كانت الرواية اللغوية تتخلل مجالس الفقه والحديث ونحن نفترض وجود مجالس خاصة بها لسببين :

أولهما : طبيعة الأمويين وتعصبهم لعروبتهـم ، وللغتهم خاصـــة ، ولقد كان تقدير عبد الرحمن بن معاوية لولديه وتفضـــيل أحدهما على الآخر تعود الى هذا الأصل – قال لهشام يوما – لمن هذا الشعر ؟

وتعرف فيه من أبيه شمائلا
ومن خاله،أو من يزيد ومن حجر

سماحة ذا ، مع بر ذا ، ووفاء ذا
ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

فقال ياسـيدى ، لامـرىء القيس •••• فزاد فى عينـه ، ثم قال لسليمان على انفراد : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب اما لى شـغل غير حفظ أقوال بعض الأعراب ؟ فعـلم قدر ما بين الاثنين من المزية (٤) •

---

(١) انباه الرواة ٢ : ١١٩ •
(٢) انباه الرواة ٣ : ٣٢٥ •
(٣) طبقات الزبيدى ٣١٩ •
(٤) نفح الطيب ١ : ١٥٨ – ١٥٩ •

وهذه العبارة الحادة الغاضبة التى صدرت عن سليمان وقوله (اما لى شغل غير حفظ أقوال بعض الاعراب ..) ربما كانت تعبر عن ضيقه باتجاه كاد يكون عاما فى مجالس الأمويين وهو العناية بكلام العرب - أو - تبرمه بأمر قد فرض عليه ولم تستجب له همته .

وثانيهما : كانت العربية منذ استتب الفتح لغة الدولة والخروج عنها الى غيرها يعتبر خروجا على طاعة العرب .

ولكن الذين أرخوا للحياة العقلية فى الأندلس وجهوا عناية فائقة للتعريف برجال الحديث والفقه وتمكنوا من تتبعهم منذ النشأة الأولى لهذه الدولة - أما رجال اللغة فكانوا فى المرتبــة الثانيــة بحيث غمضت هذه النشأة الا من نتف قليلة الا تكن كافيــة لابرازها والتعريف بها فهى كافية لتقريب هذا الفرض الذى افترضناه من وجود مجالس تطلب فيها اللغة لذاتها والغريب الذى يستحق أن ينوه به ويشــار اليه أن هذه الرغبة فى طلب اللغة وروايتها بدأت من عصر مبكر بحيث لا يتجاوز جيلا أو جيلين بعد الفتح وبحيث تلتقى مع باكورة الرواية فى العراق - لقد رحل فى خــلافة عبد الرحمن بن معــاوية - أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الهوارى فلقى الأصــمعى وأبا زيد الأنصــارى وغيرهما - وداخل العرب وتردد فى محالها ، ولما قدم الأندلس صادرا من سفره وكان قد احضر بعض الكتب من المشرق تعرض لحادث أفقده كتبه فكان يتعزى عنهــا بما حفظه فى صــدره منها ، وضع كتــابا فى تفسير القرآن الكريم رواه عنه محمد بن أحمد العتبى (١) .

وكذلك رحل الى المشرق الغازى بن قيس فادرك الأصمعى ونظراءه وعقد مجلسه فى قرطبة الا أننا لانعلم الكثير عن حلقته بها وما كان يدور

---

(١) ترجمة رقم ٧٧٦ ص ٢١٥ تاريخ ابن الفرضى .

فيها وكان الخليفة الأموى عبد الرحمن بن معاوية يجله ويحترمه ويزوره فى منزله (١) .

ومن أبو العلاء العباس بن ناصح بصور التلقى التى عرفت لرواة العراق ، ويحكى ذلك ابن الفرضى فيقول : رحل به أبوه صغيرا فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا للغة العرب ثم رحل به أبوه الى العراق فلقى الأصمعى وغيره من علماء البصريين والكوفيين وانصرف الى الأندلس فكان لا يزال يستفهم عمن نجم بالمشرق من الشعراء بعد ابراهيم بن هرمة فأخبر عن الحسن بن هانىء وأنشد بعض شعره فقال : لاجهدن فى ان ألقى هذا الرجل ثم رحل الى العراق فلقيه واستنشده ... وكان عباس من أهل العلم باللغة وكان جزل الشعر وكان يسلك فيه مسالك العرب القديمة ، وكان له حظ من الفقه والرواية ولم تشهر عنه لغلبة الشعر عليه (٢) له كتاب فى القراءات وكتاب فى تفسير القرآن (٣) .

وفى مسلك العباس صورة واضحة من صور الرواية اللغوية التى نشأت وتطورت واكتملت فى العراق ولا تكاد تختلف طريقته فى التحصيل عن طريقة كبار الرواة الذين وضعوا أسس هذا العلم وحددوا سمته ، فقد أخذ من العلم فى مصر ما أخذ ثم راح يلتمس اللغة عند أصحابها فى البادية — ثم عاد الى العراق فسمع من الأصمعى ، ومن الكوفيين ويبدو أنه أفاد من طريقة الأصمعى فى الاكثار من حفظ الشعر والتعرف على اللغة من خلاله الا أن العباس قد ربت فى نفسه ملكة الشعر فعرف به أكثر مما عرف باللغة .

لم أستطع أن أتعرف على الكثير من أخبار هذا الراوية الا ما سأذكره

---

(١) جذوة المقتبس ٣٠٥ ، وبغية الوعاة ٣٧١ .
(٢) ترجمة رقم ٨٧٩ ص ٢٤٥ تاريخ ابن الفرضى .
(٣) ط الزبيدى ٢٧٦ .

فى سياق الكلام عن لغوى آخر بدأ فى عصر مبكر أيضا وهو جودى ابن عثمان وهو مولى لآل يزيد بن طلحة ، رحل الى العراق فأخذ عن الكسائى والفراء (١) والرياشى (٢) وقيل انه أول من أدخل كتاب الكسائى الى الأندلس (٣) وفى حلقته أنكر على عباس بن ناصح قوله :

يشهد بالاخلاص نوتِرِما
لله فيها وهو نصرانى

فلحن حيث لم يشدد ياء النسب ، وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح فساءه ذلك فقصد عباسا وكان مسكنه بالجزيرة فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك أعزك الله فى هذا الأوان ؟ قال : أقدمنى لحنك قال له عباس : وأى لحن ؟ فأعلمه ، فقال له أنشدهم قول عمران ابن حطان .

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن
وان لقيت معديا فعدنانى

ثم قدم قرطبة واجتمع بجودى وأصحابه فأعلمهم ما قال ، ووافقوه (١) .

ولم نسق هذا الخبر لنخبر عن رأى صدر فى مجلس جودى بن عثمان وجاء مخالفا لما ذهب اليه عباس بن ناصح ، ولكن العناية بهذه المسألة وذهاب أحد الجالسين الى بيت عباس ومناقشته الخبر معه والعودة بحجة صاحبه وطرح المسألة مرة أخرى فى مجلس جودى ، واقتناع جودى وأصحابه ـ كل هذا يشير الى أن رواية العربية قد اجتازت خطواتها الأولى .

(١-١) معجم الأدباء ٧ : ٢١٣ .
(٢) بغية الوعاة ٢١٣ .
(٣) طبقات الزبيدى ٢٨١ ، ولم أعرف أى كتب الكسائى يقصد الزبيدى .

ومجلس جودى بن عثمان من أوائل المجالس اللغوية التى نعرف بعض أخبارها وان من تلامذته رجلا اسمه أبو الحرشن بلغ حدا من الفصاحة وضرب به المثل فكان الناس اذا استفصحوا رجلا قالوا : ما هذا الا أبو حرشن (١) وكان مجلس أبى حرشن أيضا فى قرطبة وتلمذ له فيها عبد الملك بن مختار (٢) .

وتكاد تختفى نشأة ابن القوطية ، وليس لدينا ما يفيد أنه رحل الى المشرق ولكن انتاجه الغزير من اللغة يؤكد وجود المجالس التى تلقى بها وأشار الى بعضها ابن خلكان (٣) ـ عمل كتاب الأفعال تناوله من بعده تلميذه عبد الملك بن طريف بالدراسة ، ثم جاء ابن القطاع الصقلى فبوبه ورتبه على النحو الذى سنشير اليه بعد ، وعمل ابن القوطية كتاب المقصور والمدود يقول فيه ياقوت (جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله ، وفاق به من تقدمه) (٤) وله شرح على كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة (٤) ووصلنا كتاب الكامل للمبرد مرويا عن ابن القوطية عن أبى عثمان سعيد بن جابر ـ فمن هو سعيد بن جابر والذى نفترض أن له مجلسا من مجالس الرواية اللغوية فى الأندلس ؟ ليس لدينا من أخباره الا أنه من أهل اشبيلية ، سمع بها من محمد بن جنادة ، وسمع بقرطبة من عبيد الله بن يحيى ، وطاهر بن عبد العزيز وأنه رحل الى المشرق فسمع من المحدثين وسمع من على بن سليمان الأخفش ويموت ابن المزرع (٥) .

---

(١) طبقات الزبيدى ٢٨١ .

(٢) طبقات الزبيدى ٢٨٧ .

(٣) سمع باشبيلية من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدى ، وسعيد بن جابر وغيرهم ـ وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن أبى الوليد الادرج ومحمد بن عبد الوهاب بن مغيث . وفيات الأعيان ٤ : ٤ ط السعادة سنة ٨ ١٩٤٩ .

(٤ـ٤) معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٥ .

(٥) ترجمة رقم ٤٩٢ ص ١٤٢ تاريخ ابن الفرضى ، بغية الملتمس ٢٩٤ .

وهكذا نجد ابن القوطية وهو فى عداد رواة اللغة يتلقى عن علماء الحديث ويعتمد على الجانب اللغوى في مجالسهم ويعمق هذا الجانب حتى يعرف بالرواية اللغوية أكثر مما عرف بالحديث ويتبين ذلك فيما تركه من آثار •

كتاب الأفعال لابن القوطية(*) :

كان من رأى ابن القوطية أن الأفعال هى أصول مبانى أكثر الكلام وبذلك سمتها العلماء (الأبنية) ـ والأسماء غير الجامدة (١) والأصول كلها مشتقات منها • وهى أقدم منها بالزمان ـ وان جاء ذلك مخالفا لرأى البصريين الذين يقولون بقدم الأسماء وأن الأفعال مشتقة منها •

قدم للكتاب بمقال عن أبنية الأفعال ، وقصر عنايته على الثلاثى فقسمه الى ضربين ـ ضرب دخل التضعيف ثانيه فصار ثلاثيا ، منه ما جاء على فعل (بفتح الفاء والعين) مثل رد فإن أصله ردد ، ومنه ما جاء على فعل (بفتح الفاء وكسر العين) مثل عض ، و مس فان أصلهما عضض ، مسس ليس فيه غيرهما الا فعل شاذ رواه يونس : لببت (بضم الباء الأولى وتسكين الثانية) تلب لبابة ولبا ، والأعم لببت (بكسر الباء الأولى) والضم يستثقل فى المضاعف ـ ثم بين أوزان المستقبل (المضارع) وبين اختلاف الروايات فيه •

وثلاثى صحيح يأتى على ثلاثة أضرب فعل (بفتح العين وضمها وكسرها) وقال : ليس لمصادر المضاعف ولا للثلاثى كله قياس يحمل عليه انما ينتهى فيه الى السماع أو الاستحسان ، ومما قاله الفراء (كل ما كان متعديا من الأفعال الثلاثية فان الفعل (بفتح الفاء وسكون العين) والفعول

(*) ط بمطبعة مصر سنة ١٩٥٢ .

(١) الأسماء الجامدة التى لا يشتق منها مثل حجر وباب وما أشبهها فانك لا تقول حجر يحجر ولا باب يبوب .

(بضم الفاء والعين) جائزان فى مصدره مثل ضرب يضرب ضربا وضروبا .

وعرض ابن القوطية للمصادر وأوزانها ثم بدأ الأفعال مرتبة على هذه الحروف : ء - هـ - ع - غ - خ - ح - ج - ق - ك - س - ش - ص - ض - ل - ر - ن - ط - ظ - ذ - د - ب - ت - ث - ز - ف - م - و - ى .

سردها أولا بحسب فعل وأفعل بمعنى واحد - وباختلاف معنى - ثم جاء بها وهو يعرض لما دخل الثلاثى من الهمز تحت اسم الرباعى فذكر الصحيح والمضعف ومرة ثالثة للثلاثى على فعل باختلاف النطق .

ولم يرق هذا التقسيم لبعض العلماء فعقب عليه ورتبه على بن جعفر ابن على السعدى المعروف بابن القطاع دون أن ينتقص من قدر صاحبه ، ورأى فى الكتاب أمثل ما ألف فى هذا النوع من اللغة ووصفه بغاية الجودة والاتقان وقال : (قد أربى فيه مؤلفه على كل من ألف فى معانيه) أما المآخذ التى عدها على المؤلف فهى أنه (لم يذكر فيه سوى الأفعال الثلاثية وما دخل عليها من الهمزة ولم يستوعب ذلك ، وترك نحوا مما ذكر ، وخلط فى التبويب وقدم وأخر فى الترتيب ، وجعل الثلاثى باتفاق معنى فى أبواب وباختلاف معنى فى أبواب ، والمزيد بالهمزة فى أبواب ، والثنائى المضاعف فى أبواب ، والمتفق والمختلف منه فى أبواب) فأتعب الناظر وأنصب الخاطر وصار الطالب للحرف يجده متفرقا فى الكتاب فى عدة أبواب ولم يذكر فيه الأفعال الرباعية الصحيحة ولا الخماسية والسداسية المزيدة ...) (١) .

وحدد ابن القطاع (*) دوره فى تلخيص ما انغلق وتخليص ما عسر

---

(١) كتاب الأفعال لأبى القاسم على بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٦٠ هـ .

(*) هناك أيضا كتاب الأفعال لابن الحداد السرقطى وهو أيضا تلميذ لابن القوطية ولعله سبق ابن القطاع الى تهذيب كتاب أستاذه .

وانعقد من الكتاب وحدد منهجه بقوله (... انى احتاج ان أعرض الكتاب لكل حرف عرضه والحق به ما ترك من عدة دواوين ... فرددت كل فعل الى مثله ، وقرنت كل شكل بشكله ، ورتبته خلاف ترتيبه وهذبته خلاف تهذيبـه ، وذكرت ما أغفله من الأفعـال الثلاثيـة ، والمزيدة بالهمزة ، والثنائية المكررة ، وأوردت الأفعال الرباعية الصحيحة ، والأفعال الخماسية والسداسـية المزيدة وأثبتها على حروف المعجم حتى لايحتاج الناظر أن يخـرج من باب الا وقد اسـتوعب جميع الأفعال على التمام والكمال ... وجمعت فيه ما افترق فى مصنفات العلماء ... ولم أورد فيه سوى المعروف المستحسن وعديت عن الحوشى المستهجن) (١) .

وقد ميز ابن القطاع ما أورده ابن القوطية بحرف القاف ، وما أضافه هو بحرف العين فبلغ الكتاب ١٢٦٣ صفحة فى ثلاثة أجزاء .

الأمويون ورعايتهم للعلم
واثر ذلك فى الميدان اللغوى :

وفى عهد عبد الرحمن الناصر الذى بلغت مدة خلافته خمسين سنة (من سنة ٣٠٠ الى سـنة ٣٥٠) نعمت البلاد بالاستقرار ، وشجع علماء المشرق على زيارة الأندلس (وكان يبعث فى شراء الكتب الى الأقطار رجالا من التجار ويرسل اليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها الى الأندلس ما لم يعهدوه وبعث فى كتـاب الأغانى الى مصنفه أبى الفـرج الأصفهانى وكان نسبه فى بنى أميه ــ وأرسل اليه فيه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق) (٢) .

وكان ابنه الحكم المستنصر عالما لايكتفى بجمع الكتب لتكون فى طلب المتعلمين فحسب ولكن قلما يوجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة أو نظر

---

(١) ص ٥ .

(٢) نفح الطيب ١ : ١٨٢ ، معجم الأدباء ١٣ : ١٠٠ .

فى أى فن كان ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ويأتى من بعد ذلك بغرائب لاتكاد توجد الا عنده لعنايته بهذا الشأن (١) •

ومما جاء فى وصف خزائن الكتب فى عهد بنى مروان أن عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ـ وفى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين لاغير (١) وان محتويات المكتبة فى عهد الحكم المستنصر كانت أربعمائة ألف مجلد (٢) فصارت قرطبة أكثر بلاد الأندلس كتبا ، واعتنى أهلها بجمع الكتب وصار ذلك من آلات التعيين والرياسة (٣) •

وأستطيع القول ـ نتيجة لجهود عبد الرحمن وخلفائه من الأمويين ـ أن الوجادة فى الأندلس نابت مناب السماع فى المشرق ، وحققت للذين لم يتيسر لهم الرواية بالسماع تحصيل العلم بها عن طريق الكتب ـ كان محمد بن سليمان النحوى المعروف بابن أخت غانم شديد التعلق بكتب أبى زيد والأصمعى (٤) ، وكلفوا أشد الكلف بكتب ابن قتيبة فقال ابن كثير فى تاريخه ان أهل المغرب كانوا يتهمون من لم يكن فى بيته من مؤلفات ابن قتيبة شىء (٥) وجاء فى ترجمة محمد بن موسى بن هشام انه أخذ كتب ابن قتيبة من ابرهيم بن موسى بن جميل الأندلسى (٦) وكذلك رواها محمد بن أبى الأسود (٦) ومن الكتب التى نالت عناية الأندلسيين كتاب الكامل للمبرد وقد أشرنا الى أن النسخة التى بأيدينا منه رواها ابن القوطية (٧) •

(١ـ١) نفح الطيب ١ : ١٨٧ •

(٢) ١ : ١٨٦ المصدر السابق •

(٣) ١ : ٢٨١ نفس المصدر •

(٤) بغية الوعاة ٤٧ •

(٥) مقدمة العقد الفريد للأستاذ محمد سعيد العريان ص ١١ •

(٦ـ٦) ترجمة رقم ١١٧١ تاريخ ابن الفرضى ص ٣٢٩ ، بغية الوعاة ٢٢ •

(٧) سمعه من محمد بن أحمد بن سعيد المعافرى عن سعيد بن جابر ـ بغية الوعاة ص ١٠ وتاريخ ابن الفرضى ترجمة رقم ١٣٥٤ •

وكان الأمويون كرؤساء المشرقيين يستدنون العلماء ويوفرون لهم سبب المذاكرة ، وقد يوقعون بينهم بغية المحاورة العلمية ، ويدلك على ذلك ما جاء في ترجمة محمد بن أرقم النحوي – وكان من علماء العربية واللغة والكلام – أن عبد الرحمن الأموي لما أمر بانشاد شعر حبيب أحضره وأحضر جماعة من الأدباء ... فشاورهم أي القصائد تقدم في أول الكتاب فقال له ابن أرقم : انما يفضل الشعر ويقدم لغرابة معناه ، وشعره الذي وصف به القلم له معنى لم يتقدمه اليه متقدم ولا لحقه فيه متأخر فوقعوا جميعا عليه وقالوا : الوضيع يتعصب للوضيع – يعنون ابن الزيات فاخجلوه – وبينما هم كذلك اذ استؤذن لأبي عبيد الله الغساني فاذن له فلما استوى في الجلوس سئل عما جرى من القول فقال : أخبرني أبو الحسن المغني أن أهل بغداد لا يفضلون على شعره اللامي الذي ذكر فيه القلم شيئا لغرابة معناه ، ولم يكن الغساني يعلم شيئا من اختلافهم في ذلك وانما سئل عما يجب تقديمه – فاستطال ابن أرقم وقال : مثلي مع هؤلاء كما قال حبيب ابن أوس :

كلاب اغارت في فريسة ضيغم

طروقا وهاما أطعمت صيد اجدلا

وانما يغمني أن أكون ببلد يتحكم علي فيه من لا يعرف ما أقول (١)

وكان أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المنذر ابن عبد الرحمن بن معاوية يعرف بالمذاكرة لأنه اذا لقي رجلا من أخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من النحو ؟ فلهج بهذه الكلمة وأكثر منها حتى نبز بها ، وكان له مع هذا حظ وافر من العربية . قال له ابن أبي عبدة يوما : ياسيدي يا أبا الحكم ان ذكرت في هذا السيف ما ذكرته العرب من أسرار أجزائه من رأسه الى أسفله فهو لك ... فأجابه الى ذلك

---

(١) انباه الرواة ٣ : ٦٩ .

كله حتى عجب الحاضرون من سعة علمه (١) وأبو الحكم رجل من أصحاب الرياسة يذهب هذا المذهب فى طلب المذاكرة لا تثنيه عنها أعباء السياسة •

وكان محمد بن أبى الحسين رئيسا جليلا عالما باللغة والأدب استدناه الحكم المستنصر وأمره يوما بمقابلة كتاب العين للخليل بن أحمد مع أبى على اسماعيل بن القاسم البغدادى وابنى سيد (٢) فى دار الملك التى بقصر قرطبة واحضر من الكتاب نسخا كثيرة فى جملتها نسخة القاضى منذر بن سعيد البلوطى التى رواها بمصر عن ابن ولاد ـ وسألهم الحكم عن النسخ فقالوا : ان نسخة القاضى أشد النسخ تصحيفا وخطأ وتبديلا •• فسأل أبا على القالى عن حقيقتها فأخبره على قول الجماعة واتصل المجلس بالقاضى منذر فكتب الى الحكم المستنصر رقعة وفيها :

جـزى الله الخليل الخير عنـا
بأفضل ما جزى فهو المجـازى
وما خطأ الخليل سـوى المغيلى
وعضروطين فى ربض الطراز(٣)
فصار القوم زرية كل زاد
وسخريا وهزأة كل هازى

فقال لهم المستنصر ان القاضى قد هجاكم ـ فقالوا : نجل القاضى عن ذكره فى مجلس مولانا فقال : قد بدأكم والبادى أظلم • فقالوا : ان رام المحاققة بحضور الشيخ أبى على القالى حاققناه على وهمه ـ ومد محمد ابن أبى الحسين يده الى الدواة فكتب :

هلم فقـد دعـوت الى البـراز وقد فاخرت قرنا ذا نجـاز

(١) انباه الرواة ٣ : ٣٢٣ •

(٢) هما أحمد بن ابان بن سيد اللخمى واخوه محمد ـ وكلاهما من علماء اللغة ومن تلامذة ابى على القالى •

(٣) المغيلى هو أبو بكر المغيلى ـ والعضرط هو التابع الذى يخدم من أجل بطنه وهو العضروط أيضا .

ولا تمش الضراء فقد أثرت الـ / أسود الغلب تخطر باحتفاز
واصحر للقاء تكن صريعـا / بماضى الحد مصقول الجـراز
رويت عن الخليل الوهـم جهلا / بجهلك بالكلام وبالمجـاز
دعوت له بخير ثم انحت / يداك على مفاخر بالعـزاز
تهدمهـا وتجعل ما عـلاها / أسافلها ستجزيك الجـوازى
جزى الله الامام العدل عنـا / جزاء الخير فهو له مجـازى
به وريت زناد العلم قـدما / وشرف طالبيه باعتـزاز
وجلى عن كتاب العين دجنا / واظلاما بنور ذى امتياز
بأسـتاذ اللغات أبى على / وأحداث بناحية الطراز
بهم صح الكتاب وصـيروه / من التصـحيف فى ظل احتراز

وعرضت على المستنصر فرآها وضحك وقال : قد انتصرت وأمر بها فختمت ثم وجه بهـا الى القاضى ـ يقول الخبـر ـ فلم يسـمع له بعد ذلك كلمة (١) .

والخبر على هذه الصورة يمدنا بهذه الخصومة العلمية التى كان يثيرها رجال الدولة ـ وقد يسترعى انتباهك وجود هذه النسخ العديدة من كتاب العين فى بلد كالأندلس قد تحمل أصـحابها مشقة انتساخهـا من العراق ومصر ووضعت بعد ذلك تحت الاختبار والدرس والتصحيح .

---

(١) انباه الرواة ٣ : ٧١ ، جذوة المقتبس ٤٨ .

مدد من الشرق

ثم شـد من أزر الرواية اللغوية مـدد أتى من الشرق ، كان فى طليعته أبو على اسـماعيل بن القاسم البغدادى القالى الذى أدرك من علماء اللغة بالعراق أبا بكر محمد بن القاسـم بن بشـار الأنبارى ، وأبا محمد عبد الله بن جعفـر بن درسـتويه ، وابن دريد ، والأخفش الصـغير وأبا عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه ، وأبا اسـحق ابراهيم بن السرى الزجاج ، وأبا بـكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ومحمد بن مزيد بن محمود بن منصور المعروف بأبى الأزهر الى غير هؤلاء.

سـمع بشهرة أبى على ـ الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر فكتب اليه ورغبه فى الوفود عليه لنشر علمه ، ويصف صاحب كتاب (نفح الطيب) استقبال أبى على فيقول :

(وفد على الأندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن فأمر ابنه الحكم) وكان يتصرف من أمـر أبيـه كالوزير ، عاملهم ابن رماحس ان يجيىء مع أبى على الى قرطبة ، ويتلقاه فى وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض أهل الكورة تكرمة لأبى على ففعل ، وسـار معه نحو قرطبة فى موكب نبيل) (١) .

ومن آثار أبى على المشهورة : كتاب الأمالى ، والمقصور والممدود ، والابل وفعلت وافعلت ، والبـارع فى اللغة ، وحـلى الانسان ، والخيل وشياتها .

---

(١) نفح الطيب ٢ : ٤٨ ط ليدن .

أما كتاب الأمالى ـ فقد أملاه من حفظه فى الأخمسة بقرطبة فى المسجد الجامع ، وأودعه فنونا من الأخبار وضروبا من الأشعار ، وغرائب من اللغات .

ورواية اللغة بما تتطلب من استظهار للمتن ، واستذكار للسند ، ووعى لمختلف الأقوال والاحتجاج لها ، علم جاف لايكاد الانسان يمضى فى قراءة كتبه حتى يدركه الملل ـ ولكن كتاب الأمالى لأبى على وهو من أكثر الكتب تناولا للغة وأغناها بغريبها وذكرا لرواتها يكاد يختلف عما عرفناه من كتب اللغة ، واليك طريقة أبى على ، وصورة من كتابه .

كان أبو على يتخير نصا من النصوص اللغوية ـ غالبا ما يكون شيقا ـ يرضى تطلع السامع ويحمله على المتابعة كان يكون قصة أو حديثا من أحاديث الأعراب فيه غرابة أو طلاوة ، ويجعل ذلك محور دراسته للغة ـ ذكر قصة أعرابى أصيب بموت سبعة من أولاده انهارت عليهم صخرة فأنشأ شعرا فى هذه الكارثة ـ ثم يأتى دور أبى على فيشرح غريب هذا الشعر (١) وفى حديث آخر يروى قصة أعرابى يفتخر ببنيه (٢) ويروى ذلك عن أبى بكر بن دريد عن عبد الرحمن عن عمه ، وليس بغريب أن يروى أكثر هذه المرويات بسندها عن الأصمعى فقد كان الأصمعى معروفا بحسن الاختيار وطلاوة الأخبار انظر الى أبى على يحكى بسنده عن الأصمعى ما وقع بين رجل من العرب وزوجته فقال :

(سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهى تقول :

والله ان شربك لاشتفاف ، وان ضجعتك لانجعاف ، وان شملتك لالتفاف ، وانك لتشبع ليلة تضاف ، وتنام ليلة تخاف . فقال لها :

---

(١) الامالى ١ : ٦١ .
(٢) الامالى ١ : ٥٢ .

والله انك لكرواء الساقين ، قعواء الفخذين ، مقاء الرفغين ، نعاضه الكشحين ، ضيفك جائع ، وشرك شائع) (١) .

وهكذا يحتال أبو على فى ايراده للغريب بمثل هذا الخبر الطلى ويستهوى به السامع ليعرف بمفرداته ومما قاله أبو على فى أعقاب الخبر السابق :

(الانجعاف ـ الانصراع ويقال : ضربه فجافه ، وجعفه ، وجفاه ، وكوره ، وجوره ، وجعفله ، وقطره اذا ألقاه على أحد قطريه قال طفيل :

وراكضة ما تستجن بجنة
بعير حلال غادرته مجعفل

(حلال بكسر الحاء : مركب من مراكب النساء) .

واتكأ اذا ألقاه على هيئة المتكىء ، وقال أبو زيد ضربه فقحزنه ، وجحدله اذا صراعه ـ وقال الأصمعى وابن الأعرابى : بركعه : صرعه وأنشد بيتا لرؤبة ... وقال غيرهما البركعة : القيام على أربع ويقال : تبركعت الحمامة لذكرها أى بركت ، والكرواء : الدقيقة الساقين ، والكرا دقة الساق . والكرى : النوم : والكرا بمعنى الكروان . وكراء ممدودا : موضع وقال أبو بكر القعواء : المتباعدة ما بين الفخذين ولم اسمع هذا من غيره والذى ذكره اللغويون فى كتبهم فيما قرأته الفجواء المتباعدة ما بين الفخذين ، وقوله : مقاء قال أبو زيد المقاء : الدقيقة الفخذين وكذلك الرفغاء ، وقال الأصمعى : المقاء : الطويلة ، والمقق الطول ، ورجل أمق : طويل ...) (٢) .

---

(١) الامالى ١ : ١٠٤ .
(٢) الامالى ١ : ١٠٤ ـ ١٠٥ .

ترى هل كانت قصـــة الأعرابى وزوجته من صنع أبى على اتخذها ســـببا لمذاكرة الغـــريب • كدت أذهب الى هـــذا الظن لولا ما جـــاء به من السند •

ثم ذيل أبو على كتاب الأمالى بكتاب فى النوادر لايكاد يختلف فى طريقة تصنيفه عن كتاب الأمالى •

ويعد كتاب الأمالى من كتب اللغة الهامة ، وقد أثار اهتمام الكثير من علماء اللغة فألف أبو عبيد البكرى الأندلسى كتاب التنبيه على اغلاط أبى على فى أماليه ـ ثم عمل كتابا شاملا فى شرح الأمالى سماه (كتاب اللآلى فى شرح أمالى القالى) ضمنه هذه التنبيهات وعقب على ذلك الأستاذ عبد العزيز الميمنى فقال : (وهـــذه التنبيهات توجـــد فى اللآلى أوفى وأوعب مما فى التنبيه وكأنه رحمه الله التقطها من اللآلى وأفردها فى كتـــاب مفرز ليقدمه الى المعتمد ويســـمه باســـمه فانى لم أجد فيه شيئا زائدا على ما فى اللآلى اللهم الا أسطرا نقلتها فى تعليقاتى) (١) •

حدد البكرى منهجه فى كتـــاب اللآلى فى مقدمة يقول فيهـــا (هذا كتاب شرحت فيه من النوادر التى أملـّها أبو على اسماعيل بن القاسم القالى ما أغفل ، وبينت من معانى منظومها ومنثورها ما أشـــكل ، ووصلت من شواهدها وسائر أشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى قائليه ما أهمل ••• وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ذكر مرجح ناقد ، ونبهت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معـــاند محتج على جميع ذلك بالدليـــل والشاهد) (٢) •

---

(١) مقدمة سمط اللآلى بقلم الأستاذ عبد العزيز الميمنى •

(٢) سمط اللآلى ١ : ص ٣ ويحتوى على النصف الأول من اللالى فى شرح أمالى القالى لأبى عبيد البكرى بمناظرة الميمنى ـ وانظر العدد ١٣٥ من مجلة الرسالة ص ١٩٨ ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ ـ مقال للأستاذ أحمد أمين •

وفى العصر المتأخر أخرج الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ اللغة العربية بجامعة عليكرة كتاب سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى (ووقف فى كثير من المواضع موقف الحكم بين أبى على وأبى عبيد ينتصر لهذا حينا ، وذاك حينا بالدليل والبرهان ورأى ان آبا عبيد البكرى اقتصر فى شرحه ونقده على كتاب الأمالى دون الذيل فوقف الميمنى موقف البكرى فى ذلك وشرح الذيل ونقده) (١) .

أما كتاب البارع فهو أول معجم يظهر فى المغرب ــ يصفه الزبيدى وكان تلميذا لأبى على بأنه فاق كتاب العين بأربعمائة ورقة لأن القالى ذكر بعض الأصول التى كان يراها صاحب العين مهملة ورتبها كترتيب العين الا من اختلاف فى ترتيب الأبجدية ــ وقد أخبر ولده أن أباه بدأ كتاب البارع فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثم قطعته علل وأشغال ثم عاود النظر اليه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه فبدأ فيه ثانية فى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة حتى أكمله ، وبدأ بنقله حتى أتم كتاب الهمز والهاء والعين ثم مرض وتوفى قبل ان يتمه (٢) فشارك فى اتمامه محمد بن الحسين الفهرى البراق ومحمد بن معمر الجيانى .

ويبدو ان أبا على وقد استشعر أهمية كتاب العين ، وحرص ابن دريد على اخراج معجم الجمهرة رأى من الفائدة أن يعمل كتابا على هذه الشاكلة فعمل البارع الذى يقول فيه السيوطى (وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادى وموعب ابن التيانى) (٣) .

وقد عثر على قطعتين من معجم القالى أحدهما فى المتحف البريطانى وأخرى فى المكتبة الأهلية بباريس نشرهما وقدم لهما الأستاذ ا . س .

---

(١) انظر مقال الاستاذ أحمد أمين فى الرسالة العدد ١٣٥ فى ٣ فبراير سنة ١٩٣٦ .
(٢) انباه الرواة ١ : ٢٠٩ .
(٣) المزهر ١ : ٨٩ .

فلتن الذى يقول : (من بين الوثائق التى عثر عليها أمناء المتحف البريطانى وثيقة ترجع اقدميتها الى هذا النموذج من الخطوط القديمة فهى مكتوبة بخط أندلسى يرجع الى القرن الحادى عشر الميلادى تقريبا يتضمن جذاذات من معجم عربى كبير اسمه الكتاب البارع فى اللغة ... وعندما عثر على هذه الوثيقة كانت الأوراق مربوطة بعضها الى بعض فى غير عناية وكان الترتيب الأبجدى يقودنا الى الترتيب الصحيح ...) .

والمخطوط الآخر وجد بمحض الصدفة فى مكتبة يحتمل أن تكون فى شمال افريقية أو الشرق الأدنى ... وهو أيضا بخط أندلسى يرجع الى نفس العصر الذى كتبت به النسخة الأولى ولكن بخط ناسخ آخر ، وتبلغ المجموعة الأولى ثلاثة أمثال ونصف القطعة الثانية ولا تشترك القطعتان الا فى ثمان صفحات فقط .

ولم تقف الفائدة التى غنمتها الأندلس عند شخص أبى على وما استوعبه ونقله من علم المشرق بل حمل معه من الكتب ما يعتبر ثروة لغوية وأدبية أشار الى بعضها ابن خير فى فهرسته ومنها دواوين ذى الرمة ، وعمرو بن قميئة وعلقمة بن عبدة ، ونقائض جرير والفرزدق ، ودواوين النابغة الجعدى ، وأوس ابن حجر ، والأخطل ، وعمر بن أبى ربيعة ، وجرير بعد ان قرأها على نفطويه ـ وكذلك أحضر دواوين الخنساء ، والحطيئة وجميل وأبى النجم العجلى والنابغة الذبيانى ، والشماخ بن ضرار ، والأعشى ميمون بن قيس ، والمثقب العبدى ، وكثير بن عبد الرحمن ، والقطامى ، وعدى بن زيد ، وعبدة بن الطبيب ، والافوه الازدى ـ وطفيل ، وعبيد بن الأبرص ، والمرقش الأكبر والأصغر ، وسلامة ابن جندل ، وقيس بن الحطيم ، والطرماح بن حكيم ، وامرىء القيس ابن حجر ، ودريد بن الصمة ، وأبى خلدة ، وخمسة أجزاء من شعر رؤبة ، وأربعة عشر جزءا من شعر الهذليين بعد أن قرأها على ابن دريد

وأحضر معه ديوان معن بن أوس المزنى ، واستملى المفضليات من الأخفش وسمعها من ابن الانبارى الى منتصف الجزء الثالث منها ـ أما الدواوين التى أحضرها ـ وقد سمع بعضها على شيوخه ولم يتيسر له سماع بعضها الآخر فمنها شعر مالك بن الريب ، وعروة ، وشعر المغيرة بن حبناء وأخيه صحن ، وجزء من شعر عمر بن شأس ، وزهير بن أبى سلمى ، وجزء من شعر أبى تمام ، وديوان أبى نواس وشعر طرفة الى غير ذلك مما فصله ابن خير فى فهرسته ـ وقد رتبت ما اقتبسته منه بحسب السماع (١) .

وكان أبو على صاحب مدرسة فى الأندلس كان من أهم رجالها :

● **ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدى :**

يصفه ابن خلكان بأنه كان أوحد عصره فى علم النحو ، وحفظ اللغة ، وأخبر أهل زمانه بالاعراب والمعانى والنوادر (٢) واختاره الحكم المستنصر لتأديب ولده ، وروى عنه ابنه الوليد محمد ، وابراهيم بن محمد الافليلى النحوى (٣) ومن مؤلفاته التى تتصل باللغة :

- استدراك على كتاب العين نشره الأستاذ جويدى سنة ١٨٠٠ م
- الواضح فى النحو ، ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية .
- أبنية الأسماء يصفه صاحب كشف الظنون بأنه من نوادر الدهر .
- لحن العوام .
- مختصر العين ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٨٦ نوه به أبو الحسن الشارى فقال « كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات

---

(١) انظر فهرست ابن خير ١ : ٣٩٦ .
(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٧ .
(٣) معجم الأدباء ١٨ : ١٨٠ .

التى فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدى و ... ، وقال الشـارى : لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدى فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والأبنية المختلفة (١) وقد نقل السيوطى بعض ما جاء فى كتاب الزبيدى وبين التصحيفات التى وجدت فى كتاب العين وكيف عالجها أبو بكر ونكتفى بالاحالة اليها لكثرتها (٢) .

● ابو عبد الله محمد بن عاصم النحوى :

وهذا عالم آخـر تلمذ لأبى على ، وصـفه كتـاب التراجم بأنه كان لا يقصر عن أصحاب المبرد (٣) .

● احمد بن ابان بن السيد :

أخذ عن أبى على القالى ، وصنف كتاب العالم فى اللغة فى نحو مائة مجلد مرتب على الأجنـاس (٤) وحدث بكتـاب الكامل للمبرد عن سعيد ابن جابر ، وأخـذ عن أبى على كتـاب النوادر ، وروى أنه شرح كتابا للكسائى ـ أو الأخفش (٥) لم أتبين ما هو .

● هارون بن موسى بن صالح :

يقول هارون (استكثرت من الاختلاف اليه ـ أى الى أبى على ـ ولم أفارقه حتى مات) (٦) وسـمع منه كتـاب النوادر وله تصنيف فى تفسير عيون كتاب سيبويه (٧) .

---

(١) المزهر ١ : ٨٧ .

(٢) ٢ : ١١٠ و ٢٧٤ و ٣٨١ المزهر .

(٣) انباه الرواه ٣ : ١٩٧ وتاريخ ابن الفرضى ٢ : ٧٦ وبغية الوعاه ٥٠ .

(٤) معجم الادباء ٢ : ٢٠٣ .

(٥) انباه الرواة ١ : ٣١ .

(٦) الصلة ٢ : ٥٩٦ وانباه الرواة ٣ : ٣٦٢ .

(٧) انباه الرواة ٣ : ٣٦٢ .

● **محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي :**

صحب أبا علي وأكثر الملازمة له (١) كما كان يورق له .

ومن علماء المشرق الذين وفدوا على الأندلس أبو العلاء صاعد ابن الحسن الربعي اللغوي البغدادي ـ ورد على المنصور بن أبي عامر فعظمت منزلته عنده وكان يجيب في كثير من غريب اللغة حتى ظن أنه يختلق الاجابة ودارت القصص حول هذه الظاهرة فيحكى أنه دخل على المنصور وفي يد المنصور كتاب ورد عليه ـ قال له عامل في بعض البلاد اسمه ميدمان بن يزيد يذكر فيه القلب ، والتزبيل ـ وهذه عندهم أسماء لمعاناة الأرض قبل الزرع فقال له : أبا العلاء ؟ قال : لبيك مولانا . قال : هل رأيت فيما وقع اليك من الكتب كتاب القوالب والزوالب لميدمان بن يزيد ؟ قال : أي والله يا مولانا رأيته ببغداد في نسخة لأبي بكر بن دريد بخط كأكرع النمل في جوانبها علامات الوضاع هكذا هكذا . فقال له : اما تستحي أبا العلاء . هذا كتاب عاملي ببلد كذا وكذا ، واسمه كذا يذكر فيه كذا وانما صنعت لك هذه الترجمة مولدة من هذه الألفاظ ... لاختبرك فجعل يحلف له انه ما كذب وانه أمر وافق (٢) .

ويبدو ان صاعدا كان على درجة من العلم وسرعة البديهة وأن ما أشيع حوله قد يصدر عن خصومة معاصريه ـ ولو كان الخبر السابق صحيحا لكان وحده كافيا لقلة الثقة فيه ، وعدم الاعتماد عليه وحرمانه من مجلس المنصور أبي عامر ومما يشدني الى هذا الرأي بيان الصنعة في خبر آخر رواه صاحب كتاب جذوة المقتبس (٣) وفيه من الألفاظ مالا يجوز الافصاح بها في مجلس الأمير مجاهد بن عبد الله العامري ، وقد تركناه

---

(١) انباه الرواة ٣ : ٦٣ .

(٢) المعجب ٢١ ، جذوة المقتبس ٢٢٥ .

(٣) جذوة المقتبس ١٧١ .

وذكر صاحب جذوة المقتبس حديثا آخر يكشف فى صراحة موقف بعض العلماء من صاعد وحسدهم له .

كان مجلس المنصور أبى عامر مجمعا للعلماء ، وفيه أبو القاسم الحسين ابن الوليد المعروف بابن العريف النحوى وهو امام فى العربية ـ لم يستطع هذا الرجل أن يخفى حسده لصاعد حين جيىء الى المنصور بوردة فى مجلس من مجالس أنسه أول ظهور الورد فقال أبو العلاء لوقته .

اتتك أبا عامر وردة
يحكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصر مبصر
فغطت بأكمامها رأسها

فاستحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون فحسده أبو القاسم ابن العريف فقال : هى لعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد فقام ابن العريف الى منزله ووضع أبياتا وأثبتها فى دفتر وأتى بها قبل افتراق المجلس وهى :

عشوت الى قصر عباسة
وقد جدل النوم حراسها
فالفيتها وهى فى خدرها
وقد صرع السكر أناسها
فقالت اسار على هجعة
فقلت بلى ، فرمت كأسها
ومدت الى وردة كفها
يحاكى لك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها رأسـ
وقالت خف الله لا تفضحـ
ن فى ابنة عمك عباسها

فوليت عنهـــا عـلى غفلة
وما خنت ناسى ولا ناسها

فخجـل صـــاعد وحلف ، فلم يقبـل ، وافترق المجلس على أنه سرقها (١) .

ويعزو صاحب جذوة المقتبس هذه المحاولات فى النيل من صاعد الى كثرة مزاحــه فقال (ولولا أن أبا العلاء كان كثير المزاح لما حمل الا على التصديق ـ وقد ظهر صدقه فى بعض ما قال) (٢) .

(١) جذوة المقتبس ١٧١ .
(٢) جذوة المقتبس ٢٢٤ .

من أهم مجالس قرطبة

كانت قرطبة حاضرة الأندلس ، ومسجدها الجامع يغص بالمحدثين خاصة حتى طغت مجالسهم على مجالس اللغويين وان لم تخل من دراسات لغوية والذين اشتهر أمرهم باللغة كان لهم سبب يتصل بالحديث والفقه ـ واذا كان مقصدنا استخلاص رجال اللغة فاننا لانستطيع ترك هذا النفر الذى جمع بين الفقه ، والحديث ، واللغة ـ فمن أوائل علماء الأندلس أبو موسى الهوارى وبالرغم من أنه لقى الأصمعى وأبا زيد الأنصاى فى رحلته الى المشرق ، وداخل الأعراب فى محالها ، فانه لما قدم من المشرق وذهب الناس يهنئونه بقدومه ويعزونه عن فقد كتبه قال لهم: (ذهب الخرج وبقى ما فى الدرج ، انا شعبى زمانى فليسألنى من شاء منكم عما شاء) ، وهذه عبارة يفهم منها أنه بلغ فى الحديث والفقه والأدب مبلغ الشعبى ولم ينسب نفسه لرجل لغة كالأصمعى ، بل كانت شهرته فى الفتيا هى السمة الدالة عيه ، يدلك على ذلك قول العتبى : (كان أبو موسى اذا قدم قرطبة لم يفت عيسى (١) ولا سعيد بن حسان (٢) حتى يرحل عنهما) (٣) .

وكانت هذه أيضا صورة الغازى بن قيس وهو ممن لقى الأصمعى ونظراءه ـ وكان جودى بن عثمان قد رحل الى المشرق وأخذ عن الرياشى والكسائى والفراء الا أنه لم يشتهر مجلسه فى قرطبة لأنه أعطى جزءا من عنايته لتأديب أولاد الخلفاء (٤) .

---

(١) هو عيسى بن دينار الغافقى وكان اماما فى الفقه على مذهب مالك .

(٢) هو أبو عثمان سعيد بن حسان الصائغ فقيه مالكى محدث .

(٣) طبقات الزبيدى ٢٧٦ .

(٤) انباه الرواة ١ : ٢٧١ ومعجم الأدباء ٧ : ٢١٣ وبغية الوعاة ٢١٣ .

ثم أخذت اللغة شكل تفسير الغامض والغريب من الألفاظ فى مجلس محمد بن عبد الله الغازى وكان قد جلب الى الأندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والعربيــة والأخبــار وتلمذ له فى الأندلس من يرغب فى هذه الشروح (١) .

مجلس الخشنى :

وفى مجلس محمد بن عبد الســلام بن ثعلبه الخشنى احتلت العربية مكانا بارزا بالرغم من معرفة الخشنى بالحديث ، ويبدو أنه عمل على اعداد نفسه لهذه المهمة وتلمذ لرجال اللغة فى المشرق فلقى أبا حاتم السجستانى ، والعباس بن الفرج الرياشى ، ونصر بن على الجهضمى وأخذ عنهم كثيرا من كتب اللغة رواية عن الأصمعى ، وحمل الى الأندلس كثيرا من اللغة والشعر الجاهلى رواية ـ وقال فيه ابن الفرضى (لم يكن عند الخشنى كبير علم بالفقه ، انما كان الغالب عليه حفظ اللغة ورواية الحديث) (٢) .

وعمر مجلس الخشنى بالمتأدبين فتلمذ له أبو خالد يزيد بن طلحــة الذى يعرف بيزيد الفصيح وكان بصـــيرا باللغة والنحــو والشعر (٣) وأبو الحزم عفير بن مسعود بن عفير الغســانى وكان حافظــا للغة وأخبار العرب وأيامها وراوية للشعر (٤) .

ويروى عفير قصة تبرز فضل الخشنى وثقة عفير فيما تلقاه عنه فقال (لما قدم العجلى من العــراق ـ وهو أعرابى فيما نرجحه ـ منع كتبه وضن بها واســتدعى الناس الى أن يملى عليهم ، فتسارب الناس اليه ، وانحفلوا الى مجلسه ، فخــلا مجلس الخشنى ـ قال عفير : فقال لى الخشنى : مالك

(١) طبقات الزبيدى ٢٨٩ وبغية الوعاة ٥٨ .
(٢) تاريخ ابن الفرضى ١ : ٣١٦ ترجمة رقم ١١٣٢ .
(٣) تاريخ ابن الفرضى ٢ : ٦١ ترجمة رقم ١٦٠٦ .
(٤) تاريخ ابن الفرضى ١ : ٢٨٠ ترجمة رقم ١٠٠٦ .

لاتسرع الى ما أسرع الناس اليه ؟ فقلت له : لست أبغى به بدلا . فقال : أحب أن تأتى الرجل وتشهد مجلسه ، فغدوت الى العجلى فحضرته يملى : المرة : العداوة وجمعها مرر ، وكان أحد من يكتب بين يديه زيد الجيانى فقلت : يرحمك الله قال أبو عبيد فى المصنف : المئرة : العداوة ، وجمعها مئر . قال : فكأنى أنظر الى زيد قد محا ما كتب ، وقال : هذا الحق ، ثم رددت عليه كلمة ثانية ، وثالثة فى المجلس فانفض الناس عنه ، ولم يعد اليه بعدها أحد وبدر الخبر الى الخشنى ، فلما أتيته استدنانى وقبل بين عينى وقال لى : نعم مستودع العلم أنت) (١) .

ويبدو أن شهرة عفير قد حفزت بعض العلماء أن يتلمسوا سقطه وأن يلغزوا له فى الامتحان فمن ذلك أن أحمد بن بشر بن الأغبس ، وعبد الملك بن شهيد وكانا من علماء العربية بالأندلس قد استخرجا من كتاب العين حروفا مهملة ، ونسخا من ذلك دفترا ضخما ، ولقيا عفيرا بالكتاب ، وأغربا به عليه فأبطل جميع ذلك وأسقطه ودفع أن يكون من كلام العرب فقال له عبد الملك بعد أن نهض اليه فقبل يده (قبح الله بلدا ضاع فيه مثلك) (٢) .

مجلس أبى عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى :

رحل أبو عبد الله الى المشرق فلقى أبا جعفر النحاس المصرى وحمل عنه كتاب سيبويه رواية ـ وعقد مجلسه فى قرطبه يروى الناس كتاب سيبويه ، ويعقد فيه للمناظرة مجلسا فى كل جمعة وسلك فى ذلك مسالك المشارقة فى حسن التعليل لمسائل النحو يقول الزبيدى وهو يترجم له (... ولم يكن عند مؤدبى العربية ولا عند غيرهم من عنى بالنحو كبير علم

---

(١) طبقات الزبيدى ٢٩٨ .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٩٩ .

ملاحظنا على الرواية فى الأندلس

فى سياق البحث ، كنا نلمح بعض الظواهر التى استرعت انتباهنا فى الأندلس بخاصة ، وكنا نتساءل عن أسبابها ، أو أسباب وضوحها هنا على نحو يخالف ما ألفناه فى البيئات الأخرى ، فمن ذلك :

الاهتمام بدراسة الحديث :

كانت خطتنا ــ البحث عن رواية اللغة فى كل البيئات العلمية ــ فعرضنا لكتب التراجم التى تناولت رجال الأندلس فاذا بنا أمام بيئة أعطت لدراسة الحديث كل اهتمامها لدرجة أنه كان من الصعب أن نستخلص رجال اللغة من بينهم ، بل كان الرجال الذين عرفوا بالدراسات اللغوية يتصلون اتصالا وثيقا بالحديث ــ وكان أكثر الذين ذهبوا الى المشرق فى طلب العلم ــ ان لم يكن كلهم ــ قد ذهبوا يبحثون عن الحديث أولا فالتقوا فى خلال هذا السعى برجال اللغة هناك .

كان لابد من الوقوف أمام هذه الملاحظة نتبين أسبابها . والرأى عندى أن دواعى الرواية اللغوية فى المشرق كانت تختلف عن دواعيها هنا فى الأندلس فلقد ظهرت بادىء الأمر فى مجالس العلم حين جاء المسلمون العرب وغير العرب يستوضحون ما غمض عليهم من ألفاظ القرآن ويجدون بغيتهم هذه فى البادية الفصيحة ، أو عند أوائل العلماء الذين اتصلوا بالبادية الفصيحة على النحو الذى ذكره السيوطى فى قصة ابن عباس مع نافع بن الأزرق اذ قال لصاحبه نجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لاعلم له به ــ فقاما اليه فقالا لابن عباس : انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ، فتفسرها لنا وتأتينا بمصادق

من كلام العرب فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربى مبين • فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال : العزون حلق الرفاق • قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليــه حتى
يكونوا حول منبره عزينـا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) قال : الوسيلة الحاجة • قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم • أما سمعت عنترة يقول •

ان الرجال لهم اليك وسـيلة
ان يأخذوك ، تكحلى وتخضبى

وهكذا أخــذ نافع يلقى اليه بالغريب فيســوق ابن عباس تفســيره ، ويأتى بمصــادقه من أشــعار العرب حتى بلغت أســئلة نافع ثلاثا وثمانين مسألة (١) •

ثم أخذت الرواية فى العراق فى استيضاح الغريب والعودة الى الآثار الأدبية يستعينونها فهمه وقد اعتمدت الرواية اللغوية فى أول نشأتهـا على القراء وكانت أبحاثهم الأولى تحمل اسم الغريب ، غريب القرآن ، غريب الحديث غريب الشعر أيضا • فلقد وجدنا مجلسا مبكرا لابن أبى اسحق – وهو من القراء – يشرح فيه الشعر ، ويفسر ما استتر من غريبه •

والوضع هنا يختلف ، ويتخذ فى الأندلس شكلا آخر ، فالدراسات القرآنية كانت قد استفاضت فى الشرق بما سبق به أبو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه (مجاز القرآن) والفراء فيما كتبه فى (معانى القرآن) وابن قتيبة

---

(١) الاتقان ١ : ١٠٢ •

فى كتابه (تأويل مشكل القرآن) الى غير ذلك مما أوضحه ابن النديم فى كتاب الفهرست (١) .

كان الأندلسيون يعنون بالحديث لأنه فصل ما أجمله القرآن الكريم . وكان لابد لهم من مذاكرة غريبة فاتصلوا بكتب المشرقيين التى عنيت بهذا الوجه . كان لأبى عبيد القاسم بن سلام كتاب غريب الحديث وكتاب آخر فى غريب اللغة اسمه (الغريب المصنف) ـ وكان لابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، والمشتبه من الحديث والقرآن ، وغريب الحديث . فلم أعجب حين رأيت عناية الأندلسيين بأبى عبيد ، وابن قتيبة بل كانت مؤلفاتهما من العمد التى اعتمد عليها لغويو الأندلس ، وربطوا بهذه الكتب سببهم الى اللغة ـ جاء ذلك فى كثير من تراجمهم التى نسوق اليك أمثلة منها :

- خصيب الكلبى ... له كتاب مصنف فى اللغة نحو مصنف أبى عبيد (٢) .

- طاهر بن عبد العزيز ـ كان من أهل العلم باللغة والغريب والرواية للحديث ، وأدرك عليا بن عبد العزيز وحمل عنه علم أبى عبيد (٣) . وقال ابن الفرضى (وسمع الناس من طاهر بن عبد العزيز كتب أبى عبيد .. (٤) .

- واعتمد عفير بن مسعود على كتاب الغريب المصنف لأبى عبيد فى مناقشته للعجلى قال : (حضرته يملى المرة : العداوة وجمعها مرر ... فقلت يرحمك الله قال أبو عبيد فى الغريب المصنف : المئرة : العداوة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٥٠ وما بعدها .
(٢) طبقات الزبيدى ٢٨١ وبغية الوعاة ٢٤١ .
(٣) طبقات الزبيدى ٢٩٧ .
(٤) تاريخ ابن الفرضى ١٧١ ترجمة رقم ٦١٧ .

وجمعها مثر ـ قال : فكأنى أنظر الى زيد قد محا ما كتب) (١)

ـ وكان موسى بن أزهر عالما باللغة ... يقرأ عليه شرح الحديث ، والغريب المصنف ظاهرا (٢) .

ـ وكان ثابت بن عبد العزيز وابنه قاسم من أهل العربية والحفظ للغة وقد ذكرنا أنهما ألفا كتابا فى شرح الحديث ـ نسب أحيانا لثابت وأحيانا لقاسم قرظه أبو على وعقب على هذا التقريظ محمد بن حسن فقال : (ولو قال اسماعيل انه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم فى معناه لما رددت مقالته على أن لأبى عبيد فى هذا الفن فضل السبق اليه) (٣) والعبارة الأخيرة تحمل كما ترى اهتماما بكتاب أبى عبيد ووضعه فى المقارنة مع هذا العمل الفذ الذى أنجبه ثابت وولده .

ـ وكان ابرهيم بن محمد النحوى المعروف بابن الافليلى من الذين عنوا بالغريب المصنف لأبى عبيد (٤) .

وقد يسأل سائل ان عناية الأندلسيين بكتاب غريب الحديث لأبى عبيد شاهد على ما ذهبنا اليه ـ فما بال كتابه الغريب المصنف وهو كتاب لغة ومن حق اللغويين الرجوع اليه والتأليف على نمطه ـ قلنا ان عناية الأندلسيين بالحديث حتى اللغويين منهم جعلهم يتصلون بكتب أبى عبيد عامة ومن بينها هذا الكتاب اللغوى ، ولقد كان لدى المشارقة الكثير من كتب اللغة لم تشتهر شهرة الغريب المصنف .

وأرجح أن صلة الأندلسيين بكتب ابن قتيبة تعود الى دور هذا الرجل

---

(١) وزيد هو زيد الجيانى وكان قد حضر المجلس طبقات الزبيدى ٢٩٨ .

(٢) طبقات الزبيدى ٢٩٩ .

(٣) طبقات الزبيدى ٣٠٩ .

(٤) انباه الرواة ١ : ١٨٤ .

فى دراسة القرآن والحديث ـ كان قاسم بن أصبغ قد روى عن ابن قتيبة فسمع ابن القوطيــة كتــاب معانى القرآن لابن قتيبة عن قاسم (١) وروى محمد بن موسى بن هاشم ـ وهو من اللغويين ـ كتب ابن قتيبة عن ابراهيم ابن جميل الأندلسى أخـذها عنه بمصر (٢) وتحـدث ابن عبد البر عن عبد الوارث بن سفيان فقال : قرأت عليه المعارف لابن قتيبة وسمعت عليه شرح غريب الحديث ، أخبرنا بهما عن قاسـم بن أصـبغ عن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة (٣) ٠

وهكذا كان جزء كبير من عناية اللغويين يعتمد على المحـدثين عامة وعلى أبى عبيد ، وابن قتيبة خاصة لصلتهما بهذا الوجه ٠

شعر أبى تمام :

ولقد وجدناهم بالمشرق يعنون بالآثار الأدبيـة والشعر القديم الذى صدر فى الجاهلية وصدر الاسلام على أنه أوثق المصـادر لرواية اللغة ، ووجدنا طرفا من هذا فى الأندلس ـ ولكن مابالهم يعنون بشعر حبيب أشد العناية ، وليس أبو تمام من الجاهليين ولا من شعراء صدر الاسلام ونحن نعرف أنه توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين ؟

لقد رحـل أبو عبد الملك عثمان بن المثنى الى المشرق فلقى أبا تمـام وقرأ عليه ديوان شـعره وأدخله الى الأندلس رواية عنـه (٤) ، وكان أبو عبد الله الغابى يقـرأ عليه شـعر حبيب (٥) وكان لأبى عبد الله محمد

(١) جذوة المقتبس ٧٢ ٠

(٢) طبقات الزبيدى ٣٠٥ ٠

(٣) جذوة المقتبس ٢٧٧ ٠

(٤) تاريخ ابن الفرضى ١ : ٢٤٩ ٠

(٥) طبقات الزبيدى ٣١٥ ٠

ابن عبد الله المكفوف المعروف بابن الأصفر بصر بشعر حبيب (١) ، ولوليد بن عباس بن حارث الطبيخى شروح فى شعر حبيب (٢) وعنى عبد الرحمن الأموى بشعر حبيب فكان يأمر بانشاده فى مجلسه ويسأل عن أى قصائده أحق بالأولوية فى ترتيب ديوانه (٣) ومما جاء فى ترجمة ابن الافليلى أنه كان حافظا للأشعار واللغة ـ قائما عليها ـ عظيم السلطان على شعر حبيب الطائى وأبى الطيب المتنبى كثير العناية بهما خاصة (٤) فهل كان ذلك اتجاها أدبيا نشأ عند المتقدمين من رجال الأندلس ثم أصبح تفسير هذا الشعر شيئا يجرى فى حلقات اللغويين تقليدا لما جرى عليه هذا الاتجاه ؟ ولماذا اختاروا شعر أبى تمام واللغة انما تعتمد على الأشعار القديمة قبل أن يشوبها سعة الفتح ـ ان موقف رجل كأبى عمرو بن العلاء فى الشرق يعجب بشعر جرير والفرزدق ، ولا يراهما الا مولدين بالاضافة الى أشعار القدامى يجعلنا نتساءل عن عناية الأندلسيين بشعر أبى تمام دون أن نحظى بسبب يربطنا برواية اللغة ومبلغ جهدنا أن نقول انه كان لونا أدبيا يستريحون اليه من عناء اللغة والنحو .

عناية الاندلسيين بالمعاجم :

اتصل الأندلسيون بكتاب العين وجمعوا نسخا عديدة منه (٥) أخذوا فى مقابلتها ومناقشة ما بدا لهم مغلوطا أو مصحفا ـ وجاء أبو على البغدادى الى الأندلس وشارك فى هذه الدراسات حول كتاب العين ـ ولم يلبث أن وضع معجما فى اللغة سماه البارع ـ ثم جاء من بعده أبو بكر الزبيدى فعمل استدراكا على كتاب العين ومختصرا له ـ ولم يرض التيانى تمام

---

(١) ط الزبيدى ٣٢٨ .
(٢) طبقات الزبيدى ٣٢٩ .
(٣) انباه الرواة ٣ : ٣١٦ .
(٤) الصلة ١ : ٩٣ وانباه الرواة ١ : ١٨٤ .
(٥) جذوة المقتبس ٤٨ .

ابن غالب عن الكتاب الذى عمله الزبيدى واختصر فيه العين فعمل كتابا سماه تلقيح العين وأتى فيه بما فى العين من صحيح اللغة الذى لا اختلاف فيه على وجهه دون اخلال بشىء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب ... ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد فى الجمهرة (١) ثم ألف الموعب فى اللغة .

وعلى أثر هؤلاء جاء ابن سيدة فألف المخصص ، والمحكم وهما من أشهر المعاجم فى الأندلس - ولولا التزامنا بالوقوف عند نهاية القرن الرابع - وقد تجاوزناه بقليل - لتناولنا الحديث عن ابن سيدة وهو من أشهر اللغويين فى هذا البلد .

(١) المزهر ١ : ٨٨

أهم المصادر والمراجع :

الابدال : لأبى الطيب اللغوى نشره عز الدين التنوخى ضمن مطبوعات المجمع العلمى العربى .

الاتباع والمزاوجة : لأبى الحسين أحمد بن فارس ط السعادة سنة ١٩٤٧ .

الاتقان فى علوم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط الحلبى سنة ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ .

احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم : لأبى عبد الله محمد بن أحمد المقدسى ط ليدن سنة ١٩٠٦ .

اخبار النحويين البصريين : لأبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ط الحلبى سنة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

أدبنا العربى فى عصر الولاه : د. محمد كامل حسين ط القاهرة سنة ١٩٦١ .

أدب مصر الاسلامية فى عصر الولاة : للدكتور محمد كامل حسين ط دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .

الأزمنة والأمكنة : لأبى على المرزوقى الأصفهانى ط حيدر أباد ١٣٣٢ هـ .

الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى : أحمد بن خالد الناصرى السلاوى ط القاهرة سنة ١٣١٢ هـ .

الاشتقاق : لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ط أوربا سنة ١٨٥٤ .

اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم : لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ط دار الكتب سنة ١٣٦٠ هـ — ١٩٤١ م .

الأغانى : لأبى الفرج الأصفهانى ط دار الكتب من سنة ١٩٢٧ م .

الأفعال : لأبى بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية ط مصر سنة ١٩٥٢ م .

الأفعال : لأبى القاسم على بن جعفر السعدى المعروف بابن القطاع ط دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد سنة ١٣٦٠ هـ .

الأمـــالى : لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى ط السعادة سنة ١٣٢٤ هـ

الأمـــالى لأبى على اسماعيل بن القاسم القالى ط دار الكتب من سنة ١٩٢٦ م

الأمتاع والمؤانسة : لأبى حيان التوحيدى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٩ م

أنباه الرواه : لأبى الحسن على بن يوسف القفطى ط دار الكتب من سنة ١٩٥٠ م

الانتصار لواسطة عقدالأمصار : لابن دقماق ط مصر سنة ١٣٠٩ هـ

بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن أحمد الفرضى ط مدريد سنة ١٨٨٤ م

بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط السعادة سنة ١٣٢٦ هـ

البـــلدان : لأحمد بن أبى يعقوب بن واضح ط ليدن سنة ١٨٩٠ م

بلدان الخلافة الشرقية : تأليف جاى لسترنج ط بغداد سنة ١٩٥٤ م

البيان المغرب فى اخبار المغرب : لابن عذارى المراكشى ط ليدن سنة ١٩٤٨ م و ط بيروت سنة ١٩٥٠ م

البيان والاغراب عما بارض مصر من الأعراب : للمقريزى ط مصر سنة ١٩٦١ م

البيان والتبيين : لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ط الاستقامة سنة ١٣٦٦ هـ ـ ١٩٤٧

تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعى ط الأخبار سنة ١٣٢٩ هـ وسنة ١٩١١ م

تاريخ الأمة القبطية وكنيستها : للسيدة ا.ل. بتشر ط مصر سنة ١٩٠٠ م

تاريخ بغداد : لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى ط السعادة سنة ١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م

تاريخ الرسل والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ط دار المعارف سنة ١٩٦٠ م

تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان ط بيروت سنة ١٩٥٣ م

تاريخ علماء الأندلس : عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن الفرضى مجريط سنة ١٨٩٠ م

تاريخ الموصل : للقس سليمان صايغ ط السلفية سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣ م

التصحيف والتحريف : للحسن بن عبد الله بن سعيد العسكرى ط الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠١ م

تهذيب الأسماء واللغات : لأبى زكريا يحيى النووى ط أوربا سنة ١٨٤٢ م

تهذيب الصحاح : محمود بن أحمد الزنجانى ط دار المعارف سنة ١٩٥٢ م

تهذيب اللغة : لأبى منصور الأزهرى ط الدار المصرية للتأليف والترجمة (تراثنا)

الجاسوس على القاموس : أحمد فارس الشدياق ط الجوائب سنة ١٢٩٩ هـ

الجمهرة فى اللغة : لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد ط حيدر آباد سنة ١٣١٤ هـ

الحجة : لأبى على الفارسى مخطوطة بمكتبة الاسكندرية ينقصها الجزء الخامس

حسن المحاضرة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط الموسوعات

الخصائص : لأبى الفتح عثمان بن جنى ط دار الكتب من سنة ١٩٥٢ م

خطط الشام : محمد كرد على ط دمشق سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م

ديوان حسان : طبع ليدن سنة ١٩١٠ م

سر صناعة الأعراب : لأبى الفتح عثمان بن جنى ط دار الكتب سنة ١٩٥٥

سمط اللآلى فى شرح أمالى القالى : لأبى عبيد البكرى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٦ م

شجر الدر : لأبى الطيب اللغوى سلسلة ذخائر العرب (٢١) ط دار المعارف

شذرات الذهب : لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد ط القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ

الصاحبى : انظر فقه اللغة

صبح الأعشى : لأبى العباس أحمد القلقشندى ط الأميرية من سنة ١٩١٣ م

الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها : لأبى القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ط مجريط سنة ١٨٨٢ م

طبقات النحويين واللغويين : لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى ط الخانجى سنة ١٩٥٤ م

طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجمحى (ذخائر العرب ٧) ط دار المعارف

العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠ و ١٩٤٨ وط الاستقامة سنة ١٩٤٠

العمدة : لابن رشيق القيروانى ط هندية سنة ١٩٢٥ م

فتح العرب لمصر : بتلر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ط دار الكتب سنة ١٩٣٣ م

فتوح البلدان : لأبى العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ط ليدن سنة ١٨٦٦ م وطبع الموسوعات سنة ١٩٠١ م ٠

فتوح مصر واخبارها : لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ط ليدن سنة ١٩٢٠ م

الفروق اللغوية : لأبى هلال العسكرى ط القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ

فقه اللغة : لأبى منصور عبد الملك بن محمد الثعالبى ط الاستقامة سنة ١٩٥٢ م

فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها : لأبى الحسين أحمد بن فارس ط المؤيد سنة ١٩١٠ م

الفهرست : لابن النديم ط الرحمانية

فهرست ابن خير : لأبى بكر محمد بن خير بن عمر ط سرقسطة سنة ١٨٩٣ م

فوات الوفيات : محمد بن شاكر بن أحمد ط القاهرة سنة ١٢٨٣ هـ و ١٢٩٩ هـ

كتاب فيه ذكر شىء من الحلى : محمد بن جعفر القزار القيروانى مطبعة العرفان صيدا سنة ١٣٤١ هـ سنة ١٩٢٢

ليس فى كلام العرب : لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ط السعادة سنة ١٣٢٧ هـ

المأثــور : لأبى العميثل الأعرابى ط بيروت سنة ١٩٢٥ م

مبادىء اللغة : لأبى عبد الله محمد بن عبد الله الاسكافى ط السعاده سنة ١٣٢٥ هـ

المزهر : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٨ م

مسـالك الأمم : ابراهيم بن محمد الاصطخرى ط ليدن سنة ١٩٣٧ م

المسـالك والممالك : لأبى القاسم عبد الله بن خرداذبة ط ليدن سنة ١٨٨٩

معالم الايمان فى معرفة اهل الثيروان : لابن الدباغ ط تونس سنة ١٣٢٠ هـ

المعجب فى تلخيص اخبــار المغرب : لأبى محمد عبد الواحد بن على التميمى ط السعادة

معجم الأدبــاء : لأبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى طبع دار المأمون

معجـم الانســاب والأسرات الحاكمة : زامباور ط جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١

معجم ما استعجم : لأبى عبيد البكرى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥ م

المعرب : لأبى منصور موهوب بن أحمد الجواليقى ط ليبزج سنة ١٨٩٧ م

كتاب المعمرين : لأبى حاتم السجستانى ط السعادة سنة ١٩٠٥

مقاييس اللغة : لأبى الحسين أحمد بن فارس دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى سنة ١٣٦٦ هـ

المقصور والممدود : لابن ولاد ط السعادة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨

المكتبة الصـقلية : ميخائيل عمارى ط ليبسك سنة ١٨٥٧

المنتقى من اخبار الأصمعى : ضياء الدين المقدسى ط المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٣٦

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : لأحمد بن على المقريزى مطبعة النيل سنة ١٣٢٤ هـ

النجوم الزاهرة : لابن تغرى بردى ط دار الكتب من سنة ١٩٢٩ م

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقرى ط بولاق سنة ١٢٧٩ هـ

نزهة الالبا لأبى البركات عبد الرحمن بن محمد الانبارى ط حجر

النقائض : لأبى عبيدة معمر بن المثنى ط ليدن سنة ١٩١٥

نكت الهميان فى نكت العميان : صلاح الدين بن ايبك الصفدى المطبعة الجمالية سنة ١٩١٢

النهاية فى غريب الحديث والأثر : لأبى السعادات المبارك الجزرى المعروف بابن الأثير ط العثمانية سنة ١٣١١ هـ

الوزراء والكتاب لأبى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى ط الحلبى سنه ١٩٣٨

وفيات الأعيان : لابن خلكان ط السعادة سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م

الولاة والقضاه : لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى ط بيروت سنة ١٩٠٨

يتيمة الدهر : لأبى منصور عبد الملك الثعالبى ط الصاوى سنة ١٩٣٤ م

فهـــــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث :

الباب الرابع :

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٤٤٦٨


٧٥ قرشا
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب